دراسة للأبعاد
النفسيّة في عقيدة
الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه

# سيكولوجية الإنتظار

يوسف مدن

دار الهادي

# سيكولوجية الانتظار

دراسة للأبعاد النفسية في عقيدة المهــــدي المنتظر (عج)

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

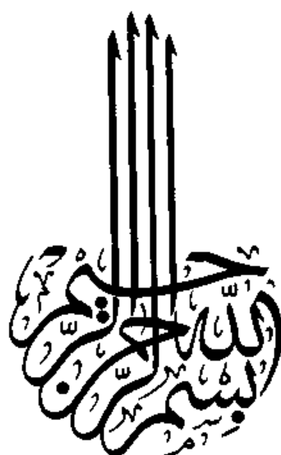
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

# سيكولوجية الانتظار

دراسة للأبعاد النفسية في عقيدة المهـــدي المنتظر عليه السلام

يوسف مدن

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع



## الإهـــــداء

إلى بقية الله في أرضه
" أمل المستضعفين "
وإلى المنتظرين في كل مكان.
... نهدي هذا
المجهود

## كلمة خالدة

كتب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام إلى أحمد بن إسحاق يقول:

"وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء".

الاحتجاج، الجزء الثاني ص٤٧١.

# مقدمة البحث

وقع اختلاف في وجهات النظر بين الباحثين المسلمين ـ بل وعامة الناس ـ حول مسألة المهدي المنتظرعليه السلام ، وما ارتبط بها من نصوص دينيَّة، ووقائع وأحداث في الواقع التاريخي عند المسلمين.

وقد اتخذ ـ الاختلاف ـ أشكالاً وصوراً وأنماطاً من الجدل امتد بالتدريج من اللغط العقيم والنقد الفظ إلى المواجهات الدموية أحياناً، وقد يظهر ـ أحيانا ـ في شكل حوار نقدي هادف وقائم على ضوابط العلم وقواعده المنهجيَّة.

لقد ظهرت في هذا المجال دراسات متعددة الاتجاهات، وتنوعت هذه الدراسات حتى داخل الاتجاه الواحد سواء كان مؤيداً أو مناهضاً لفكرة "المهدي" المنتظرعليه السلام .

واسترعى انتباهنا ـ بالرغم من هذا التنوع ـ قلة عناية الباحثين المؤيدين لهذه الفكرة بدراسة الجوانب النفسيَّة في هذه العقيدة وضعف اهتمامهم بها باستثناء بعض الإشارات المحدودة غير المركزة، مع أنَّ نصوص المشرع الإسلامي وإرهاصات الواقع التاريخي لهذه العقيدة مليئة بالمشاعر والانفعالات والدوافع والحالات السيكولوجيَّة المتولدة عن تفاعل المسلمين مع نصوص البشارة بالمهديعليه السلام والمتجسدة في واقع نفسي وتاريخي.

فالنص الديني الإسلامي بمحتواه الثقافي العام صاغه المشرع الإسلامي لتشخيص واقع نفسي للمسلمين المنتظرين للمهدي ولتوجيه نشاطهم خلال فترة الغيبة بالمعايير العباديَّة السويَّة، وكذلك لرصد مشكلات هذا الواقع ومعرفة عوامله الأساسيَّة المؤثرة فيه، كما استبطن النص بعض الاجراءات والأساليب اللازمة لمواجهة هذه المشكلات.

لم نجد في جهود الباحثين المعاصرين من المنتظرين "للمهدي" بوادر اتجاه نشط لبحث الأبعاد السيكولوجيَّة لهذه العقيدة، وهذا ـ بالتأكيد ـ لا يعني خلو الأبحاث التي تناولت عقيدة انتظار المهدي من الإشارات المحدودة، والمتفرقة هنا وهناك، وأدى هذا التخلف في البحث النفسي لهذه المسألة إلى خسارة المنتظرين لاجتهادات العلماء القادرين على المعالجة العلميَّة الهادئة، وتعميق القيم التربوية والأخلاقيّة والفكرية المستوحاة من عقيدة انتظار "المهدي" الموعود عليه السلام.

وترتب عن هذا الخلل البحثي نمو روح انهزاميّة عند بعض المنتظرين، وإفراطهم في التساهل بقيم الانتظار الأصيلة والنبيلة، وكان بإمكان جماعات الانتظار ـ في كل زمان ومكان ـ الاستفادة الكاملة من الأبعاد السيكولوجيّة الإيجابيّة لعقيدة الانتظار لو أثرى الباحثون المؤمنون "بالمهدي" الذهنيَّة العامة للمنتظرين ونفسياتهم بالمبادئ والقيم والاتجاهات السليمة التي انطوت عليها هذه العقيدة، وحافظوا على هذه الخصوصيَّة الحضاريَّة للمنتظرين، وعلى تنشيط استجابة " التحدي " لديهم وهم يواجهون كجماعة دينيّة ضغوط الآخرين من كل حدب وصوب.

منذ عشر سنوات مضت بدأت بأول كتابة عن عقيدة "المهدي المنتظر" وجعلت عنوانها "سيكولوجيَّة الانتظار" للدلالة على موضوع جديد لم يطرقه ـ بجديَّة ـ الباحثون من المنتظرين، ولم يأخذ حظه ـ بعد ـ من العنايَّة، وإن كانت بعض الإشارات المحدودة، و العابرة إلى عدد من الجوانب والأبعاد

السيكولوجيّة هي البدايات الأولى في ظهور بوادر اتجاه جديد لدينا في دراسة الجانب السيكولوجي من عقيدة الانتظار، بعد التركيز على جوانبها الروائية والدينية والتاريخية والاجتماعية، وقد تحسسنا هذه " الإشارات " التي نبّه إليها على نحو عابر علماء من جماعة المنتظرين، وكانت هذه المحاولة أول الخيوط التي نسجت هذا الاتجاه، وأردنا بهذه الدراسة توسعته وتطويره، وتسجيل خواطرنا في موضوع الانتظار.

وهذا البحث ـ عزيزي القارئ ـ محاولة مبتدئة لدراسة مفهوم الانتظار وما طواه من أبعاد سيكولوجيّة ومعرفية، وقد انطلقت هذه المحاولة في بدء عام ١٩٨٩م لتسجيل بعض الخواطر الشخصيَّة عن بعض الجوانب السيكولوجيّة التي تشكل جزءاً هاماً من مكونات عقيدة المهدي الموعود عليه السلام ومعطياتها الإنسانية، وفرغت من صياغتها في نهاية الصيف، وبالتحديد شهر اكتوبر من العام نفسه.

ولم أسجل هذه الخواطر ـ كردود فعل ـ على سلسلة الانتقادات لعقيدة المهدي فحسب، بل إنَّ هذه العقيدة الدينية ذات العمق التاريخي في حياة الإنسان بمسميات أخرى تختزن ـ في داخلها ـ أبعاداً تؤثر بإيجابيَّة في سيكولوجيّة المؤمنين بها.. أي في أفكار "المنتظرين" ومشاعرهم وسلوكهم واتجاهاتهم النفسية والعقلية، وهذا وحده يكفي لدراسة ما اختزنته عقيدة "الانتظار" من جوانب سيكولوجيّة فعَّالة في حركة الذات الإنسانيَّة المنتظرة.

إنَّ الأفكار الواردة في هذا البحث مجموعة من الخواطر قابلة للصواب والخطأ، فباحث هذه الدراسة لا يزعم لنفسه الوعي الدقيق بالمعاني الإنسانيَّة لتجربة الانتظار والاستيعاب الكامل لدلالتها السيكولوجيّة والتربويَّة والأخلاقيَّة، لهذا يصف ما جاء في هذا البحث من أفكار بالخواطر، والتأملات، والاجتهادات الفكرية، ومن حق ـ القارئ الكريم ـ قراءتها بروح

الموجه الناقد، وسوف أستمع لكل " نقد " ولكن سأقول " سلاماً " لكل قول ينبئ عن "حقد".

لقد قفزت في ذهني الرغبة في تسجيل وتجميع هذه الخواطر التأملية المتواضعة حينما كنت أستعد لإلقاء محاضرة عن مفهوم الانتظار بأحد المواسم الثقافية التي اعتاد المنتظرون " للمهدي " إقامتها في شهر رمضان سنة ١٤٠٩هـ.

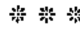
فأثار ـ انتباهي ـ وأنا أجمع ـ مادة المحاضرة ـ أنّ بعض كتابات المنتظرين من الباحثين المخلصين لهذه العقيدة، تشير في مواضع متفرقة إلى عدد من الأبعاد والجوانب السيكولوجيّة التي اختزنتها النصوص الإسلاميّة الخاصة بعقيدة المهدي المنتظر عليه السلام.

ولكن المؤسف كما قلنا، أننا لم نجد في هذا الكتابات معالجات مستفيضة معمقة لموضوعنا، بل طرقه الباحثون طرقاً عابراً لا يناسب حجم عقيدة الانتظار، ولا يلبي حاجة المنتظرين لدلالتها السيكولوجيّة والدينية والمعرفيّة بخاصة في عصر صعب يحاصر كل من يؤمن ـ بإخلاص ـ بعقيدة الانتظار.

لقد شدَّ فضولي وجود ثروة كبيرة من التوجيهات النفيسة التي تستبطنها عقيدة الانتظار، وبدأت أتحرك ـ يميناً وشمالاً ـ باحثاً عن هذه الثروة النفسيَّة، وتجميع ما يمكن تجميعه، وفي البدايات الأولى من جهدي لم أجد تفصيلاً موسعاً لمخزون الانتظار الروحي والثقافي، وقد صعبت عليَّ المسيرة ـ في بادئ الأمر ـ ولكن ذلك لم يمنعني من متابعتها بالبحث والتقصي مستفيداً من الاجتهادات المحدودة التي أشرنا إليها، واجتهدت ـ ما أمكن ـ في الإضافة، والوصول بالمحاولة إلى مستوى أفضل.

ولا يزعم ـ باحث هذه الدراسة ـ الوصول إلى مبتغاه، لكن يمكنه القول بأنّه يحاول تجاوز نقطة " البداية " ويأمل أن يكون هذا التجاوز حركة أفضل

في الاتجاه الصحيح لتأسيس مَا يمكن تسميته "علم نفس الانتظار "[(١)] .. وحركة تنقل ما انطوت عليه سيكولوجية الانتظار من إطارها النظري المتكدس في باطن النصوص الإسلاميّة إلى ميدان العمل والممارسة والتنظيم و التوجيه لسلوك جماعات " المنتظرين " ولا يهمه بعد ذلك أنْ تكون أفكاره في هذا البحث مجرَّد خواطر كما يسميها أو تحليلاً نفسياً كما أسماه آخرون.



بعد أن استكملت المخطوط الأصلي في أكتوبر ١٩٨٩م حفظته في الخزانة منذ ذلك التاريخ على أمل العودة إليه مرة أخرى للمراجعة والتعديل والإضافة، وبقي مخطوط هذا البحث محجوباً في الخزانة حتى بداية عام ١٩٩٨م، إذ عدت إليه أتصفح صفحاته وأتنقل بين سطوره، فوجدته بحاجة للتعديل والتطوير وإعادة الصياغة ليناسب ما استجد من فكر وآراء وتغيرات وحوادث، فبدأت ـ مرة أخرى ـ في عمل جديد معه لترميم ما جاء فيه من نواقص سواء في مادته العلميَّة أو في صياغته اللغوية أو في تنظيمه المنهجي.

وقد استغرقت عملية ترميم البحث وإعادة بنائه في المجالات الثلاثة المذكورة حوالي عاماً واحداً كانت بالنسبة لي أكثر صعوبة من عملية جمع مادته الأولى وتنظيمها وكتابتها، لأنَّ عملية الترميم حاولت الوصول "بالبحث" إلى مستوى علمي أفضل، وأكثر نضجاً واكتمالاً، وهذا تطلب إدخال عناصر بحثية إيجابية على عملية التعديل والترميم.

فعملية التعديل اقتضت النظر في البناء اللغوي السابق للبحث، وتطلبت استخدام صياغة لفظية مختلفة نسفت نصف المخطوط أو "النصف الأصلي"

---

(١) نأمل أن يكون هذا العلم المقترح مجالاً جديداً لدراسة قضية الانتظار وأبعادها السيكولوجيّة، وتفهم الخصائص الثقافية والسيكولوجيّة للمنتظرين وكذلك العوامل المؤثرة في ذهنيتهم وسيكولوجيتهم العامة، ويفترض أن يهتم هذا العلم بالنص الانتظاري الذي يوجه سلوك المنتظرين وتحليله في ضوء المفاهيم السيكولوجيّة العامة.

للبحث، ولم يسلم النصف الآخر من المراجعة اللغوية وتعديل ما تطلّبه التعديل من حذف أفكار وإضافة أفكار أخرى.

كما تطلبت عملية الترميم كذلك تنظيماً آخر في خطة الدراسة وتبويب فصولها، فقد أعدنا ترتيب موضوعات البحث وتعديل بعض عناوينه الرئيسيَّة والفرعيَّة، وحذف بعض الأجزاء، وإضافة فَصْل جديد يهتم بموضوع جديد هو الفصل الرابع بديلاً عن فصل سابق رأيناه لا يناسب السياق الفكري العام للدراسة.

وتضمن التنظيم المنهجي أيضاً البحث عن المصادر لتوثيق النصوص التي استخدمناها في صياغة مادته المعرفية ومحتواه الثقافي، حيث أننا لم نستخدم في النص الأصلي أسلوب التوثيق العلمي والتحديد الدقيق لمصادر الروايات والنصوص، وتذييلها في هوامش البحث ليسهل مراجعتها.

وقد اضطرني هذا الخلل، والنقص المنهجي إلى البحث ـ مرَّة أخرى ـ في المراجع والمصادر الإسلاميَّة المختلفة خاصة الكتب التراثية عند الفرق الإسلاميَّة التي اهتمت بعقيدة « المهدي المنتظر »، وذلك بغرض تحديد دقيق لمصادر كل نص اعتمدناه في دراستنا، واستعنَّا به في توضيح أفكارنا، وانتهى هذا الجهد الجديد بوضع هوامش موثقة للنصوص التي في مخطوط البحث ونصه الأصلي، وبذلك تغلَّبْنا على صعوبة كبيرة واجهتنا في عملية الترميم، وسهَّلنا على القارئ الكريم مهمة البحث عن النصوص من مصادرها الأصليَّة ومراجعتها ومتابعتها.

وتمخضت عملية الترميم عن ميلاد جديد للبحث مؤلف من خمسة فصول عالجت بعض الجوانب السيكولوجيَّة سواء السلبيَّة أو الإيجابيَّة في عقيدة المهدي المنتظر كما تصوَّرها على حد سواء المؤيدون والمعارضون معاً.

لقد قابلنا في هذه الدراسة بين وجهة نظر الفريقين، واستخدمنا في

المناقشة أسلوب التحليل النفسي لفهم محتوى النص الروائي وأحداث "الواقع" التاريخي وتأثيرهما في التركيبة النفسية لأفراد جماعة المنتظرين في كل مكان وفي كل زمان.

نأمل أنْ تستثير هذه الدراسة تفكير القارئ الكريم وتثريه.. وأن ينال رضا الله تعالى، إنّه سميع مجيب.

في البحرين / ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠م.

**يوسف**

# الفصل الأول

## دراسة أولية لمفهوم الانتظار

**تمهيد:**

تعتبر عقيدة المسلمين في المهدي المنتظر عليه السلام منذ لحظة الإعلان عنها والتبشير بها في العصر النبوي من أكثر قضايا الفكر الإسلامي موضعا للجدل وتصادم الرأي وتعارضه، وكانت على امتداد تاريخنا الثقافي الطويل قضية جدلية وخصبة تشغل بال العلماء وتستثير تفكير الرواة والمؤرخين والمهتمين بقضايا الفكر والعقيدة والاجتماع السياسي.

وأصبحت منذ ذلك التاريخ موضوعا للبحث والتداول العلمي، وتولّد عن اهتمام العلماء و اجتهاداتهم فكر جدلي مستمر ـ ولله الحمد ـ إلى يومنا هذا، وما تزال هذه العقيدة تحمل في طياتها الداخلية قدرة على استثارة التفكير، وتبادل الرأي.. والأخذ والرد.

وحفلت المكتبة الإسلامية بعدد من الأبحاث والمؤلفات التي تناولت هذه القضية من زوايا متعددة، ووجهات نظر متنوعة.. مؤيدة لها أو معارضة، وما تزال هذه العقيدة بسبب طبيعتها الجدلية مثار حوار نقدي مستمر وموسع، وقابل للنمو والإثراء.

وعلى الرغم من وجود وتنوع المؤلفات الهامة حول المسألة، فإنها حتى الآن لم تأخذ ـ في نظرنا ـ حقها من البحث والدراسة المتجددة المستفيضة، فمعظم الدراسات التي تناولتها قد عالجتها بالتركيز على جانب دون آخر، فقد غلب الطابع الروائي على حركة البحث والتأليف، أي عالجت

هذه الدراسات قضية المهدي والإيمان بها معالجة قائمة على سرد الروايات النبوية كدليل إثبات على صدق هذه العقيدة وكشاهد إثبات على صحتها.

وهذا الاتجاه الروائي منطقي وأساسي لتأصيل العقيدة وتجذيرها في عقول الناس ونفوسهم، ولكن قدرات العقل البشري يمكن أن تساعد على إثراء هذه العقيدة بطريقة أخرى، فالطابع الروائي حصن كل عقيدة إسلامية، وهو روحها الأصيل القادر على إقناع المسلمين بصحتها، لذلك تطلبت هذه العقيدة لأهميتها الروحية تكثيفا وتمحيصاً في النص كماً وكيفاً، لدرجة رأى فيها العلماء من الرواة، ونقلة الحديث والمؤرخين على حد سواء أن مسألة الإمام المهدي عليه السلام وقضيته قد بلغت ـ روائيا ـ حد التواتر المعنوي حتى قال ابن حجرالعسقلاني في كتابه [ نزهة النظر ] أن الخبر المتواتر الوارد حول المهدي يفيد العلم ولا يحتاج العمل به إلى البحث والتحقيق[1] لأن قضية المهدي المنتظر، والإيمان بظهوره المبارك في آخر الزمان ليجدد الدين ويعيد للأمة الإسلامية هيبتها، قد أصبحت مشهورة بين المسلمين.

وقد أشار إلى تواتر الخبر أيضا في مسألة المهدي وانتظاره التاريخي في آخر الزمان عدد من العلماء والرواة، وكتّاب الحديث، وكثير منهم من علماء أهل السنة[2].

---

(١) كتاب بقية الله " بحث الأستاذ حسين الزنجاني " ص ١٩٧ نقلا عن كتاب ابن حجر المذكور أعلاه ص ١٢.

(٢) قال بالتواتر المعنوي القاضي الشوكاني في الفتح الرباني، والشريف البرزنجي في كتابه الإشاعة لاشراط الساعة ص١١٢، والشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه لوامع الأنوار ج٢ ص٨٤، والشيخ صديق حسن خان القنوجي في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، وكذلك الشيخ محمد جعفر الكتاني في كتابه " نظم المتناثر من الحديث المتواتر " انظر مقال الشيخ يوسف بن عبدالرحمن البرقاوي في مجلة البحوث الإسلامية ص ٣٤٥ - ٣٤٨، وكذلك ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة، والسبلنجي في نور الأبصار وابن الصباغ في الفصول المهمة، والصبان في أسواق الراغبين، والكنجي الشافعي في كتابه البيان/ انظر أيضاً كتاب بقية الله ص ١٩٨.

وإذا كان بعض علماء الحديث السنة قد أكدوا على تواتر الخبر في مسألة المهدي المنتظر كما رأينا، فإن قسما منهم اعتبر " إنكار" المهدي كفرا صريحا بالله وبما نزل على الرسول محمدﷺ، وقد شدّد بعض حفاظ الحديث ونقلته من هؤلاء العلماء الأجلاء رضوان الله عليهم على الإيمان بالمهدي كعقيدة دينية واعتبروه حدا فاصلا بين الإيمان والكفر كما تشير إلى ذلك أقوالهم، ومن هؤلاء ابن حجر الهيثمي، ويوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي ونسجل ـ هنا ـ موقفهما من كفر منكر المهدي.

يروي المقدسي السلمي رواية عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري يقول فيها: قال رسول اللهﷺ من كذّب بالدجال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر[1].

أما ابن حجر الهيثمي الذي عاش في العصر العثماني فيرى أن عدم الإيمان بالمهدي هو كفر صريح بشريعة محمدﷺ وما نزل عليه من وحي، وقد تصدر هذا المعنى كتابه " القول المختصر في علامات المهدي المنتظر " فقال رحمه الله: "ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: من كذّب بالدجال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر"[2].

إنَّ ابن حجر ابتدأ بهذا النص وشدّد عليه في مقدمة كتابه. كذلك صاحب كنز العمال ( المتقي الهندي ) أكّد على هذا المعنى في كتابه (البرهان) عند حديثه في البابين الثاني عشر والثالث عشر[3]، فقد أورد نص الرواية السابقة. ونقل لنا فتاوى بعض العلماء بهذا الشأن!!

كل ذلك التركيز على الجانب الروائي للعقيدة نقر به ونؤكد عليه، لكن

---

(١) عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر ص ٢٠٩، كذلك القول المختصر لابن حجر ص٢١.

(٢) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص ٢١.

(٣) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ص ١٧٠، ١٨٢.

هذا الجانب لم يحرم العقل الإنساني من الحركة والاجتهاد في فهم مضامين النصوص الروائية ومحتوياتها، وتفسيرها وفق اتجاهات عقلانية تعزز بالتأكيد قوة هذه العقيدة وتساعد على تأصيلها مستلهمة الروح الروائية كركيزة في تحقيق المقاصد، فالرواية مجرد أداة أساسية لتأصيل العقيدة.

بيد أن العقل البشري الذي يمجده المشرع الإسلامي ويحترمه يتيح له فرصة الفهم والتأويل والتفسير العقلي الذي يخدم أهداف عقيدة المهدي وغيرها، ومن هنا نرى ضرورة تدعيم عقيدة انتظار الإمام المهدي بدراسات تحليلية سواء ذات نظرة تاريخية أو أدبية أو أخلاقية أو سيكولوجية، لأنه من الصعب إهمال المنهج التحليلي وفعاليته في دراسة عقيدة الانتظار واستنباط معطياتها الاجتماعية، والأخلاقية والسيكولوجية والسياسية في حياة الإنسان المسلم.

وقد مالت بعض الدراسات والأبحاث مؤخرا إلى الأخذ بالطابع التحليلي القائم على أرضية روائية عقلانية في آن معا، ولكنها ما تزال حتى الآن في طور البداية، نأمل أن تنمو.

قد يكون التحليل التاريخي أوسع حركة وأكثر تقدما من أي نمط تحليلي آخر، بيد أننا نحاول في هذه الدراسة الأخذ بنمط تحليلي آخر قائم على فهم المعطيات السيكولوجية لحركة الانتظار وثقافة المنتظرين، ولا نزعم بالتأكيد أننا الذين اكتشفنا هذا الاتجاه التحليلي الجديد، فهناك دراسات ألمحت قبل دراستنا لبعض الجوانب النفسية [١]، ولهذا نحاول أن نسلك هذا الاتجاه ونكون أعضاء فيه، ومتأثرين بخصائصه.

إن حركة التحليل النفسي لعقيدة الانتظار وسلوك المنتظرين ما تزال ـ

(١) انظر كتاب " بحث حول المهدي " للسيد محمد باقر الصدر، وكذلك مقال العلامة فضل الله " عقيدة المهدي في خط الانتظار " مجلة الثقافة الإسلامية عدد ١٢ سنة ١٤٠٧هـ.

حتى الآن ـ في بداياتها الأولى، وإن الدراسات التي ألمحت ـ من قريب أو بعيد ـ لبعض الخصائص والجوانب السيكولوجية لهذه العقيدة، لم تعطنا سوى إشارات محدودة لأنها غير موجهة أساسا لاكتشاف الخصائص السيكولوجية الناضجة في عقيدة الانتظار.

ولا تنضج الأفكار ـ عادة ـ إلا باستمرار الجهود الفكرية و الثقافية وتراكمها، ولا نتوقع أبدا أن تنضج الدراسات التي تهتم بالأبعاد النفسية لعقيدة الانتظار إلا بمحاولات مخلصة ومكثفة من البحث العلمي الدؤوب الذي يتقصى هذه الأبعاد ويكشفها حتى يتسنى معرفة أهميتها في حياة أمة أو جماعة كاملة تؤمن بالانتظار ومفاهيمه، وحتى يدرك المحرومون ـ وهم يعيشون في عالم مأساوي ـ أهمية مفاهيم الانتظار وفاعليتها السيكولوجية، فيتطلع هؤلاء المحرومون إلى التغيير الحاسم الذي ينهي ـ إلى الأبد ـ كل مظاهر البؤس، والمعاناة، والاستضعاف، ويصفي أسوار حالة الاضطهاد التاريخي الذي عاشوه.

إنَّ الوعي الصحيح لمفاهيم " الانتظار " هو المدخل الرئيسي لتلك النهاية الموعودة التي يتمنى ـ كل مؤمن منتظر ـ أن يعيشها بحرارة، ويتفيأ ظلالها الوارفة.

ويبدو أنه قد حان الوقت للتركيز على هذه الأبعاد، وبخاصة أنها تشكل رصيدا نفسيا ضخماً له فاعليته الكبيرة في إعادة التوازن والبناء النفسي للشخصية المسلمة من جديد في زمن الغيبة الكبرى، وتساعد تدريجيا على تغيير المعادلات الدولية لصالح المسلمين.

إن خطوة الألف ميل كما في القول المأثور تبدأ من خطوة واحدة، وبالذات إن إيمان عدد كبير من أفراد الأمة بعقيدة الانتظار يوفر الظروف المناسبة لإنضاج الاتجاه النفسي في دراستها، ولذا نرى من المتوقع أن يعير المسلمون المنتظرون اهتماماً متزايداً لهذا الاتجاه الحيوي، وبخاصة أنّ فهم

النفس أصبح اليوم من أسلحة الصراع الحضاري والثقافي بين القوى المستكبرة و الأمم المستضعفة، فالحاجة ماسة لوضع هذه الظاهرة تحت أضواء ما يمكننا تسميته بالمجهر النفسي.

وإذا أجزنا لأنفسنا استعمال مصطلح " المجهر النفسي " فإن هذا المصطلح يتسع لرصد كل أو بعض الأبعاد النفسية لظاهرة الانتظار التي يعيشها ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لكن لا نتوقع أن ترصد هذه الدراسة جميع هذه الأبعاد، وكل ما في الأمر أنَّ هذه الأبعاد جميعا تظهر على شاشة المجهر النفسي، إلا أنّ الباحثين تتفاوت قدراتهم في رؤية الأبعاد، وتصويرها وتشخيصها.

ونرى أنه كلما اهتم الباحثون المسلمون بمعرفة هذا الجانب من ظاهرة الانتظار أو ذاك، زادت مقدرة الفرد المسلم على معرفة عدد أكبر من أبعادها، وهو كما يعلم القارئ الكريم أمر حيوي يعينه على تحديد موقف حاسم في قضية من أكثر قضايا الفكر الإسلامي إثارة في ماضيه وحاضره ومستقبله بخاصة بعد حدوث انتكاسات حضارية كبرى للأمة في القرون الأخيرة.

وإننا على ثقة كاملة بأن معين هذه الظاهرة لا ينضب أبدا حتى يأذن الله بظهور وليه "المهدي" لهذا يتوقع أن تزداد قدرة الفرد المسلم على رؤية الأبعاد النفسية خلال فترة الظهور، لأن الرؤية والفهم والتفاعل معها تتسع بالمشاهدة والممارسة لا بمجرد كلام مكتوب على ورق، فالأحداث الجارية والمواقف المعبرة عن تكيف الفرد المسلم مع القضية تشكل مجتمعة روح القضية. . قضية الانتظار.

وقد لاحظنا بالفعل دراسات قليلة توجه أنظارنا إلى بعض الأبعاد النفسية في مسألة انتظار المهدي، لكونها ذات أهمية في صوغ مستقبل العالم الإسلامي، ولكونها ضرورية في ميدان المواجهة الثقافية والحضارية بين المنتظرين وخصومهم.

ويمكننا القول إن التعرف على هذه الأبعاد النفسية هو واجب شرعي قبل أن يكون عملا ثقافيا أو طموحا علميا محضا، فمعرفة الذات ومعرفة المنهج ـ وهما فقه العمل اليومي للمسلم ـ عنصران أساسيان يعتمد عليهما الإسلام الأصيل في صنع حضارة المستقبل سواء كانت في عصر الإمام عليه السلام نفسه، أو في خلال الفترة التمهيدية السابقة على ظهوره.

ومن هنا فإنه من الخطأ أن يستمر الجهل بالأبعاد النفسية، وبخاصة أنها من شروط الانتصار، وإعادة النهضة الإسلامية المعاصرة والمستقبلية، ويدرك الباحثون المسلمون المنتظرون المهتمون باستشراف مستقبل العالم الإسلامي أنَّ جهل الأمة بمثل هذه الأبعاد يضعف من قوتها في حركة الصراع ويؤجل دون ما شك النصر واستئناف الحياة الإسلامية كاملة من جديد.

ولمّا كانت مسألة الانتظار تجربة عملية ونظرية تقوم على معاناة نفسية دائمة، وصادقة في حياة المنتظرين ـ وبخاصة العلماء والمجاهدين ورجال البحث المحققين في الدراسات ـ فإن مسألة نضج المحاولات لفهم هذه الأبعاد للانتظار يتوقف بالتأكيد على هذه المعاناة ؛ والقدرة على توظيفها واستثمارها، فلا يتوقع أحد من باحثٍ لا يعيش مسألة الانتظار وروحها، ولا يتفاعل مع نسماتها أن يلتفت إلى أبعادها المختلفة، بل قد يعارضها بمواقف تعصب حاقدة بعيدة عن التسامح.

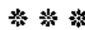
وفي الوقت نفسه رأينا من هؤلاء الباحثين العلماء العاملين من "منتظري الإمام" من صهر نفسه في المخزون الروحي و العقائدي للإسلام وأصبحت قدرته على مواجهة معارضي هذه العقيدة أصلب عوداً وأشد تمرسا وأنضج وعياً، وأثبت كفاءة في الدفاع عن أصالة الذات المنتظِرَة يحسب لها المعارضون ألف حساب.

نأمل في المستقبل القريب إن شاء الله اهتماماً أفضل يؤدي إلى اكتشاف مزيد من هذه الأبعاد التي تمكن المنتظرين ـ بخاصة العلماء والمثقفين ـ من

توظيفها في حركة المواجهة مع الآخرين، فتنفع هذه الأمة وجماهير هذه العقيدة خلال تدافعها الحضاري مع المعارضة لاسيّما وأن العوامل النفسية تكون دائما من أهم شروط الغلبة في المعارك الحضارية و العقائدية.

ولهذا كله ينبغي أن يهتم الباحثون المسلمون بالدلالات النفسية لمفهوم الانتظار، ولكن لا ينبغي أن يكون الاهتمام لغرض علمي فحسب، بل لهدف تطبيق يستثير القوة النفسية لهذا المفهوم، ويوظفه كأداة للنصر في ميدان المعركة الحضارية، ولعلَّ في الإشارة ـ هنا وهناك ـ لمسألة البشائر في بعض النصوص الإسلامية التي تهتم بحركة الأحداث المستقبلية دلالة واضحة على ضرورة توجه هؤلاء الباحثين المنتظرين نحو هذه الأبعاد النفسية في البشارة الإسلامية.

فالبشائر مثلا خلال فترة الانتظار أو زمن الغيبة الكبرى تجدد الأمل وتبعثه بقوة في كيان النفس المسلمة مهما ادلهمت الخطوب واشتدت المظالم، حتى أثبتت الأحداث الجارية اليوم أنَّ هذه البشائر قلبت الموازين عند الآخرين ـ وبخاصة أعداء الأمة ـ على غير توقع، تحولت الأحداث الجسام التي تحدق بالمنتظرين وتنذرهم بخطرها إلى بشائر وانتصارات تاريخية للأمة، بل إن هؤلاء الأعداء ينتابهم الذهول عندما يجتاز المنتظرون المؤمنون بعقيدة المهدي تلك الصعاب بنفسيات جديدة عالية، وبمعنويات عالية يتدفق من خلالها الحماس وقوة الإرادة، والشعور بالمسؤولية، وصلابة التحدي.



لقد عاشت الأمة في تاريخها المعاصر أحداثا صعبة اجتازها المنتظرون بأمان يثير ذهول أعدائهم، وعلى الرغم من أننا لسنا بصدد تحليل هذه الظاهرة ومعرفة أسرارها، غير أن بعض العوامل كاللطف الإلهي، وحكمة هؤلاء المنتظرين في تصرفهم مع الأحداث وجهادهم المستمر، والفعالية المعنوية للبشائر التي نبَّهَ لها النص الإسلامي الكريم هي من أهم العوامل التي تقلب الموازين والتوقعات لصالح المنتظرين لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وإذا كانت هذه البشائر تنطوي على عناصر نفسية إيجابية فإن إمداد فئات الأمة بها ـ وخصوصا الشباب ـ هي من مسؤولية العلماء والمجاهدين ورجال الكلمة الإسلامية الصادقة، فلا يكفي معرفة البعد النفسي للبشارة النبوية، وإنما الأهم من ذلك أن يتحول هذا البعد إلى عطاء حقيقي يشحن النفوس بالمعنويات العالية ويفجر الطاقات المعطلة في عقولنا، وكياننا بأكمله.

وعندما نحث مفكرينا المخلصين على بحث هذه الأبعاد النفسية للانتظار، فإن ذلك لا يعني إهمال الجوانب الأخرى للمسألة كالاستعداد المادي، وبناء القدرات العقلية لأفراد هذه الجماعة المنتظرة، وذلك لأن قضية الانتظار لا تكون فعَّالة في حياة المنتظرين إلاَّ بمعرفة مختلف الأبعاد النفسية والمادية، وإدراك أنَّ القوة المادية هي الوجه العملي والتطبيقي للأبعاد النفسية، إذ يكون كل منهما وجها للآخر، فالجانب المادي والجانب المعنوي يلتحمان في نسيج واحد يساعد على إنضاج وعي " انتظاري " لدى أفراد الجماعة التي ترقب الظهور المبارك، وهذا التلاحم المتوازن في صدارة المسؤوليات العبادية التي تقوم بها أية دولة إسلامية تتمكن من الإعلان عن نفسها في فترة الغيبة الكبرى وتؤمن بثقافة الانتظار وقيمها العبادية وإن كان مقدار التوازن في تلاحم القوى المادية والمعنوية للمجتمع يتفاوت بين دولة الإسلام في عصر الظهور، ودولة الإسلام في عصر الغيبة لأن الله سبحانه يمنُّ على البشرية في عصر الظهور بقيادة تاريخية لا تتكرر، وتصل بالتوازن بين قوى المجتمع آنذاك إلى أقصى حدوده، فتنمو القدرات العقلية[1]

---

(١) جاء في الروايات ما يشير إلى اتساع العلوم وتقدمها، قال الباقر عليه السلام: " إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم " / منتخب الأثر ص ٤٨٣. ويقول الإمام الباقر عليه السلام أيضا: " تحكم المرأة في بيتها على أساس كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله " / بحار الأنوار، مجلد ٥٢ ص ٣٥٢.

الإنسانية في مجتمع الظهور وتسمو أخلاقياته، ويبلغ استعداده المادي مبلغه الذي لم تعرفه الإنسانية في تاريخها الطويل، بيد أن قدر التوازن بين قوى المجتمع الذي تحققه دولة الإسلام في فترة الغيبة يكون مقدمة لما تقوم به دولة الظهور من إنجازات تسعد الإنسان.

**المعنى الصحيح للانتظار:**

تمثل كلمة الانتظار معنىً إسلاميا واسعاً يمتزج فيه شعور الإنسان المؤمن بفكره، وعمله، وقيادته الحقيقيَّة، وإذا جمعنا دلالة اللفظ بمعنييه اللغوي والاصطلاحي فسوف نجد تكامل وظيفتيهما في تكوين الشخصية المؤمنة وإعدادها لمواجهة واقع الانحراف خلال زمن الغيبة الكبرى إلى يوم الخلاص أو يوم الفتح كما جاء في دعاء الندبة.

وبتأمل مصادر عقيدة الانتظار نجد أن أول ما حرصت عليه هو تأكيدها على أهمية الشعور بالمسؤولية وتوظيفه لتحقيق الأهداف الإسلامية خلال الغيبة الكبرى، فالانتظار ممارسة عبادية للواجبات التكليفية، وتهيؤٌ نفسي وعقلي لأداء هذه المسؤوليات، وبهذا فإن تجربة الانتظار ليست فقط شعورا وجدانيا، بل هي كذلك وعي في عقل الفرد المؤمن وانضباطه الكامل بأحكام الإسلام وتشريعاته، لذلك انبعثت عن هذا الإحساس الفطري سلوكياتنا ومشاعرنا وأفكارنا كمنتظرين، وهو قطب تكويننا العقائدي التربوي، فالانتظار يغمر قلب الإنسان المنتظر بحياة افضل يسودها العدل، وبيوم سعيد لا ظلم بعده.

هذه القوة النفسية ـ الشعور بأمل أفضل للغد ـ عامل مؤثر في حركة المجتمع وتنشيط قواه لمواجهة الصعوبات، وهذا يعني بأنه ما يزال هناك ـ أمام الإنسانية ـ فرصة تاريخية لإقامة مجتمع جديد يتولد من أمل الانتظار، وبخاصة أنَّ ثمة أمراض متنوعة تواجه الإنسان في عصر الغيبة الكبرى تجعل التغيير ضرورة إنسانية، وتلبية لمطلب نفسي ملح، فالإنسان يشعر بعقم حياته

وخلوها من المعنى والهدف ما لم يتحقق هذا الطموح.

لكنّ الانتظار كأمل عظيم لا ينشأ كما قلنا من قدر غيبي، بل ينشأ من أسباب موضوعية قائمة على اعتبارات عملية تنبع دائما من جهد يصنعه البشر أنفسهم، فالفساد الشامل الذي يُغلّف حياتنا يجعل النفوس يائسة مكفهرة مثقلة بالأحزان، متأهبة للتجاوب مع كل وميض أمل وإشراقة، وهكذا نجد النفس المعذبة، الخائفة من ثقل مأساتها يشدها وتر المستقبل وتندفع ـ بتخبط أحيانا ـ بين شعابه ودوائره تبحث عن الأمل الذي يمدها بالحيوية والنشاط، ويغمرها بالطمأنينة والثبات القلبي، لكن أمل الانتظار هذا لا يكون موضوعيا إلاَّ إذا فهمه المسلم المعاصر المنتظر في نطاق عملي.. نطاق التعامل مع الواقع.. نطاق التشخيص والتغيير القائمين على وعي كامل بالقوانين الإلهية التي تحكم الحياة، وبالسنن التي تحكم حركة التاريخ وتضبط مساراته.

ويقوم هذا الواقع والتعامل معه على أساس جهد إنساني، وهو جهد ينبع من اعتبارات عقيدية وروحية وماديَّة تكشف أمراض الواقع وتعالجها أولاً، وتربي البشرية على هدي الكتاب والسنة كمنهج حياة ثانياً، وذلك من أجل ترتيب حركة السير نحو المستقبل بوعي ودراية ويعني هذا أنَّ ضمان تحقق هذا الأمل ـ رغم أنه وعد إلهي تنتظره البشرية بشوق ـ مرتبط بالعمل البشري، فهو عنصر هام جداً لتحقيق بشارة الانتظار الموعود، والفساد والإصلاح التربوي للإنسان وجهان لهذا الجهد، وإن كان أحدهما وجه إيجابي لحركة التغيير، والآخر وجه سلبي، لكنَّهما يوجهان التاريخ والمستقبل الإنساني نحو تحقيق كامل للبشارة الإسلاميَّة.. بشارة ظهور الإمام.

إن انتظار الإمام عليه السلام أمن جماعي لمستقبل أكثر إشراقا وأقل عذابا أو مستقبل مليء بالأمان، يخلو من كدر الظالمين.. إن هذا الأمل يستند إلى وعد إلهي، فهو إذن ليس مغامرة في المستقبل، وإنما هو سير نحو المستقبل على بصيرة، وهو أمل يرفض الهزيمة وظلمة الإحباطات المتشائمة بمستقبل

إنساني، إنه عمل مخلص يوفر الشروط الموضوعية للتغيير ويركز على بناء الحياة وعمارة الأرض وإصلاح المجتمع، كما أن هذا المستقبل مشروط بالصبر على الأذى في جنب الله، والصدق في تناول الحياة والتعامل معها ومع المجتمع، والرضا بقضاء الله تعالى [١] وقدره.

وهذا هو الفهم الصحيح للانتظار الذي يبعث الأمل بإقامة مجتمع جديد تسوده عدالة السماء، وهذا الذي يجعل " الأمل " موضوعياً قائما على عناصر الوعد الإلهي، والعمل البشري، وفهم السنن الاجتماعية.

والانتظار بهذا المعنى يمهد الأرضية الصالحة للمصلح المنتظر، حتى إذا انتفض لا يجد نفسه غريباً يبني ابتداء من الحجر الأساس وإنما يجد نفسه يرفع البناء على من سبقه[٢] من المجاهدين العاملين في حقل العمل الإسلامي.

وقد وردت نصوص إسلاميّة تمجد هذا المعنى.. منها:

" المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله "[٣].

" أفضل العبادة انتظار الفرج " أي انتظار الفرج بظهور المهدي عليه السلام[٤].

" أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل "[٥].

" من مات منكم على هذا الأمر منتظرا كان كمن هو في الفسطاط للقائم عليه السلام "[٦].

---

(١) حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام / شمس الدين ص ٢١٣.
(٢) كلمة الإمام المهدي / السيد حسن الشيرازي ص ٢٠.
(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة للصدوق ص ٤٩٦.
(٤) ينابيع المودة للقندوزي ج٣ ص ١٣٤.
(٥) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٥.
(٦) غيبة النعماني ص ١٣٣.

" من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه "[1].

" سئل الإمام الباقر عن قوله تعالى: اصبروا، وصابروا، ورابطوا. فقال: اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم "[2].

وفي النص التالي: " انتظار الفرج من الفرج "[3] إشارة نفسية توحي بأن الانتظار بمقاييسه العملية والواقعية ليس مجرد تمنٍ، وليس مجرّد تواصل شعوري بين المسلم وقيادته الروحية الغائبة، بل هو ممارسة صادقة لأداء المسؤوليات الإسلامية وقيام الفرد المسلم بالحقوق والواجبات. وفي ذلك كما قلنا توطئة للفرج المأمول وتحقيق للظهور المبارك.

ولكن يلاحظ كذلك أن الانتظار وحده تمهيد للفرج نفسه، وسبيل للحصول على طمأنينة النفس، وبالتالي فإن الانتظار ليس مجرد توقع للأمل بلا عمل عبادي، بل هو تهيئة للشروط التي تحقق الأمل أو لوقوع السكينة والطمأنينة في النفس، لأنه عادة ما يستمد الإنسان المنتظر أمله في المهدي الموعود عليه السلام من وعد الله سبحانه بإظهاره وتمكينه في الأرض متى شاء، وفي أي وقت يشاء، لأنَّ الله لا يمنعه أحد من تنفيذ وعده في الأرض ولا في السماء، فأمره واقع ليس له من دافع، وإذا تركنا الأمر لله تعالى يصرفه كما يشاء، وإذا انسجمنا مع قوانينه في حركة المجتمع والتاريخ، فتعاملنا مع مفهوم الانتظار بنظرة إيجابية، وعطاء وسعي، وتنفيذ لإرادة الله في تغيير النفوس والأمم، فإنه لن يتملكنا اليأس من ظهور الإمام، وهذا يجعل نفوسنا مطمئنة بأن المستقبل وإشراقة الغد للمنتظرين ويجعل انتظارنا عامل تقدم في

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٤.

(٢) غيبة النعماني ص ١٣٣.

(٣) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٤.

حركة المجتمع، فيكون انتظار الفرج فرجاً فعلياً وواقعياً.

**نقد المفهوم السلبي للانتظار:**

لقد ارتكز في أذهان الكثيرين ممَّن عالجوا موضوع المهدوية أنَّ هذا المعتقد.. هذا الأمل العظيم الثابت بمقتضى وعد الله في الكتاب والسنَّة، والثابت بمقتضى حركة التاريخ الكبرى.. أن هذا المعتقد عامل سلبي في حركة التقدم والنمو يعوقها، ويبعث على السكون ويقعد بالناس عن الحركة والسعي نحو التكامل المادي والمعنوي في انتظار أمل آت ينقذ البشر بالمعجزة بغير جهد البشر.

وربما تكون بعض المظاهر في تاريخ المسلمين تعزز هذا الاتهام، ولكن الحقيقة هي أن هذا اللون من الانتظار السلبي المريض دخل على ذهنية الإنسان نتيجة لانتكاس حضاري تسلَّل إليه من بعض الثقافات البائسة عن الإنسان، فشلَّ قدرته على العمل، لأنَّه شلَّ إرادته وفعاليته وحوَّله إلى حياة التأمل والقناعة والاستسلام.

أما الحقيقة فهي على خلاف ذلك، إن الانتظار نتيجة لهذا المعتقد هو انتظار إيجابي فعَّال، هو تهيؤ واستعداد، هو كدح دائم ومستمر يجب أن يطبع حركة تاريخ الإنسان المسلم نحو توفير أفضل الشروط التي تهيىء لهذا الأمل العظيم أحسن ظروف النجاح والتحقق.

إن حركة التاريخ في دورها المعنوي لا تتوقف، ونوع هذه الحركة ـ تقدمية صاعدة أو رجعية هابطة على صعيد المعنويات والأخلاق ـ يتوقف على إرادة البشر أنفسهم، فهم الذين يبنون عالمهم الأخلاقي الأمثل، وهو لا يُبنى إلاَّ بالعمل الإيجابي الذي يحركه الطموح نحو إنسانية أفضل[1].

فالبشر بانتظار أن يتحقق هذا الأمل العظيم بإذن الله في نطاقهم بما هم

(١) حركة التاريخ عند الإمام علي ص ٢٢٠.

جماعة بشرية عقيدية، ومن خلال الإسلام نفسه بما هو دينهم، . . المسلمون ينتظرون هذا الأمل العظيم قبل غيرهم من الجماعات العقيدية في المجتمع البشري[1].

لكن مفهوم الانتظار ـ كأي مفهوم حركي ارتبط بالواقع وعلقت به شوائب الفهم الإنساني الخاطئ ـ قد تعرض لنقد الباحثين الشيعة، كما تعرض للنقد ذاته سلوك أفراد جماعة المنتظرين، وقد انصب النقد السلبي على المفهوم في ممارسات بعض المنتظرين.

بعض هؤلاء المنتظرين يرى ترك الفساد يبلغ مداه ليظهر الإمام، ويذهب بعضهم إلى أن مقاومة الظالمين إلقاء بالنفس في مواطن التهلكة، ولذلك يمارس هذا الجزء من الناس انتظاره ـ بمفهوم سلبي ـ في نطاق بعيد عن أذى الظالمين حتى لو قدّم ـ طواعية ـ تنازلاً عن مبدأ عبادي أو صمت عن حق مغصوب أو انسحاب من الواقع، وعدم مبالاة مما يجري في الواقع الاجتماعي والأخلاقي والسياسي للمجتمع.

إن فكرة الانتظار ذاتها قائمة على مبدأ المقاومة، والجهاد لا ضد الظالمين فحسب، بل ضد شهوات النفس ورعونتها، ولا يتحقق المعنى الصحيح لها بدون الورع ومحاسن الأخلاق، والتقوى، والمرابطة، والصبر وتحمل الأذى، وبهذا يَنطوي هذا المفهوم على شجاعة يجب أن تتوفر في شخصية المُنتَظِر.

فالشجاعة موقف نفسي وأخلاقي تمتزج فيه حكمة الفرد المؤمن مع المبادئ الأخلاقية التي انطوت عليها عقيدة الانتظار، والتي يؤمن بها، بحيث يتجاوز المنتظر كل خوف من الناس من أجل الله، ويتمسك فيه برجائه، ولهذا دائما يحاول المؤمن بعقيدة الانتظار أن ينتصر على ذاته ويقهر اندفاعها،

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٩.

ويسيطر بشجاعة على الزوائد الضارة من الشهوة بين جنبيه إعلاءً لإرادة الحق.

إن أغلب الأزمات النفسية التي تواجه المقهورين ليست ناشئة فحسب عن شدة تأصل الظلم في طبائع الطغاة المستكبرين العابثين بمقدرات عباد الله، وإنما ناجمة أيضا عن ضعف مقاومة هؤلاء المقهورين لضغوط قوى الظلم أو نتيجة سيطرة روح الجبن في نفوسهم، وبملاحظة تأثير هذا الضعف نجده قد يسهم بشكل وآخر في تقوية نزعة الظلم في سيكولوجية الظالمين، فلا يقوى هؤلاء إلاّ بضعف أولئك، وهذه حقيقة ينطق التاريخ بها، وقد فوَّض الله للمؤمن كل شيء إلاّ أن يذل نفسه [1].

فالمقهورون الكسالى ينتظرون الإمام عليه السلام أنْ يهدم قواعد الظلم، ويؤسس مجتمع العدل من فراغ، وهم لا يفهمون أن التخلي عن مقاومة الظلم سواء صدر من ذات الإنسان أو من الآخرين إنَّما يؤخر حركة الظهور، لذلك ورد في النص الشريف، " كذب المتمنون، وهلك المستعجلون ونجا المسلِّمون "[2].

لهذا "يعيِّر" المنتظرون بالسلبية، وعدم فهم مشكلة الواقع الإنساني ويعجزهم عن معرفة سنن تغييره، فالمسلمون ـ كما يرى باحث مسلم [3] ـ منقسمون في التعامل مع مشكلة الواقع إلى فريقين أحدهما يفترض أن أية مشكلة تخضع لقوانين وينبغي فهمها وكشفها للسيطرة عليها وتسخيرها.

ويميل فريق آخر ـ وهم عامة الأمة ـ إلى موقف آخر غامض إزاء المشاكل، فلا يحدِّد بوضوح عقيدته الموقفية، هل أن للمشكلة سنن؟ وهل

---

(١) ميزان الحكمة ج٣ ص٤٤١.

(٢) غيبة النعماني ص ١٣٢.

(٣) انظر بحث [ حتى يغيروا ما بأنفسهم ] للأستاذ جودت سعيد ص١٧ ـ ١٨.

يمكن كشفها؟ وهل يمكن على أساسها السيطرة على المشكلة وتسخيرها بجهد الإنسان؟

هؤلاء بهذا الفهم كالذين ينتظرون المهدي أو اشراط الساعة، يجيبون سلبا عن هذه الأسئلة فيرون أنه لا سنن للمشكلة، ولا جدوى من جهد الإنسان للبحث عن هذه القوانين، لأنَّ القوانين التي تخضع لها المشكلة تعمل في حياة البشر بطريقة سحرية، خارقة، غامضة الأسباب.

لقد رسخ في أذهانهم أنَّ المشكلة ليس لها من دون الله كاشفة، وأن سعي العالمين ضلال[١].

من هنا تعرض المفهوم بمعناه السلبي لنقد الباحثين الشيعة، وهو نقد ذاتي لسلوك بعض جماعة المنتظرين، لأنَّ حركة الانتظار على حد تعبير العلاَّمة فضل الله تحركت في اتجاهين متناقضين في الخط العملي لحركة الإنسان في الحياة.. لتتجمد هنا ولتتحرك هناك[٢].

وقد استوجب هذا التناقض في فهم "المعنى" الصحيح للانتظار القيام بتجربة نقد ذاتية لسلوك من يمارس هذا المفهوم بسلبية، وضعف، واستسلام للظلم، ويراه حركة انكماش واسترخاء، وانكفاء عن الذات تجنبا للمتاعب التي تنشأ عن المواجهة مع الظالمين، والمنحرفين، وهذا الذي جعل الأستاذ جودت سعيد ينظر إلى الناس الذين يرون أنَّ المشكلة لا تخضع لقوانين كأولئك الذين ينتظرون المهدي أو اشراط الساعة، آملين تغيير الواقع دون فهم للقوانين التي تحكم حركة الواقع وتفسر حوادثه ومشكلاته.

وقد أدى هذا الفهم المريض لعقيدة الانتظار إلى عدة سلبيات في حياة هذا النوع من الناس، ولخَّصها العلاَّمة فضل الله في النقاط التالية:

---

(١) المصدر السابق ص ١٨.

(٢) مقال فضل الله بمجلة الثقافة الإسلامية عدد ١٢ شهر رمضان سنة ١٤٠٧ هـ ص ١٩.

الأولى: تجميد الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي في دائرته العامة، والبقاء في الدائرة الفردية التي تمثل الحالات الخاصة للإنسان المسلم.. مما جعل الفقه محصوراً في هذه الزاوية المعينة، الأمر الذي عطل نمو النظرية الإسلامية من خلال الاجتهاد والممارسة حتى أصبحت الذهنية الفكرية الشرعية، ذهنية فردية، مما ترك انعكاساً سيئاً على الصورة الإسلامية العامة في ذهن الإنسان المسلم..

الثانية: عزل الطاقات الإسلامية عن حركة التغيير في الواقع الإسلامي.. في مواجهة الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. والاكتفاء بالتحرك من أجل دفع الضرر عن النفس، من دون أيّ طموح كبير على مستوى التفكير بالبديل لحساب الإسلام.. بحيث أن كل ما يفكر به الثائرون الذين قد تحركهم الظروف الصعبة التي تفرض عليهم الثورة، مع الآخرين.. ضد الحكم الظالم.. هو أن يحملوا غيرهم إلى المسؤولية.. ليصعدوا على أكتافهم.. وليعلنوا الظلم من جديد.. والثورة لحساب الآخرين من جديد.. والانكماش في زاوية معينةٍ يجترّون في داخلها آلامهم بهدوء.. ويصعّدون صلواتهم لله أن يعجّل لهم الفرج من خلال الغيب.

الثالثة: ظهور حالة الانفعالية البكائية في مواجهة حالات الظلم بالاستغراق في داخل المشكلة.. على أساس أنَّ الحل لها، لا يكمن في إرادة الأمة الباحثة عن حلٍّ، من صنعها ومن تجربتها ومعاناتها.. بل من خلال ما تنتظره من الحل الشامل الذي يحصل على يد الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.. ليحتوي العدل الشامل هذه المشكلة، فيما يحتويه من حلولٍ.

وفي ضوء ذلك كانت الآلام التي تثيرها المشاكل تتحول إلى دموع تترسب في أعماق الذات بدلاً من أن تتحول إلى ثورة تتحرك في آفاق الفكر.. وفي حركة الواقع.

كما أنَّ التطلع إلى المنقذ قد أصبح لوناً من ألوان الارتباط بذاته كشخص عجائبي، بعيداً عما هو الارتباط بالدور الرسالي الذي يتمثل في حركته ورسالته، كإمامٍ مصلحٍ ثائرٍ.. مما جعل المسألة استغراقاً في الشخص أكثر مما هي استغراقٌ في الفكرة.. وفي الحركة.. مما جعل من مسألة الانتظار تجسيداً للعجز المشلول، وشللاً للحركة المتوثبة.. تماما كما هو الإنسان الخانع الذي ينتظر أن يأتي الآخر ليلقي باللقمة في فمه فلا يحرك جسده للبحث عن اللقمة، أو للسعي في سبيل تحضيرها فيبكي إذا تأخر.. إذن الجوع سوف يدمِّر حياته.

وقد تحولت الحالة البكائية إلى معنىً في داخل الشخصية فأصبحت المأساة لديه منطلق دمعةٍ، ومثار صراخٍ حتى عندما تكون نتيجة ثورة في التاريخ.. أو انطلاقة في الحاضر.. فلا تثير لديه إحساس الثورة في قلب المأساة بل تثير ـ بدلاً من ذلك ـ دموع الثورة في عمق المأساة وهكذا رأينا وعي هؤلاء لثورة الإمام الحسين عليه السلام دموعاً تبكي على الشخص البطل الحبيب، لا لثورة تلتهب اعتزازاً وزهواً بالتضحيات التي قد تمثل المأساة في مظاهرها، ولكنها تمثل معنى التمرُّد على الألم في قِمَّة الشهادة.. بحيث لا تعود المأساة حالةً في الشُعور الباكي.. بل تعود حركة في الإحساس المتمرد الثائر..

إنَّ المشكلة هي أنَّ التصور الواعي هو الذي يغير صور الأشياء لدى الإنسان في الواقع.. عندما يتجمد على السطح أو عندما ينفذ إلى العمق..

وهكذا نجد هذه النماذج مشكلةً كبيرةً لكل حركة الإسلام في الحياة، فيما تخطط له من أهداف، وفيما تواجه من تحديات في ساحة الصراع.. لأنَّهم الذين يسمحون للقوى المضادة أن تجعل منها.. بطريقةٍ وبأخرى، وقود الثورة المضادة للإسلام، فيما يثيرونه من قضايا التخلف في الفكرة والحركة والمنهج.. وفيما تربك به خطوات الأمة السائرة نحو التغيير..

وفيما يساهمون به من تحييد الجماهير الغفيرة ضمن ساحة الصراع الكبير بين قوى الحق وقوى الباطل..

إنَّ مشكلة هؤلاء.. هي أنَّهم استغرقوا في انتظار الشخص ولم يستغرقوا في انتظار الرسالة.. فلم يلتقوا بالرسالة في حركة حياتهم.. فيما يمثله انتظارها من جهدٍ في سبيل الارتباط بها.. بل التقوا بالشخص الذي سيأتي من خلال الغيب بعيداً عن إمكاناتهم وإرادتهم، فلم يكلفوا أنفسهم عناء السير نحوه للقاء به في منتصف الطريق[1].

وانتقد عالم مسلم آخر حركة الاتجاه السلبي في سلوك بعض المنتظرين فقال:

وأولئك المتشائمون الذين يندبون الزمان وأهله، ويقرأون العزاء على واقع المسلمين ثم يقعدون ويثبطون الناس عن العمل، بل يشتغلون في انتقاد العاملين وعرقلة عملهم.. هل بنوا حالتهم النفسيَّة بمصادر الإسلام، ومكونات الحالة النفسيَّة فيه؟ كلاً..

إنَّ النزعة المتشائمة التي لا ترى الخير في الأمة لا تأمل بنصر الله تعالى إنَّما هي ناتجة من ضغط مفاهيم الثقافة الغربية والسيطرة الكافرة، ومن التخلف، والشعور بالصَّغار الذي يركزه في نفوسنا الغربيون، وصاحب هذه الحالة غربي الروحيَّة حتى لو كان بزي علماء المسلمين أو كان من أريافنا البعيدة عن الشرعية الاجتماعية المتغربة الموجودة عادة في العواصم والمدن[2].

لذلك ردّ علماء الإسلام والعاملون من أجله على هذه السقطات، فليس في عقيدة الانتظار تغييراً بالمعجزة يأتينا من خلف الغمام دونما جهد إنساني

---

(١) مجلة الثقافة الإسلامية / العدد ١٢، شهر رمضان سنة ١٤٠٧ هـ ص ١٤ ـ ١٦.

(٢) الممهدون للمهدي / الكوراني ص ١٣ ـ ١٤.

منسجم مع قوانين الله في حركة المجتمع، وليس في هذه العقيدة نصوصاً تسوِّغ الانحراف بتفسيرات انهزامية، بل قالت النصوص خلاف ذلك: "جِدوا وانتظروا"[1]، وليس فيها نزعة تشاؤمية، واستعجال، وقعود عن العمل، بل هي انضباط الذَّات على أحكام الإسلام كلِّها قدر ما تطيقه الفطرة، فإن الإنسان في نظر المشرع الإسلامي مكلف وليس خانعاً يستسلم للظروف تحركه كما تحرك الريح الريش.

فالانتظار ليس جرعات دواء تسكِّن ألم القهر أو تخدِّر إحساس الغبن لدى المنتظرين في كل أرض، وفي كل يوم، وليس سبباً للهزيمة يقعد بهم عن مزاولة النشاط الجهادي، فيتقوقع المسلم على نفسه مستسلماً لاجترار عقيدة المهدي، كمتنفس له عمَّا ألمَّ به من نكبات وخوف وقلق، أو عمَّا نزل به من شدائد، وليس الانتظار قلقاً عصابياً يخنق الذات في حركتها الداخلية، ودينامياتها الخارجية.

إنَّه على العكس من ذلك دواء ناجع لكل منتظر، إنَّه الدافع العقيدي والرصيد الروحي الذي يحرك فيه قواه من الداخل، ويعينه على استعادة ما استنزفه من طاقات، وما أهدره من وقت، ليحافظ على وجوده، وكيانه، وهويته العقيدية، والحضارية المتميزة في وسط عالم يعمل على تذويب هذه الأصالة.

### عناصر الانتظار:

ليس الانتظار معاناة شخصية فحسب، بل هو كذلك تجربة نفسية جماعية مشتركة تترك أثرها في سيكولوجية عدد كبير من المنتظرين، لهذا فإن هذه الممارسة محكومة بعدد من العناصر، وطالما أن مفهوم الانتظار هو وعي الفرد المسلم بالإسلام وتربية شخصيته على ضوابطه ومعاييره، وتوجيه

---

(١) غيبة النعماني ص ١٣٤.

المنتظر نحو ذاته وخارجها، فإن عناصر الانتظار هي نفسها عناصر السلوك الإسلامي، ولكن في إطار الاعتقاد بالمهدي والإيمان بولايته خلال فترة غيبته عن الأنظار، ويمكن إيجاز هذه العناصر ( وهي جزء من المنهج الإسلامي كلّه ) بما يلي:

### أولاً: النية:

ويقصد بها ـ هنا ـ التوجه الداخلي الحاسم للنفس نحو الإيمان الكامل بهذه العقيدة دونما تردد أو حيرة أو قلق بحيث يوجه المؤمن المنتظر عمله العبادي كلّه لله عز وجل، وأن تكون ممارسة عقيدة الانتظار.. شعوراً وفكراً وسلوكاً.. في نطاق هذه القاعدة الأساس التي تستقيم عليها جميع الأفعال العباديَّة، وإلاّ أصبحت هذه الأعمال رياءً وشركاً خفياً يأباه الله عز وجل، ويأباه الإمام المهدي نفسه، لأن ذلك يخرج سلوكه من دائرة السلوك العبادي.

إن النية روح العمل، والفقه وعاء العمل، وكلاهما يحققان مواءمة بين الذَّات والمنهج على هدي الإسلام وقيمه وتعاليمه، لهذا تتطلب ممارسة الانتظار توجهاً داخلياً نظيفاً للنفس نحو بارئها، حتى يأذن الله في أمر وليّه، ولا ينبغي أن تتأرجح النفس عن هذا التوجه حتى لو استغرقت عملية الانتظار عمر الفرد المسلم كله، لأن الإسلام كما يهتم بالنتائج الخارجية الملحوظة للسلوك يهتم كذلك ببواعثه الداخلية، فـ " من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد"[1]، وفي نص آخر: " من سره أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه "[2].

---

(١) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٢

(٢) غيبة النعماني ص ١٣٤.

**ثانياً: التهيؤ والاستعداد:**

عندما يرغب شخص معين في إنجاز عمل ما فإنّه لضمان مشروعه يهيىء نفسه بخطة مسبقة ينتظم على أساسها العمل، وأن مستوى الاستعداد لابد أن يتناسب مع حجم العمل نفسه.

وما دام الانتظار عملاً ضخماً طويلاً قد يستغرق العمر كلّه، فإن التهيؤ له ليس وقتياً، وإعداد النفس وتدريبها عليه خلال عصر الغيبة الكبرى لابد أن يأخذ العمر كلّه ويستغرق دورته الكاملة في الحياة.

والتهيؤ ليس مجرد حالة تأهب نفسي مستمر، بل هو عمل متقن يؤديه المؤمن المنتظر كأداء الواجبات وإعطاء الحقوق للآخرين، فلا يكفي في ضوء المعنى الصحيح للانتظار أن تستعد النفس فحسب، وإنما لابد أن يتجسد الاستعداد النفسي والذهني في سلوك عبادي متكامل، كما عرفنا ذلك من النصوص السابقة التي مرَّت علينا قبل قليل.

**ثالثاً: إتقان الفعل العبادي:**

على الرغم من أهمية التوجه الداخلي عند الفرد نحو ممارسة الانتظار كعمل عبادي، فإن هذا العنصر لايكفي لضمان نجاح العمل العبادي سواء في فترة الغيبة أو ما قبلها أو ما بعدها، بل لابد للفرد المؤمن المنتظر من إتقان كل عمل عبادي كُلِّف به قدر ما يستطيعه، كي يعيش المعنى الصحيح للانتظار، فعندما حث النص السابق على الانتظار واقترانه بالورع ومحاسن الأخلاق، فإنه يرسم في الواقع أهمية إتقان الفعل العبادي، وما تقصده النصوص من أنَّ انتظار الفرج هو أفضل الأعمال ليس إلاّ هذا المعنى الذي يتم فيه ضبط النية وإتقان العمل في اتجاه واحد يصب مجراه في الغاية المطلوبة... رضا الله عزَّ وجلَّ.

إن عقيدة الانتظار تعتبر النية روح العمل والإتقان وعاء لتجسيم السلوك، بل إن ترابط النيّة والإتقان مظهران لوحدة الولاء التي تؤكد عليها

مفاهيم هذه العقيدة وعلى وحدة مضامينها العقائدية السلوكية. قال الإمام المهدي عليه السلام في دعاء الاهتمامات العامة:

" اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، و اسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة "(١).

ففي النص السابق تأكيد على أهمية ترابط عناصر الفعل العبادي وتكاملها لكي يكون " المؤمن " منتظرا.. بنية صادقةٍ، وَبفِقْهٍ أو دراية بالأحكام الشرعية، وتطبيق مخلص، وإتقان عمل، وحرص على إرضاء الله سبحانه فيما يعمله عبده المنتظر لتحقيق الفرج له.

**رابعاً: الهدف العبادي:**

الهدف هنا هو كل سلوك متوقع ويرجوه المؤمن من ممارسته للانتظار، وأن العناصر الثلاثة السابقة كفيلة بتحقيق الهدف، ويتفرع إلى جزأين رئيسيين:

١ ـ إرضاء الله عز وجل والسعي المخلص للحصول على إثابته، وحسن تقديره دنيويّاً وأخرويّاً، وليس ثمة هدف أكبر عند المسلم من هذا الهدف، فكل أعماله العبادية مجرَّد وسيلة لبلوغ رضاه عزَّ وجل.

ويكفي أن " الانتظار " أمر إلهي، وتنفيذه طاعة لله سبحانه سواءً أدرك العبد " المهدي المنتظر " أو لم يدركه.

٢ ـ التمهيد لدولة إسلاميَّة يقودها الإمام المنتظر، وإنهاء حكم الظالمين والمستكبرين، ليستأنف الإسلام دوره الحضاري الإنساني من جديد، جاء في

---

(١) كلمة الإمام المهدي ص ٣٠٩.

النص الشريف: "إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء، ثم قال ـ الإمام الصادق عليه السلام ـ من سره أن يكون من أصحاب القائم المنتظر فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه.. فجدوا وانتظروا "[1] و " إن كل راية ترفع قبل راية القائم عليه السلام صاحبها طاغوت "[2].

وفي نص آخر ـ للإمام المهدي ـ نفسه حدَّد من خلال دعائه هذا الهدف " اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة "[3].

ومما لاشك فيه أن قمة التوافق النفسي للشخصية المنتظرة ـ للمهدي الموعود ـ تكون بتحقيقٍ كاملٍ لهذين الهدفين أو كلاهما وبخاصة الهدف الأول، فالله تعالى وعد عباده المؤمنين، الصالحين، العاملين بقبول أعمالهم حتى لو لم ير هؤلاء ثمرة جهودهم مباشرة في عالمهم الدنيوي، وأن أجر منتظر "وليه" المهدي واحد أدركه أو لم يدركه، فالمؤمن المنتظر لحجة الله في أرضه " كالمتشحط بدمه في سبيل الله "، كما ورد في النص الشريف.

**مكونات الانتظار:**

أصبحت فكرة " الانتظار" واقعا تاريخيا وسيكولوجيا يحمل بين طواياه آمال الأمة وآلامها على امتداد تاريخٍ طويلٍ عاشه المنتظرون المسلمون.

وسوف نشير في مواقع لاحقة من بحثنا إلى الدلالات السيكولوجية

---

(١) غيبة النعماني ص ١٣٣ ـ ١٣٤، انظر ١٢٩ كذلك ٢١٨.

(٢) المصدر ذاته ص٧٢ ـ ٧٣.

(٣) هذا مقطع من دعاء الافتتاح الذي أوصى الإمام بقراءته كل ليلة من شهر رمضان فقد أشار فيه بوضوح إلى الدولة " الكريمة " المأمولة في عصري الغيبة والظهور.

لقضية الانتظار سواء كان ذلك إلى عواملها المؤثرة فيها أو إلى أبعادها الإيجابية المؤثرة في نفسيات الجماهير أو مجمل المشكلات النفسية والسلوكية المترقبة عنها.

ولكن إذا نظرنا إلى مفهوم الانتظار وما يحمله من دلالات نفسية في معناه وجدناه وثيق الصلة بموضوع الاتجاهات وهو محور سيكولوجي هام في الدراسات السيكولوجية، إذ توجد بين الانتظار والاتجاه علاقة سيكولوجية واضحة، فالاتجاه في نظر علماء النفس حالة تهيؤ واستعداد، وترقب عقلي وعصبي تنظمها الخبرة المعرفية الوجدانية التي يمر بها الفرد، وهذه الحالة توجه استجابات الفرد بشكل معين يؤدي إلى تفاعل دائم أو مؤقت بحسب حالة التهيؤ النفسي.

وعلى أساس ذلك يمكن فهم تجربة " الانتظار " التي يعيشها المؤمنون في عصر الغيبة الكبرى كاتجاه واستعداد، وتهيؤ نفسي وإدراكي كونته مجموعة عوامل مؤثرة في استجابات المنتظرين، بحيث يقفوا موقفاً معيناً نحو شخص " المنتظر " نفسه، ونحو الأفكار التي تشكل نسيج ثقافة الانتظار، فيترتب عن هذا التهيؤ قبول تام أو جزئي لعقيدة "المهدي" ولثقافة الانتظار وقيمه المستمدة من نصوص المشرع الإسلامي.

وطالما أن قضية "الانتظار" ترتبط بالفكر والعقيدة، ويتخذ التعبير عنها صورة الرأي والاعتقاد والممارسة العملية للسلوك الانتظاري، فإنه يمكن النظر إلى هذا المفهوم كاتجاه يتكون من **ثلاثة مكونات هي**:

- المكون المعرفي.
- المكون الوجداني.
- المكون السلوكي.

**١ـ المكون المعرفي**: ويعني ثقافة الانتظار وأحكامها وضوابطها المعرفية وتراثها الروائي الذي ملأ كتب الحديث، كذلك يتضمن المكون المعرفي معتقدات المنتظرين وأفكارهم وما لديهم من حجج وأدلة وبراهين لتأييد عقيدة المهدي المنتظر أو معارضة من لا يؤمن بها.

**٢ـ المكون الوجداني**: ويتضمن الآثار والهموم، والآمال والآلام، وكل المشاعر السيكولوجية المؤثرة سلباً وإيجاباً في المنتظرين للمهدي المنتظر عليه السلام، ويتمثل هذا الجانب كذلك في الاستعدادات النفسية والذهنية لدى المنتظرين لليوم الموعود، واستعدادهم لقبول التحديات ومقاومة المتاعب النفسية الناجمة عن هذه التجربة الوجدانية.

ويدخل في نطاق هذا الجانب من الانتظار كل الأحاسيس المترتبة على الوقائع التاريخية في عصر الغيبة سواء حملت في طواياها بشائر أو فتن، وسنعالج هذه الاحساسات فيما بعد [١].

**٣ـ المكون السلوكي**: ومعناه نزوع الإنسان المنتظر "للمهدي" نحو تطبيق الإسلام ومناهجه المختلفة في الحياة ما أمكن، وممارسة جماعات المنتظرين في عصر الغيبة للأحكام والأعمال العبادية.

## الانتظار والوعي بالمستقبل:

لا يكون الفرد المؤمن واعياً بحقيقة انتظار الإمام عليه السلام حتى يكون على دراية استشراف المستقبل وبالحوادث التي يتوقع أن تقع فيه، وأهمية هذا الوعي تتوقف عليها المواقف الشرعية التي ينبغي أن يتخذها المؤمن عند مواجهته للأحداث الهامة وبخاصة ما يحدق خطرها به، ومن المتعذر أن تنسجم عقلية المنتظر مع مفهوم الانتظار، وهو بعيد عن روح النص الذي

---

(١) انظر الفصل الرابع الذي يناقش العوامل المؤثرة في سيكولوجية الأفراد المنتظرين، وأيضاً الفصل الخامس.

حدّد الموقف الشرعي لكل حدث مرتقب، فالمنتظر يتلازم وعيه "بالانتظار" بمضامين النصوص التي حدّدت الموقف الشرعي المطلوب لكل حدث في عصر الغيبة.

ولأهمية هذه النصوص في رصد الحوادث المستقبلية وتعيين المواقف الشرعية المطلوب اتخاذها، نرى ضرورة أن يتعرف الفرد المؤمن في زمن الغيبة الكبرى عليها للوقوف على أوضاع واقعنا الراهن، واستشراف مستقبل لم تقع حوادثه بعد، ويستهدف هذا المنهج تهيئة أذهاننا ـ كمسلمين ـ على مواجهة الحوادث المحتملة في المستقبل وفق الموازين الإسلاميَّة.

إنَّ عدداً كبيرا من النصوص الإسلاميَّة الواردة في مسألة الانتظار قد رصدت حركة الحوادث في مستقبل العالم وبخاصة الإسلامي، وعلى امتداد الزمن الفاصل بين بدء الغيبة الكبرى، وحركة الظهور نفسها، فيلاحظ أنَّ هذه النصوص تقرأ تاريخ الإنسان ـ وخصوصاً ما يجري في عالمنا المسلم ـ في زمن الغيبة الكبرى، حيث توضح النصوص الإسلامية أهم الملامح العامة لهذه الحوادث وتفصيلاتها في بعض الأحيان، وكأن المؤمن يشعر بأنَّ رصد النصوص للأحداث التي يعيش في وسطها سواء كانت البشائر أو الفتن والانحرافات، قد تم تحديده في فترة أقل من الشهور.

ويكاد يكون من الصعوبة بمكان على المؤمن المنتظر أن يتفاعل مع مسؤولية الانتظار بدرجة معقولة وصادقة إذا كان وعيه بالأحداث التي أنبأت عنها هذه النصوص ضعيفاً هابطاً، وهذا يعني أن الوعي بالانتظار مرتبط بفهم الحوادث واستيعاب دلالاتها في إطار المواقف المطلوبة شرعاً، والمعيَّنة في النصوص نفسها، وفي ضوء فهمه لقوانين التاريخ وحركة المجتمع.

ونحن لا يهمنا ـ بالطبع ـ تفاصيل هذه المسألة ودقتها بقدر ما يعنينا لفت نظر المنتَظِر إلى أهمية الصلة بين النصوص والحوادث التي قد تقع في غيبة الإمام عليه السلام والتي تعيّن مسيرة الإنسانية نحو الإسلام أو بالبعد عنه،

فبعض هذه النصوص ـ وهي كثيرة متنوعة ـ تكشف عن مسيرة انحراف العالم ـ والمسلمين خاصة ـ عن الإسلام، وتكشف كذلك عن خط البشائر والتحولات الإيجابيَّة المؤثرة في سيكولوجية الشخصية المؤمنة، كما تحدِّد الأدوار والمواقف المطلوبة في مواجهة التغيير أو مساندته.

ومما لاشك فيه أنَّ النفس المؤمنة تتأثر بالحوادث العامة السلبية التي تسود العلم كلَّه و تشمل جوانب واسعة من حياتنا حتى أنَّها تنفذ إلى أجزاء خفية منها، فتؤدي هذه الانتكاسة الحضاريَّة إلى تزايد القلق النفسي عند الفرد المنتظر، وتتزايد عليه ضغوطات القهر الاستكباري سواء عاش في بيئة مسلمة أو في بيئة غير مسلمة، فالاستجابات العدوانية الموجهة ضده موجودة وإن كان الفارق بين البيئتين اختلافاً في الدرجة.

وكما أن انحرافات البشرية وضغوطها تُنشئ التوتر في النفس المؤمنة، فإنَّها تستعيد توازنها الداخلي بظهور البشائر وهي عبارة عن مجموعة وقائع وتحولات إيجابية تتم في المجتمع المسلم خلال فترة الغيبة الكبرى. فهذه البشائر تمثل انتصارات إسلاميَّة تساعد على استعادة أصالتنا الحضارية المفقودة في وسط التناقضات الدوليَّة، وهي في مقابل ذلك تجعل المنحرفين يشعرون بأنَّ الانتصار على الحق ليس ممكناً في كل حين، وأنَّه لابد من يوم يحسم فيه الإسلام صراعه مع أهل الباطل فيصفي أوضارها، ولهذا بالتأكيد مغزى نفسياً على المؤمن وغير المؤمن، فيغمر الأمل قلب المؤمن بالانتصار، وييأس الظالمون من هزيمة الإسلام.

وتشكل هذه النصوص نسقاً متكاملاً لأئمة أهل البيت عن تصوراتهم في استشراف المستقبل[١] على امتداد الزَّمن الفاصل بين عهد الرسالة وحتى عهد الظهور المبارك، ولكن ما يهمنا هنا في دراستنا عن عقيدة الانتظار أن نشير

---

(١) يوجد لنا بحث قيد الدراسة عن هذا المنهج نأمل استكماله.

إلى أهمية هذه النصوص في تشخيصها لحوادث فترة الانتظار، ونترك للقارئ مهمة البحث عن هذه النصوص لمعرفة مضامينها عن سير الحوادث، بالرغم من أننا قد نتعرض بقدر الحاجة لبعض هذه النصوص، وبخاصة ما يتعلق منها بحوادث هامة في زمن الغيبة ؛ وهي كثيرة جداً.

والملاحظ أنَّ الإمام المهدي عليه السلام حدَّد بعض التصورات المستقبلية[1]، التي تدخل في صياغة بعض المفاهيم الإسلاميَّة التي تسهم في تكوين نفسيات المنتظرين من خلال فترة الغيبة، ففي رسالته الأولى للشيخ المفيد (رض) قال:

« يحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف من الإسلام مرَّاق ـ خارجين عن الدين ـ تضيِّق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق، ثم تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الأشرار، ثم يسر بهلاكه المتقون الأخيار »[2].

ففي هذا النص نجد نبوءة ربما وقعت في عهد الشيخ المفيد، وقد تعني هذه النبوءة حدثاً يتم في فترة أبعد من عصره بقليل أو بكثير، وخاصة أنَّ التاريخ أهمل ذكر الحوادث التي حدثت في تلك السنة ( ٤١٠ هـ ) ونجد أنَّ الاحتمال في فهم النصوص مشكلة تاريخية و منهجيَّة، فليس بإمكان أحد أن يجزم أنَّ المقصود من الطاغوت المذكور في نص الرسالة هو ( طغرل بك ) أول ملوك السلاجقة كما ذكر أحد الباحثين [3]، وإن كان ذلك ممكناً كفرضية تقبل الصواب أو الخطأ.

والمهم في النص أنَّ الإمام الغائب كالأئمة السابقين حاول تعيين بعض

---

(١) مثل حديثه في دعاء الافتتاح عن دولة كريمة مأمولة بقيادته المؤزرة.

(٢) الاحتجاج / ج٢ ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ص ٢٨٤.

الحوادث، وتعيين الموقف المناسب كقوله في الرسالة ذاتها: " اعتصموا بالتقية من شبّ نار الجاهليّة "[1] أو قوله في رسالة ثانية: " فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليتقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب"[2] وهو يقصد حادثة تقع بالحرم.. بالمسجد الحرام " من رجس منافق مذمم، مستحل للدم المحرَّم، يعمد بكيده أهل الإيمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان "[3].

ويقيناً لانستطيع تحديد الحادثة التي وقعت في الحرم المعظم.. هل هي اعتداء القرامطة، وصاحب الزنج على المسجد الحرام، أم الحادثة التي وقعت قبل هذا التاريخ أو بعده؟

إنَّه يعيِّن حدثاً، ويعيِّن موقفاً كما فعل الأئمة من قبله، فلا تنساق القلوب وراء "مدع كاذب" أغرى بعض البسطاء بانطباق علامات " المهدي المنتظر " على ذاته، فخدع نفسه وأوهم الآخرين وتقمَّص زوراً شخصية " المهدي ".

وقد أدان أئمة أهل البيت في نصوصهم الكثيرة من ادعى الإمامة واعتبروا كل راية ترفع قبل القائم فصاحبها طاغوت[4].

ويمكن أن نعيِّن الأثر النفسي لمسألة الوعي بالمستقبل واستشرافه:

ـ إبقاء حالة الاستعداد في الذهنية العامة للمسلمين شرط أن يكون التخطيط هو طريق الاستعداد وأسلوب العمل.

ـ تنبيه الذهنية المسلمة بحوادث مستقبلية كي لا تحتار في تعيين الموقف الشرعي إزاء الحدث ويضطرب تفكيرها إزاءه.

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص ٤٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٩.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ٤٩٩.

(٤) غيبة النعماني ص ٧٢ ـ ٧٣.

ـ المحافظة على الحماس واستثمار أثره التربوي الإيجابي دائماً.

ـ تأمين حالة من الاطمئنان للنفس المسلمة من غوائل المستقبل، ومقاومة نمو الاحساسات غير التوافقية طالما أنَّه يغيِّر نفسه على هدى الكتاب والسنة " فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب من محبتنا، ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا ".

**الحاجة الفطرية للمصلح المنقذ:**

شكلت فكرة المصلح، والمنقذ المنتظر منذ فجر التاريخ الديني، حاجة نفسية واجتماعية فطرية حتى في زمن الأنبياء و المبعوثين لكافة شعوب البشرية وأممها، وأن هذه الحاجة تزداد إلحاحاً كلما زاد الظلم والانحراف واتسعت فترة المباعدة بين نبي وآخر، وتحسس الناس المظالم خلال هذه الفترة.

لقد حاول الإنسان أن يفتش عن إشباع كامل لهذه الحاجة بين حين وآخر، وكان ظهور الأنبياء على امتداد التاريخ الإنساني يمثل قمة الإشباع الإنساني لهذا الشعور النفسي، فكل دعوة ـ لنبي مرسل ـ تنطوي دائما على منهج لإصلاح النفس والمجتمع، ومن هنا يمكن القول بأنه وجدت هذه الفكرة في خط الأنبياء، " فلم يبعث نبي إلا وجد من ينتظره، ويسعى إليه من أقاصي الدنيا بهيام عميق، وهذه الظاهرة مما أوفدت أخوة الأنبياء، فكل واحد منهم كان مبشرا به من قبل السابقين عليه، فيصدق السابقين عليه ويبشر اللاحقين به، ويقوم بدور الحلقة الواحدة في المسلسل البعيد الطرفين، وليس الإمام المنتظر إلاَّ حلقة في هذا المسلسل من المبشرين بهم وبغيرهم "[1].

لقد بشر نوح بإبراهيم، وبشر إبراهيم بموسى، وبشر موسى بعيسى، وبشر عيسى بمحمد، وبشر محمد بظهور المهدي ونزول المسيح عليهم

---

(١) كلمة الإمام المهدي / ص ٢٠.

الصلاة والسلام، فما ظهر نبي إلاً وطرح فكرة المصلح المنتظر والديانات الحية اليوم كلُّها تتهيأ لمصلح منتظر وإن اختلفت الأسماء، فاليهودية تبشر بالمسيح، والمسيحية تبشر بأحمد والإسلام يبشر بالمهدي [1].

وبعد أن انتهى عصر الأنبياء ظلّت عقيدة المهدي واضحة للعقل المسلم، لأنَّ الإسلام حدَّد معالمها بتفصيل كامل، مما هيَّأ الفكرة للرسوخ في النفوس على مدى تاريخ طويل مرتقب حتى مع احتمال بروز أفكار مضادة لها، لمحاولة تسفيه كل من يؤمن بها.

وفي خلال هذا العصر تتوجه بعض الفلسفات المادية كالوجودية والماركسيَّة إلى البحث عن المنقذ الذي يقود عملية إصلاح اجتماعي شامل للواقع الإنساني، ومما لا ريب فيه أنَّ هذه الأيديولوجيات تعبر عن حاجتها إلى يوم حاسم تصفي البشرية حسابها مع الظلم والمآسي.

فالمهدي عليه السلام ليس تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان طموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله ـ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أنَّ للإنسانية يوماً موعوداً في الأرض تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مر التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل.

بل لم يقتصر هذا الشعور بهذا اليوم الغيبي، والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضا، وانعكس حتى على أشد الأيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود تصفي فيه كل التناقضات، ويسود فيه الوئام والسلام، وهكذا نجد أنَّ التجربة النفسية لهذا

---

(١) المصدر السابق ص ١٩.

الشعور التي مارستها الإنسانية على مر الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموما بين أفراد الإنسان [1].

إنَّ البشرية عبَّرت على مدى تاريخها الطويل عن حاجتها الملحة الفطرية للمنقذ الذي يصلح أحوالها، وبخاصة عندما يستشري الظلم وتتسع دائرة الفساد، وتطول فترة ترقبه سواء كان هذا المنقذ نبياً أو إماماً دينياً أو مصلحاً اجتماعيا.

ويلاحظ أنه في ثنايا هذا الشعور النفسي المشترك بين أفراد المجموعة البشرية، مفارقة هامة هي أن البشرية ظلَّت تتخبط تماماً في تلمس هذه الحاجة وأسلوب إشباعها طالما أنها بعيدة عن مبادئ السماء فنجد في الوجودية المقيدة اتجاها عاماً متفائلاً يرى أنه يمكن أن يتحول الوجود الإنساني كلّه برداً وسلاماً بفعل حرارة الإيمان الديني المسيحي، والاتجاه الآخر من هذه الفلسفة متشائم يعتبر الوجود مأساة جاثمة لأنَّ البشرية فشلت في إصلاح حالها، وما يزال القلق والضياع والعبثية تهدد هذا الوجود الإنساني بالمخاطر.

والماركسية اللينية هي الأخرى تحدد للمجتمع الإنساني يوماً لاحقاً تنتهي فيه الفروقات الطبقية وتزول الدولة والسلطة الظالمة، ويسود مبدأ العدل، وتصفى فيه تناقضات الواقع وفق منطق التفسير المادي للتاريخ، وهكذا لم يمنع تناقض الأيديولوجيات من التركيز بتفاؤل على ضرورة إشباع حاجة البشرية لمنقذ يغيِّر حالها، ولم يمنعها من وحدة الشعور بأن البشرية تنتظر يوماً لتصفية تناقضاتها وإزالة مأساتها.

ولقد كتب باحثون أمثال أفلاطون والفارابي وغيرهما عن المدينة الفاضلة، وقد تصوروا المجتمع السعيد المرجو في الغد، ورسموا لنا خطوطاً عامة لهذا المجتمع، ويدل هذا البحث على إحساس المفكرين ورغبتهم في

---

(١) السيد محمد باقر الصدر / بحث حول المهدي ص ٨.

قيام مجتمع فاضل، فليس البحث عن "المدينة الفاضلة" المتصورة سوى صدىً لهذا الإحساس الفطري المتأصل في عمق النفس البشرية.

وبصرف النظر عن إقرار المذاهب الدينية والفلسفية بهذا الإحساس فإنه إحساس الناس جميعاً، حيث "يعيش الناس عادة بانتظار يومٍ أفضل وحياة أسعد، اليوم الذي يخلو من الظلم والجور والفقر والجوع، والعذاب والمرض والخوف، اليوم الذي يسهل فيه الوصول إلى الهدف والمراد.

الأمل بالسعادة وانتظار الغد الأفضل هو حديث النفس، وحاجة مشتركة بكل البشر لا تعرف الزمان والمكان، ولا تختص بقوم أو جماعة، إذ يمكن مشاهدتها في كل مكان وزمان، وعند كل الأمم، والأقوام "[١].

ويمكن القول أن أصالة هذا الإحساس في التركيبة السيكولوجية للإنسان تدل على تطابق التعاليم الدينية واجتهادات العقل البشري، وحاجة الإنسان، بيد أن التعبير عن هذا التطابق قد يتخذ مسارات خاطئة، ومتعمدة أحيانا لا تخلو من استغلال مقصود وسيىء، كظهور حالات "المهدي" أو "المنقذ" المزور.

إن الدعوات الأرضية تحاول أن تلبي للبشرية إشباعاً نفسياً فطرياً في بحثها المستمر عن الرجل الذي يقوم بعملية الإصلاح الاجتماعي، ولكن من خلال تعميق الفكرة في عقل الإنسان بأن المجتمع هو وحده مصدر الحماية لهذا المصلح أما في عقيدة الانتظار فالأمر مختلف لأن الله عزَّ وجلَّ هو وحده مصدر هذه الحماية للمهدي المنتظر، وليس معنى ذلك أن حركة الإصلاح الإنساني الشامل التي يقوم بها الإمام تكون خرقاً لسنن الله وقوانين التاريخ والمجتمع، بل هي تعامل موضوعي واقعي مع هذه القوانين.

وخلاصة الأمر أنَّه انتهى عهد الرسالات السماوية، وبقيت الحاجة

---

(١) بقية الله ( بحث الأستاذ داوود إلهامي ) بعنوان: بشرى اليوم السعيد ص ١٣١.

"للمصلح المنتظر" كتجسيد عملي للرسالات، وامتداد طبيعي لها خلال الزمن كلّه حتى يأذن الله عزَّ وجلّ بيوم الخلاص كما أسماه رسول الله ﷺ في رواية نقلها ابن الصباغ[1] وغيره من العلماء ورواة الحديث.

ومع أن البشرية لا تعلم لحظة الالتقاء مع هذا اليوم التاريخي، بيد أنه يستجيب لرغبتها وإشباع كامل لحاجتها للمنقذ، فهو يوم تبدأ منه حركة تغيير ومحاولة إنقاذ نهائية للإنسانية المكدودة من محنتها، وبالتالي أصبحت التسمية عنواناً طموحاً للبشرية كي تحقق إحساسها المشترك بالحاجة إلى مخلِّص يرفع عن كاهلها ثقل الهموم وإحباطات الحياة المجهدة، وتدشين حياة جديدة دعائمها الإيمان والحق والعدالة.

---

(١) الفصول المهمة ص ٢٨٥، البيان للكنجي ص ١٤٣، والبرهان للمتقي الهندي ص ١٦٠، وعقد الدرر للسلمي ص٢٠٩

# الفصل الثاني

# سيكولوجية المهدي الكاذب

ظهر خلال القرون الماضية أفراد نسبت إليهم المهدية أو سوّلت لهم أنفسهم أن يدّعوا المهدوية كذباً وزوراً، وقد أحصاهم بعض المؤرخين فبلغوا خمسين رجلاً، والجدير بالذكر أنَّ بعضهم مجهول النسب والهويَّة والاتجاه والدين والمذهب، وبعضهم كانت له تصرفات شاذة، وأعمال غير عقلانيَّة تشبه تصرفات المجانين، وبعضهم هلك وأتباعه في أوائل دعوته، وأزيلوا عن الوجود ولم تبق منهم بقيَّة، وبعضهم مات وبقي اسمه وذكره[١].

فالظاهرة النشاز التي تركت تأثيراً نفسياً وفكرياً ضاراً على الإيمان بعقيدة المهدي الموعود الحقيقي في النصوص الإسلامية هي تكرار حالات الادعاء " بالمهدي " ورغبة بعض الأفراد في المجتمع الإسلامي ـ ومنذ تاريخ بعيد ـ تقمص شخصيته الكريمة والتشبه بالأدوار الجهادية التي يؤديها بعد ظهوره المبارك، وظلت هذه الحالة تظهر فتخبو وهكذا، حتى برزت كمشكلة تواجه الفكر الإسلامي على امتداد عصور متتابعة.

وبقي المجتمع المسلم يتحسس هذه المشكلة بين حين وآخر، وبخاصة حين يزعم "دعيّ" بأنّه المهدي الحقيقي فيلفت النظر إليه، ويشغل بال الناس لوقت محدود أو مؤقت ثم يوضع " الادعاء " تحت الرماد، ولكن ذاكرة

---

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور / القزويني ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

المجتمع تظل تجتر احساساته المرضية، بل إنَّه تحول ـ كردة فعل مضادة ـ إلى مشكلة عقيدية، وذلك حين طالب باحثون ـ متدينون وعلمانيون على حد سواء ـ بتصفية الفكرة وتطهير الفكر الإسلامي من هذه العقيدة كما سنرى ـ عزيزي القارئ ـ فيما بعد[1].

ولم يكن المهدي المزور شخصاً واحداً ينتحل زوراً شخصية المهدي المنتظر الحقيقي وانتهت قصته، بل تحوَّل مع الأيام والسنين إلى حالة عصاب نفسي انتهازية تسيء فعلاً إلى البشارة النبويَّة الصادقة بشأن رجل من بيته ﷺ محدَّد المواصفات والعلامات يخرج في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً[2]، وحاول أتباع هذه الحالة "المرضية" تطبيق بعض العلامات المحدَّدة في الأحاديث عن الإمام المهدي على أولئك الأفراد الذين ادَّعوا " المهدية " . . كذباً وزوراً.

وقد لعبت البشائر ـ وبالذات البشارة الخاصة بالمهدي الحقيقي ـ دوراً نفسيّاً ضخماً في دوائر التاريخ السياسي بالمجتمع الإسلامي منذ بدء تكوينه، حيث جنح بعض الأفراد الذين عانوا من وطأة الشعور بالاضطهاد السياسي إلى توظيف الجوانب النفسيَّة لتلك البشائر في ميدان العمل السياسي ـ بل العسكري كذلك ـ ضد قوى الاضطهاد، والثابت بمقتضى حركة تاريخ هذه

---

(١) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة التي بين يديك.

(٢) هذا الحديث امتلأت به مصادر الحديث عند المسلمين جميعاً، وقد وردت فيه مئات الروايات، ويمكن للقارئ مراجعة هذه النصوص في مصادر كثيرة، وهي سبيل المثال، ومنها / البيان للكنجي ص ٨٦ / علامات يوم القيامة لابن كثير ص ١٩ / عقد الدرر للسلمي المقدسي ص ٣٦ ـ ٤٠ / أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل ص٥٦، ٥٧، ٦١ / الصواعق المحرقة ص ١٦٣، ١٦٦ / الفصول المهمة لابن الصبَّاغ ص ٢٨٢، ١٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٢ / القول المختصر لابن حجر الهيثمي ص ٢٨ / تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٢٥ / البرهان في علامات مهدي آخر الزمان للمتقي الهندي صاحب كنز العمال ص ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٢، ٩٩ / ثلاثة ينتظرهم العالم لابن عاشور ص ٥١، ٥٢ ومصادر أخرى كثيرة.

الحالة المرضيّة أنَّ بعض هؤلاء نجح ولو مؤقتاً في إقامة كيانات سياسيَّة قويَّة لا يمكن تجاهل وجودها عند كتابة التاريخ كدولة الموحدين في بلاد المغرب على سبيل المثال.

وعلى الرَّغم من كون ظاهرة المَهْدي المزور تتخذ في أغلب حالاتها طابعاً سياسيّاً، فإنَّها نشأت دونما شك في أجواء نفسيَّة بعضها ينبع من وضوح عقيدة المهدي الحقيقي في الذهنية العامة للمسلمين، وقوة رسوخها في المجتمع الإسلامي لقرون عديدة وحتى الآن، وبعضها يخصُّ شخصية المهدي المزيف وظروف تكوينه الثقافي والتربوي، وليس بإمكان الباحثين والناقدين التغافل عن أثر هذه العوامل النفسيَّة التي أسهمت في تكوين حالات الادعاء بالمهدي منذ القرون الأولى للإسلام، وعلى ضوء ذلك فإن كثيراً من أنماط السلوك السياسي " للمدعين " مصدرها دوافع نفسيَّة خفيَّة، وهي التي صنعت حالة " المهدي المزيف " في ذهنية بعض مرضى النفس المولعين بالعظمة، ومحاولتهم تقمص شخصيات العظماء.

وما دمنا نحاول دراسة هذه الحالة غير السوية بشيء من الإيجاز، فإننا نرجو أن نضع أيدينا على بعض المنطلقات الدينية والتاريخية والسياسيَّة التي تسمح بتفسير هذه الحالة المؤسفة، ومعرفة بعض العوامل النفسيَّة التي تختفي وراء نشأتها، واستمرارها حتى القرن الخامس عشر الهجري[١] رغم وضوح زيفها، ونفور الذهنية العامة للمسلمين منها.

### من ملامح شخصية الإمام المهدي:

إن المدخل الطبيعي لفهم حالة " المهدي المزور " وتوعية أفراد المجتمع المسلم من شذوذ حالة التزوير، هو ضرورة التمييز بين شخصيَّة

(١) نشير هنا إلى حركة جهيمان وجماعته في حادثة الهجوم على الحرم المكي بداية عام ١٤٠٠ هجرية.

المهدي الحقيقي والمزور، ولا يمكن للباحثين ـ حسب تقديرنا ـ أن يكشفوا للمسلمين حالة المهدي المزَّور إلاَّ بمعرفة ملامح شخصيَّة الإمام المهدي عليه السلام وتحديد شمائله الجسميَّة والنفسيَّة والأخلاقيَّة، لأنَّه لا يعرف الشيء إلاَّ بضدِّه، فإذا تمَّ تعيين ملامح شخصيَّة المهدي الحقيقي المنصوص عليها في الروايات الإسلاميَّة، قطعت الجماهير المسلمة الطريق أمام كل حالة "ادِّعاء" مزور.

ونعتقد أنَّ حالة " المهدي المزور " ستظل مرضاً في حياة البعض منا ما دامت دوافعها قائمة في نفوسهم، وستبقى كذلك مادام البسطاء في المجتمع المسلم لا يدركون الفرق بين المهدي الحقيقي والمزَّور، وليس لهم دراية كافية بأهم صفات المهدي المنصوص عليه.

ومع توفر النصوص بكثرة في تعيين ملامح المهدي الحقيقي فإنَّ جماهير العامة من المسلمين ـ حتَّى بعض المثقفين منهم ـ لم تحاول تفهم هذه النصوص والوعي بهذه الملامح، ولم تحاول قطع الطريق أمام الادِّعاءات. وبدلا من سعيهم لفهم هذه الملامح، اتجه بعض المثقفين إلى إنكار قضية الإمام المهدي نهائياً وتسفيه العقل الذي يؤمن بها، ومما لا ريب فيه أنَّ الإنكار لم يعالج حالة الادِّعاء في هذه القضيَّة واستغلالها، فما يزال بعض المرضى يبحثون عن ظروف مناسبة " للادِّعاء " بالمهديَّة مستغلين عدم وضوح ملامح " المهدي " الحقيقي في أذهان المسلمين المعاصرين بخاصة قليلي "العلم" بالإسلام.

إنَّ الكثير من المسلمين يؤمنون بمهدي منتظر منصوص عليه في المصادر الإسلاميَّة دون أن يكون لديهم دراسة وعلم كامل بشمائل شخصية الإمام المهدي المخصوص، ولو كانت الجماهير واعية بهذه الملامح لتعزز مؤازرة " المهدي المزوَّر " وتأييده من قبل عدد من الأتباع غير الواعين، لهذا تظل الحاجة شديدة لتوعية هذه الجماهير بملامح المهدي وشمائله الجسميَّة

والأخلاقية وبخاصة أنَّ النصوص الكريمة التي اهتمت بهذا التحديد متوفرة بكثرة تبلغ المئات.

وذكر القزويني سببين اثنين لأهميَّة معرفة أوصاف الإمام المهدي عليه السلام وعلاماته وهما:

١ ـ أنَّه بتحقيق هذه العلامات وانطباق هذه الأوصاف على الإمام المهدي حين ظهوره، يرتفع كل شك أو ريب، ويتلقى الناس خبر ظهور الإمام بكل يقين ولا يبقى مجال لأصحاب القلوب المريضة أن يشككوا في الإمام المهدي عليه السلام مع توفر العلائم وتحقق الصفات فيه، وتلزمهم الحجة القطعية، فتأخذ بأعناقهم وتسد عليهم أبواب الشكوك والمناقشة.

٢ ـ إنَّ الله تعالى كان يعلم أنَّ عدداً كثيراً من أهل الضلالة وأتباع الشيطان الرجيم سيدعون المهدويَّة كذباً وزوراً وخداعاً، ولهذا جعل الله تعالى العلائم المهمة التي لم تحدث في الكون أبداً من العلائم القطعية للإمام المهدي عليه السلام ولظهوره كي لا ينخدع الناس بأباطيل الضالين ووساوس الشياطين، بل وحتَّى تفشل الدعاوى الباطلة التي يدَّعيها المبطلون المدَّعون للمهدويَّة[(١)].

وقبل أن نبدأ بذكر بعض أوصاف " المهدي الحقيقي " من مصادرها الإسلاميَّة نذكر ملاحظتين:

**الأولى**: أنَّ العلامات لم تختص فقط بتحديد ملامح شخصية الإمام المهدي فحسب كما يظن البسطاء، بل أفاضت الأحاديث الشريفة في وصف الأحداث الجاريَّة خلال زمن الغيبة الكبرى بشكل مفصل، وكأن النبي والأئمة الراشدين من أهل بيته عليهم السلام يعيشون بيننا.. ينظرون، ويراقبون ويقرأون بأعينهم مباشرة وقائع المستقبل الإنساني قبل أن تقع أحداثه، وهذا الوصف التفصيلي الدقيق لحوادث المستقبل قد لا نجده أحياناً في مصادر الحديث عند

---

(١) الإمام المهدي / للقزويني ص ٣٦٣.

بعض الطوائف والجماعات الإسلاميَّة، وبالتالي ينفسح المجال لبروز حالات " الادعاء " بالمهديَّة باستمرار طالما أنَّ الجماهير المسلمة لا تعلم شيئاً عن الحوادث السلوكيَّة والكونيَّة التي يقترن وقوع بعضها بالآخر قبل الظهور.

**والثانية**: هي أنَّ اختلاف مصادر الحديث عند المسلمين في تحديد بعض علامات المهدي المنتظر الحقيقي هو أحد بواعث بروز حالات "الادِّعاء" المفتعلة، فخطأ تحديد بعض مواصفاته وشمائله يؤدي بدوره إلى خطأ تطبيق العلامات، ويؤدي إلى استغلال هذا الاختلاف في حالات "ادِّعاء" للمهدي المنتظر مرَّات عديدة، وبالرغم من أنَّ هذا الاختلاف ليس واسعاً إلاَّ أنَّه ظل جسراً يعبر منه المبطلون المدعون إلى مآربهم الخبيثة.

ونذكر ـ الآن ـ بعض النصوص الإسلاميَّة التي عيَّنت بعض الصفات الجسميَّة والنفسيَّة والأخلاقيَّة في شخصية الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، ولنبدأ بتحديد الصفات الجسميَّة.

"ليبعثنَّ الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً".

"المهدي من ولدي ابن أربعين سنة، كأن وجهه يتلألأ كالقمر الدري، اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي[1]، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً".

" كثُّ اللحية، أكحل العينين، برَّاق الثنايا، في وجهه خال، أقنى، أجلى، في كتفه علامة النبيﷺ ".

" يكون شيخ السن، شاب المنظر كابن أربعين ".

---

(١) لم يعثر على هذا الوصف في المصادر الإماميَّة، وقد ورد في مصادر سنيَّة عديدة / انظر ـ مثلاً ـ كتاب البرهان للمتقي الهندي ص ٩٣، ٩٤ وغيره أيضاً، وفي بعض المصادر استخدم لفظ " كأنه من رجال بني إسرائيل " / انظر عقد الدرر ص ٦٣، كذلك القول المختصر ص ٣٥، ٣٦ / الفصول المهمة ص ٢٨٤، ٢٨٨ وغيرها من المصادر.

" قوي في بدنه، لو مدَّ يده إلى شجرة لقلعها " .

" أزج الحاجبين مشرفهما، غائر العينين واسعهما " .

" إنَّه أزيل الفخذين " .

" مربوع القامة، أميل إلى الطول " .

" حسن الوجه، حسن الشعر، كثُّ اللحية " .

" أبيض مشرب بحمرة، على خده الأيمن خال " .

أما الصفات النفسيَّة والأخلاقية فذكرت المرويَّات البعض منها:

" يحثو المال حثواً ولا يعده عدّاً " .

" يقسم المال صحاحاً بالسويَّة بين الناس " .

" لا يوقظ نائماً ولا يهرق دماً بظلم" .

" لو لم يبق من الدنيا إلاَّ يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي " .

" أشفق على الناس من آبائهم وأمهاتهم " .

" يبذل المال ويشتد على العمَّال ويرحم المساكين " .

" المهدي خاشع لله كخشوع النسر لجناحيه "[1].

---

(١) راجع المصادر التالية:

ـ غيبة النعماني ص ١٢٥ ـ ١٢٦ / عقد الدرر في أخبار المنتظر للسلمي، انظر الأبواب الثلاثة (الأول، الثاني، الثالث ).

ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان / للمتقي الهندي ص ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠١.

ـ ينابيع المودة ج٣ للقندوزي ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

ـ البيان في أخبار صاحب الزمان / للكنجي الشافعي ص ١٠٧، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥.

ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠.

ـ أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل / كذلك كتاب القول المختصر في علامات "المهدي المنتظر" ص ٦٣، وكذلك ص ٢٧، ٣٧، ٥١.. الخ.

ويلحظ أنَّ بعض هذه الصفات شخصيَّة تبدو للناس بعد ظهور الإمام وممارسته للحكم السياسي.

وبالإضافة إلى تحديد النصوص لشمائل المهدي عليه السلام، فإنَّها كذلك حدّدت علامات الظهور السلوكيَّة والكونية، وهي تستهدف التفرقة بين المهدي الحقيقي والمهدي المزوَّر فإذا ادعى أحد من النَّاس بأنه " المهدي " ولم يستطع الناس ـ لا سمح الله ـ اكتشاف زيفه بسبب جهلهم شمائل المهدي المنتظر الحقيقي، فإن العلامات الكونية والسلوكية دليل أو أداة تعينهم على معرفة حالات الادعاء " بالمهدية " والتفرقة بينها وبين مواصفات المهدي المنتظر المعني في الروايات الإسلامية، ومن العلامات الكونية أو الطبيعية التي تسبق ظهوره النداء أو الصيحة، وخسوف القمر مرتين في شهر رمضان، وظهور النجم المذنب.

إنَّ هذه العلامات جعلتها النصوص الإسلاميَّة مقدمات لحركة الظهور المباركة مثل ظهور كف من السماء مدلاة ينظر إليها الناس، ونداء السماء المعروف في النص الإسلامي بالصيحة، وهي التي يسمعها جميع الناس كل بلغته الخاصة[1]، والنجم المذنب المضيء الذي يظهر من المشرق، وخسوف القمر في شهر رمضان مرتين، وانكساف الشمس في النصف منه، والفتن العامة ومختلف الانحرافات السلوكية التي تقع في المجتمع البشري بما فيه العالم الإسلامي كالكفر بالله تعالى علناً[2]، وقتل النفس الزكيَّة بين الركن

---

(١) انظر البرهان للمتقي الهندي ص ١٣٧ / عقد الدرر ص ١٥٥.

(٢) وردت في مصادر عديدة بهذا اللفظ الصريح / انظر البرهان ص ١٠٤ وقد جاءت في مصادر أخرى بألفاظ ثانية مثل القول [ لا يقال.. لا إله إلاَّ الله ] أو يقال الله [ مستخفياً ] انظر علامات يوم القيامة لابن كثير ص ٨٩، ٩٣ / وفي عقد الدرر للسلمي المقدسي جاءت رواية بهذا اللفظ [ لا يقال الله ] ص ٤٠٨.

أما المتقي الهندي فنقل رواية صريحة هي [ يكفر بالله جهراً ] انظر البرهان ص ١٠٤. =

والمقام، والتفكك الاجتماعي في داخل المجتمعات الإسلامية، وخروج السفياني، الذي يتلذذ بقتل الناس ويصل أمره إلى قتل الصبيان وبقر بطون النساء[1]، كما تحدث خلال زمن الغيبة ـ وقبل الظهور ـ انحرافات كثيرة واسعة وبشائر كذلك، فمثل هذه العلامات ـ وإن تحقق بعضها كالكفر العلني بالله ـ تعين الجماهير المسلمة المكدودة، البائسة، المتطلعة إلى يوم الخلاص على التمييز بين مهدي مزعوم.. ومهدي حقيقي يغرس الغصن في الأرض فيورد ويخضر بإرادة الله فوراً.

لهذا كله نطالب علماء المسلمين بمواجهة حالات " المهديَّة " المزورة عن طريق توعية الذهنية العامة للمسلمين بملامح المهدي وشمائله وخصائصه وعلامات ظهوره كما فعل بعضهم من قبل، فالمتقي الهندي ـ كنز العمال ـ رحمه الله تعالى كتب مؤلفه " البرهان في علامات آخر الزمان"[2] للرد على حالة "ادِّعاء" للمهدي ظهرت في الهند، وجمع في كتابه النعوت والصناعات المخصوصة للمهدي المنتظر الحقيقي وتحديد علامات ظهوره، كيلا يَنْطلي على الناس خداع المبطلين.

**العوامل النفسية لظاهرة المهدي المزوَّر:**

طالما أنَّ لفكرة المهدي المنتظر الحقيقي جذورها العقيدية ومعطياتها النفسيَّة فإن "المهدي المزور" ظاهرة مرضيَّة عبَّرت عن نفسها بأساليب أتعبت أعصابنا، وأتعبت أعصاب القائمين بها على مدار تاريخ طويل، فلم تنل لشذوذها على رضا المسلمين وذلك بسبب استغلال

---

= ونعتقد ـ والله اعلم العالمين ـ بأن المراد من شيوع الكفر في آخر الزمان هو رفض البشرية لحكم الله وليس عدم تداول لفظ الجلالة، وقد أعلنت بعض الدول الإسلاميَّة التزامها الصريح بالعلمانيَّة ورفض قيام أحزاب سياسية ذات هوية عقائدية إسلامية.

(١) عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر / للسلمي ص ١٠٨.

(٢) البرهان للمتقي الهندي ص ٦٧ ( مقدمة الكتاب ).

القائمين بها لفكرة المهدي المنتظر أو تحت إلحاح دوافع البحث عن شهرة أو تأكيد ذات أو قوة ضغط قلق نفسي يحاول فيه هؤلاء المدعون تقمص دور المهدي الحقيقي، أو بقوة مشاعر الإحباط التي تعاني منها النفوس، فاندفعت جماعة من الناس تبحث عن شهوتها في البروز وحب الظهور، وإشباع غير سوي لنزوتها في العلو والزعامة، وهذا يعني كلّه اختفاء بعض حالات الادّعاء بالمهديَّة وراء جاذبية بعض الدوافع النفسيَّة التي تتحكم في بواعث السلوك المهدوي المزيف وتغذيه في أجواء يسودها الظلم والاضطهاد.

وإذا تأملنا بدقة في بعض النصوص الإسلاميَّة نجدها تتوقع حدوث حالات ادّعاء للمهدوية، لهذا أشارت هذه النصوص ـ بصورة مجملة ـ إلى بَعْض الدوافع النفسيَّة التي تحرّك سلوك المُدَّعين، وتجعل تصرفاتهم حلقة واحدة متصلة، وقد كشف التاريخ نفسه باعتباره ميداناً لوقوع الانحرافات السلوكيَّة حالات ادّعاء ورصدها، وأوضح أثر عدد من الدوافع البشرية وراء تكوين هذه الحالة المرضية، ونأمل في عجالة أن نضعها تحت مجهر التشخيص النفسي لنرى جزءاً من صورتها على الأقل إذا تعذر فحصها كاملاً.

والواقع أنَّ دوافع هذه الحالة المرضيَّة وعواملها يعود بعضها إلى الواقع النفسي للمسلمين، والآخر خاص بالسيكولوجيَّة المريْضة لشخصيَّة المُدَّعي، وسوف نبدأ بما يخص "المُدَّعي" ثم ما يخص " الواقع النفسي للمسلم وتراكم خبراته الإحباطيَّة " .

**أولاً: الاستغلال السيئ للمهديَّة:**

عرفنا من خلال تاريخ الفكرة المهديَّة أنَّ بعض الكذابين جنحوا عمداً لاستغلال وهجها وحرارتها الفعَّالة في النفوس، استغلالاً سيئاً يحقق مآربهم الشخصيَّة، وقد سبب ذلك موقفاً نفسياً سلبياً إزاء عقيدة المهدي المنتظر

والإيمان بها، وتنفير الشعور الاجتماعي منها، حيث دعا بعض الكتَّاب[1] إلى طرح هذه العقيدة وإلغائها تماماً من الذهنيَّة العامة للمسلمين كيلا تتكرر مآسيها كما زعموا في حياة المجتمع المسلم حاضراً، ومستقبلاً.

ومما لا شك فيه أنَّ قوة الفكرة وشدة رسوخها وتأثيرها في نفوس المسلمين خلال تاريخ طويل هو أحد الأسباب التي أدَّت إلى استغلالها بطريقة مؤسفة، منحطة، هو الذي سبَّب المتاعب لمؤيديها وتسفيه عقولهم، بالرغم من أنَّ قضية المهدي المنتظر(ع) لم تأت من فراغ، بل انطلقت من "النص" الإسلامي النقي الذي شدَّد عليها في مصادره الكتاب والسنَّة، وظلت منذ صدر الإسلام الأول فكرة متداولة في الحياة العقائدية العامة للمسلمين، وبلغت من قوة رسوخها، وثباتها لدى الناس أن حاول المستغلون توظيف جوانبها العقيديَّة والنفسيَة في العمل السياسي - بل والعسكري أحياناً - ضد خصومهم، وأنَّ بعضهم نجح في إنجاز ما يرغب في تحقيقه بمقدار نجاحه في استثمار هذه الجوانب.

فبين فترة وأخرى يظهر في أوساط المجتمع الإسلامي "مهدي كاذب" يثير ضجَّة ثم تنتهي بفشل ذريع ويتصدى له الناس ويفضحونه لعدم تطابق المواصفات الشخصيَّة المحددة " للمهدي الحقيقي " في الأحاديث الدالة على ذاته، فلا يسود العدل ولا ينتهي الظلم وتضيق دائرة الأول وتتسع دائرة الآخر، لأنَّ هؤلاء المهديين المزورين يشكلون ركاماً آخر من المظالم التي تعاني منها البشرية، ويتكرار هذه الحالة المرضية مرَّات عديدة، وفشل "المهدي المزيف" في تحقيق أهداف هذه العقيدة، اقترن هذا الفشل المتكرر بكره نفسي وعقلي للفكرة، لأنَّ كل استجابة فاشلة في سلوك المدعي - فرداً

---

(١) انظر مثلاً كتاب [ لا مهدي منتظر بعد الرسول خير البشر ] للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، وقد ردَّ عليه الشيخ عبدالمحسن العباد / كذلك نجد هذه الدعوة في مقال كتبه لمجلة الأمان - العدد [ ٤٢ ] إبراهيم بن سليمان الجبهان وهو من علماء الرياض.

أو جماعة ـ يتبعه دائماً فشل في تحقيق الآمال، ونشوء مظالم جديدة تقترن بها، وهكذا عانى المسلمون في أدوار مختلفة من تاريخهم من أذى ظاهرة المهدي المزيف، وسبَّب لهم قلقاً شديداً في النفوس وكراهية مليئة لعقيدة المهدي الحقيقية ذاتها.

ويحاول ـ الآن ـ بعض كتَّاب هذا العصر تكوين اتجاه عقلي وديني مضاد للفكرة وتكوين استجابة سلبية عامة نحو موضوع الاعتقاد بالمهدي الموعود[1]، وهذا شأن كل النفوس والعقول في المواقف السلوكيَّة الخاطئة، فما الذي أنشأ الكراهيَّة في النفوس ضد الإسلام، والانتماء إليه إلاَّ سلوك أهله، وبخاصة علماء السوء المنتمين إليه[2]، بحيث فتح تصرفهم باباً واسعاً لمقت هذا الدين في عقول بعض المثقفين ونفسياتهم، بل حتى في أوساط البسطاء من أفراد المجتمع المسلم، فالاتجاه النفسي نحو دين الإسلام عند بعض المثقفين نشأ من المواقف الإحباطيَّة، وأصبحت استجابات الكراهيَّة المعبِّرة عن حكمهم العقلي ـ المرتبطة بالحالة النفسيَّة ـ على الإسلام ناجمة من سلسلة الخبرات الإحباطيَّة السابقة الأليمة.

إنَّ الذين تقمصوا شخصية المهدي الموعود الحقيقي وحاولوا زوراً التوحد بمواصفاته الشخصية يعلمون أنَّهم "كذَّابون" يخدعون المسلمين، وأنَّ فشل حركاتهم أمر لا مفر منه، وأنَّ الكره الموجه ضد الفكرة موقف نفسي وعقلي مقترن بهذا الفشل، فلا يوحي فشل أسلوب الاستغلال السيئ للفكرة إلاَّ بالأدلة الكاملة لها ـ ولمؤيديها ـ ولو كان ذلك على المدى البعيد.

وليس بمستبعد أبداً أن يكون الخائفون من انتشار الفكرة هم الذين

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود في كتابه [ لا مهدي منتظر بعد الرسول خير البشر ] وكذلك ما كتبه الباحث المصري حسين أحمد أمين في مقال له بمجلة العربي، شهر أكتوبر ١٩٨٢، عدد ٢٨٧.

(٢) انظر معجم أحاديث المهدي عليه السلام ج١ ص١٥ ـ ١٧.

يدفعون بعض الناس إلى تقمص شخصية المهدي الحقيقي واستغلالها ؛ وذلك لتكوين مواقف عقليَّة واتجاهات نفسيَّة مضادة لها وتنفير الناس منها، وبذلك يشعرون ـ ولو مؤقتاً ـ براحة نفسيَّة، فالاتجاه المعادي لهذه العقيدة يحاول جاهداً تخفيف مخاوف المستبدين الذين استهدفتهم عقيدة المهدي وتوعدتهم بالانتقام، فلو نجح هؤلاء في فصل الجماهير المؤمنة عن هذه العقيدة يكونوا قد أزالوا مخاوفهم، وصنعوا مواقف أفضل من التكيف مع الفكرة، ومع الجماهير التي تؤمن بها.

وربما كان يظن هؤلاء المدَّعون لحالات " ادِّعاء " المهدية والتشجيع عليها أنَّ نجاح حالة واحدة من حالات الادِّعاء يكفي لإسقاط فاعلية عقيدة المهدي الحقيقي الموعود، فإذا ما نجح أحد هؤلاء المرجفين المزورين في دعواه، فأقام مثلاً مجتمعاً عادلاً في بقعة من عالمنا المسلم، وحطَّم قواعد الظلم في شعابها ولو لبضع سنوات، فإن فكرة انتظار مهدي آخر لم يعد لها جدوى بعد قيام هذه التجربة الناجحة، ويُمهد هذا النجاح لإقناع الجماهير المسلمة بأن المهدي المقصود في الأحاديث قد تحققت بشارته، وأصبح واقعاً قائماً في التاريخ، وحينئذ يغلق الباب نهائياً أمام توقع آخر لمهدي جديد وتتضاءل حالة الاستعداد ويفتر حماس الجماهير المسلمة وكأن الأمر لم يكن، فالساحة التاريخية احتضنت المهدي المقصود وانتهى الأمر، وهكذا تموت العقيدة والعقول وتموت معها فاعليتها بنجاح تجربة ادِّعاء واحدة، ولكن الله يأبى إلاَّ أن يتم نوره ولو كره المشركون، فلا يمكث إلاَّ ما ينفع الناس، أمَّا الزبد فيذهب جفاء.

ولنجاح حالة واحدة من حالات الادعاء ـ لا سمح الله تعالى ـ تأثير نفسي على جماهيرنا المسلمة بتكوين مواقف الإحباط في سلوك أفرادها، فلن تتعلق آمالها بالبشارة الإسلاميَّة، أو تضعف على الأقل استجاباتهم العامة تجاه هذه العقيدة. . هذا من جهة.

ومن جهة ثانية يعود الظلم وقواه، وأعوانه ليستأنف الفسادَ في الأرض أكثر مما مضى، فيزداد همُّ الجماهير المستضعفة، ويزول الشعور بالخوف من نفوس حكام الجور المستبدين ويحس أعوانهم بالطمأنينة و الأمان لأنَّ الملف التاريخي للقضيَّة قد أغلقته حالة تزوير واحدة وأغلق على أثره الملف النفسي الحزين الذي يتهددهم، وهكذا فإنَّ إخماد جذوة الفكرة في نفوس المستضعفين وتحطيم هيبتها في نفوس المستكبرين يسمح بتسويغ السلوك الاستبدادي الصادر عن المستكبرين، وبخاصة أنَّ فكرة العقاب الإلهي ملغية تماماً في أذهانهم ويحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً، فكيف بعد ذلك يخشون توعده عزَّ وجلَّ بمهدي منتظر يهدم أسوار الظلم ويؤسس على أنقاضه قواعد العدل في مجتمع جديد، طالما أنَّ التاريخ قد طوى صفحته بلا رجعة، أو لاطمئنانهم بأن ما يصدر عنهم هو العدل بعينه؟

لهذا قطع الإمام المهدي بنفسه على حالات الاستغلال الكاذبة، وحصر الحق في دائرته وحده، وسفَّه كلَّ مدَّعٍ كاذب، قال عليه الصلاة والسلام: "إنَّ الحق معنا وفينا، ولا يقول ذلك سوانا إلاَّ كذَّاب مفتر، ولا يدَّعيه غيرنا إلاَّ ضال غويّ "[1].

**ثانياً: رغبة التسلط وإعجاب الذات:**

لم نكن على اطلاع كامل بتاريخ النفر الذين نسبوا " المهدية " لأنفسهم، وتمثلوا ـ بصلافة وحماقة ـ دورها ولكن لعلَّ أبرز سمة عصابية اجتمعت في شخصيَّات بعض الذين نعرفهم من هؤلاء المدعين هي رغبتهم المريضة في حب الرئاسة والتسلط على الآخرين بأنانية مفرطة، وقد نجح قسم منهم في إشباع مؤقت لهذه الرغبة وبطريقة غير سويَّة من خلال تقمص مؤقت ونفعي لشخصية المهدي ومع ذلك يمكن القول بأن اتجاه النفس نحو

---

(١) كلمة الإمام المهدي / السيد الشيرازي ص ٢٤٧.

إشباع مريض لهذه الرغبة ليس سمة عصابيّة في شخصيات " أدعياء المهدي المزور " فحسب، بل هي القاسم النفسي المشترك بين المتسلطين أو الراغبين في التربع على كرسي السلطة سواء ادعوا فكرة " المهدي " أو لم يدعوها ما داموا نائين عن مبادئ السماء.

فالنفس تميل بطبعها الفطري إلى الزعامة، ولا اعتراض لنا على محاولة الذَّات إشباع رغباتها بطريقة صحيحة تستهدف إشباعاً موضوعياً يتلاءم مع مبدأ الاستخلاف، لكن ما تستقبحه العقول وتستهجنه القلوب هو التعبير عن هذه الحاجة بإشباع مريض، فلا حاجة لهؤلاء الأدعياء بتمثل شخصية المهدي المنتظر عليه السلام زوراً طالما أنهم يرغبون في إشباع حاجاتهم للزعامة سوى انحراف النفس وأمراضها المعقدة، وهذا يعني أنَّ فئة " المهديين " المزيفين تمثل شريحة ضالة سعت بأسلوب مريض لإشباع هذه النزعة في الزعامة والوصول إلى سدة الحكم والسلطة.

وإذا ما تأملنا البعد التاريخي للظاهرة فإننا نجد بعض أفرادها تمكنوا فعلاً من بلوغ أهدافهم في التسلط السياسي، وتأسيس دول أو قادوا بعض حركات المقاومة تحت ضغط وَهم الشعور بالمهدية ونشوته.

ونحن ـ هنا ـ لا نمانع كما قلنا في أن يسعى الأفراد إلى إشباع نزعة الرئاسة ما دامت في إطار إشباع موضوعي يحقق الهدف الذي حددته السماء، فالأنبياء مثلوا في تاريخهم الطويل نخبة أو صفوة تمكنت من تحقيق الإشباع الموضوعي لهذه الحاجة النفسيَّة وهو بلوغ الأهداف الساميَّة كإقامة العدل في المجتمع، وتوزيع فرص متكافئة بين الناس وفق موازين شرعيَّة، فليست السلطة غاية تتمركز حولها ذوات الأنبياء، وليست أداة للإفساد والإشباع الذَّاتي وتحقيق الطموحات الشخصيَّة، بل هي وسيلة نبيلة تُحدِّد للإنسان وظيفته في حركة الحياة، فَيقيم عدلاً، ويخذل باطلاً وينشئ علاقات إيمانية صحيحة بين الرجل وأخيه، وبين الرجل والمرأة، وتحدد قواعد التعامل

السليم بين طبقات المجتمع وفئاته المختلفة، لهذا دعا الإمام المهدي في دعاء الافتتاح إلى سيادة مبدأ الاستخلاف والعمل لبناء الدولة الكريمة.

ولكنَّ الرغبة في تحقيق " الإشباع الموضوعي " لا تتطلب تسلطاً مريضاً وحبّاً شاذاً للرئاسة، لا يتردد أصحابه في انتحال الصفات الحسنة للآخرين، وقد أثبت تاريخ " ادِّعاء المهديَّة " أنَّ الرغبة لدى " المهديين المزورين " في التسلط، وحب الرئاسة، قد يدفعهم إلى محاولة تقمص شخصية الإمام المهدي الحقيقي المنتظر عليه السلام، والتوحد لا شعورياً بصفاته الحسنة، إذا نسبوا لأنفسهم العدالة والصلاح والكفاءة السياسيَّة والقياديَّة، ونسبوا لأنفسهم الاستقامة والورع والشجاعة والكفاءة العلميَّة وسائر مؤهلاته الشخصيَّة، بل حتى اسمه لم يسلم من استغلالهم كما ذكرت بعض النصوص مثل الحديث: " المهدي اسمه اسمي " ومثل استغلال الحديث المروي من طرق أهل السنَّة عن الرسول الكريم، بأنَّ " المهدي اسمه اسمي.. واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً "[1]، وعلَّق الكنجي الشافعي على متن هذه الرواية فقال: قلت وقد ذكر الترمذي الحديث، ولم يذكر قوله واسم أبيه اسم أبي " وذكره أبو داوود، وفي معظم روايات الحفَّاظ والثقاة من نقلة الأخبار ( اسمه اسمي ) فقط، والذي رواه (اسم أبيه اسم أبي) فهو زائدة، وهو يزيد في الحديث، وإن صحَّ فمعناه واسم أبيه اسم أبيه الحسين دون الحسن، ويحتمل أنَّه قال اسم أبيه اسم ابني أي الحسن، ووالد المهدي اسمه حسن، فيكون الراوي قد توهم قوله فصحفه فقال أبي، فوجب حمله على هذا جمعاً بين الروايات، وهذا تكلف في تأويل هذه الرواية. والقول الفصل في ذلك أنَّ الإمام أحمد مع ضبطه وإتقانه روى

---

(١) ذكرت هذا الحديث بعض المصادر وكتب الحديث عند أهل السنَّة كالكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان ص٩٣ وفي القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر ص ٢٧، ٣٠ / والبرهان للمتقي الهندي ص ٩٠، ٩٢.

هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع . . واسمه اسمي [١].

وينطوي السلوك التوحدي في شخصيَّة المهدي المزور على عقدة نقص واضحة، وعلى إحساس مريض بأهمية اكتساب سمة العظمة، والتعبير عنها بموقف تسلطي، وبخاصة إذا كانت الظروف مهيأة لذلك، كما فعل الخليفة العباسي المنصور عندما عيَّن ابنه "المهدي" لتغطية الإحساس بالنقص، وليسوغ لنفسه ولابنه افتعال العظمة، وذكر بعض المؤرخين [٢] أنَّ بعض أفراد البيت العباسي نفسه يدركون انحطاط شخصية المهدي ابن الخليفة المنصور، فأغاظ ذلك أخوه جعفراً، فقال إن كان أخي محمد هو "المهدي" فهذا القائم ابن آل محمد!!! سخرية بما جرى.

وكدليل على قوة الشعور بالنقص والحطة في شخصيَّة المهدي المزور نجد حين يصل أحد هؤلاء المزورين إلى مواقع السلطة والزعامة يتخلى عن كل السمات الحسنة التي طالما تمناها ونسبها لشخصيته، فيكون ظالماً طالباً للتأليه، معتزاً بطغيانه يفتك بالآخرين ويريق دماءهم دونما رحمة، أو يتلذذ بتساقط ضحايا دعاويه الكاذبة، فلا يأبه. . ولا يتراجع عن أوهامه. . إنَّ تكبره وطغيانه ناشئ من شعوره بالحطة والدونية.

إنَّ الواحد من هؤلاء الموهومين نفسياً وعقلياً مارس التسلط من خلال إعجابه بكمال ذاته ومن خلال شعوره بأنه " الرجل المنقذ المخلِّص " الذي استبقاه الله لتصحيح العوج في حياة البشر ونشر الأمان والمحبة، وهو بالرغم من ذلك يطوي في دفائنه النفسيّة تناقضاً حاداً مع السمات الإيجابية البارزة في شخصية المهدي الحقيقي المقصود، إنَّه ـ كمدعي ـ يدفن تحت ستار رقيق من التضليل دجله وعدوانيته وعقده المختلفة وبالذَّات عقدتي الرئاسة والنقص

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان / الكنجي الشافعي ص ٩٤.

(٢) الأغاني / لأبي فرج الأصفهاني ج٢ ص ٨١ نقلاً عن كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي ص ٩٦ ـ ٩٧.

والدليل على ذلك أنَّ هذه العقدة تتجسد عملياً عندما ينجح بعض هؤلاء المدعين في بلوغ بعض أهدافهم السياسيَّة، فيمارسون زعامتهم التسلطيَّة بالقهر والغلبة والاستبداد.

والرغبة الشاذة في التسلط المجنون على الآخرين.. وعلى هذا النحو المريض.. تنشأ عادة من حب الذَّات، والإعجاب بالنفس والتمركز حول أوهامها، وتقدير حجم الذَّات تقديراً خاطئاً، فعندما سئل أحد هؤلاء المهديين الموهومين: لعلك المهدي المنتظر؟ فأجاب: أجل أنا هو[1]؟

وليس من شك في أنَّ ظاهرة "المهدي المزور" أسقطت عيوبها النفسيَّة، على الفكرة العقائديَّة النقية، وسعى بعض الكتاب إلى إدانتها من خلال إدانة السلوك المرضي في شخصيَّة المهدي المزعوم، وطالب بعضهم بإلغائها نهائياً من حياتنا، وكأنهم حوَّلوا كراهيتهم للظاهرة الوهم إلى الفكرة الأساسيَّة السليمة الصافية دون ما تمييز بينهما.

وعلى كل حال فإنَّ التسلط ضد الآخرين، وحب الرئاسة، والإعجاب بالذَّات قد اتخذ من ظاهرة "المهدي المزيف" صيغاً مختلفة، فمهدي تلقب بالاسم، وآخر أفرغ مشاعره وتصرفاته المريضة بتكوين نظام سياسي يسمح له بالقمع والاستبداد، أو تكوين جماعة سياسيَّة تجاهد "أعداء الله" ـ وهو هنا لون من الإعلاء ـ وثالث ادعى حلول ذات المهدي المباركة فيه، وهكذا عبَّرت هذه الظاهرة عن غرور قهري ممقوت في شخصيَّة المدعي، وصدق القائل بأن الوله بالذَّات هو رأس الآفات.

## ثالثاً: الواقع النَّفْسي وتراكم احباطاته:

يتعرَّض المسلم ـ قبل الغيبة وأثناءها ـ لأساليب شتَّى من الظلم والاضطهاد، وفرض عليه الظالمون القهر بمختلف أشكاله، وقد اتسعت هذه

---

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور / القزويني ص ٤٦١.

الممارسات تدريجياً كلما قويت شوكة الظالمين وضعفت في الوقت ذاته قدرة المظلومين على المقاومة.

وبسبب هذه العلاقة القهريَّة بين الظالمين والمظلومين نشأ واقع نفسي مرير، وتراكمت خبراته الإحباطيَّة في حياة المسلم حتى أصبحت الحاجة إلى تغيير الواقع المأساوي مطلباً جماهيرياً عاماً تنشده كل الفئات المضطهدة، وحتى أعوان الظلمة الذين قبلوا طواعية المذلة والإهانة سئموا هذا الوضع وضاقوا ذرعاً به، فالنفس البشرية تضيق ـ بفطرتها ـ بما يؤذيها، وتتجنب بتلقائية ما يؤلمها.

ومن المؤكد أنَّ هذا الواقع النفسي لم يصنعه فقط ظلم الظالمين وفساد المنحرفين بل صنعه كذلك سوء التوجيه التربوي لفئات المجتمع المسلم وضعف توعيتها بمفاهيم الإسلام، إذ تعرضت جماهير المسلمين منذ ذاك الوقت حتى الآن إلى عملية اغتراب عقيدي، وابتعاد عن الأصول الثقافيَّة للإسلام، فضعفت النفوس خلال فترة الغيبة الكبرى بغياب القيم الإيجابيَّة للإسلام القادرة وحدها على تحقيق توازن داخلي للشخصيَّة المسلمة حينما تواجه الأزمات والخطوب.

وفي مثل هذه الأجواء النفسيَّة نشأت مجموعة متداخلة من المشكلات النفسيَّة في البيئات المسلمة كالحيرة واليأس والتيه، والمواقف الإحباطيَّة، ونكوص الشخصية المسلمة عن استقامتها، والتشكيك في بعض العقائد، وتقلب المشاعر ويلاحظ أنَّ هذه الجموع المسلمة تواجه هذه الحالات كلَّما ادلهمت الخطوب واشتدت ضغوط الظلم، لكن هذه التجارب الإحباطية تزداد فيما يبدو كلَّما طوت البشرية صفحة من تاريخها في اتجاه الاقتراب من حركة الظهور المباركة، وقد تبلغ ذروة معاناتها وقسوتها على النفس المسلمة قبل فترة الظهور وأنَّ المستقبل في ضوء ما أنبأت به النصوص الإسلامية سيشهد استفحالاً أكبر للظلم وتضخيماً لضغوطه، مما يفسح مجالاً أكبر

لظهور حالات معقدة من الانحرافات السلوكية.

وإنَّه بالرغم من ظهور بعض البشائر وتحققها في الواقع السياسي والاجتماعي والنفسي للمسلمين، إلاَّ أن شدة ضغوط هذه الحالات المعبرة عن فساد الواقع في العالم الإسلامي تزداد طالما أنَّ خط الظلم الذي يمارسه المستكبرون ضد الناس لا يتراجع رغم مقاومته بقوة، قال أحد الناس للإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك، قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً، فقال الإمام عليه السلام: إنَّ هذا الأمر أيسر ما يكون منه ـ (أدناه) ـ وأشده غماً ينادي مناد من السماء باسم القائم[1].

إنَّ هذا الواقع النفسي المرير الذي يواجه هذه الأمة والبشرية بازدياد مستمر يمثل في حقيقته تقديراً خاطئاً للأمور، فالمسلم ينسج عن نفسه، وعن إمامه المنتظر و"ظهوره" نظرة سلبية خاطئة مزيجاً من اليأس والتشكيك، والاستعجال، والحيرة والنكوص كما ورد ذلك في تشخيص النصوص لهذه الحالات.

وليس الواقع النفسي للمسلم دائماً مجموعة إحباطات معوقة لنمو قواه وتعطيل حركتها الطبيعية، بل يضم هذا الواقع كذلك بعض المتغيرات الإيجابية، كالبشائر وأثرها في النفوس، وبالرغم من أنَّ الأدعياء وأتباعهم تحركهم الآمال النفسيَّة المستوحاة من البشائر النبوية وتثير حماسهم لمواجهة الواقع وتغييره إلاَّ أنهم يتعاملون مع هذه الآمال بنظرات خاطئة ومريضة لا تخلو من استغلال، فهم أحاطوا أنفسهم بالتشبه بالمهدي، ورغبوا بطريقة غير سوية في حب الظهور والتمركز حول أنفسهم بعد سلسلة طويلة من المواقف والخبرات الإحباطية الصعبة، والاستعجال في تحقيق الأمور قبل بلوغها بما فيها مسألة تغيير الواقع الفاسد وتحطيم معاقله على يد القائد المظفر..

---

(١) غيبة النعماني ص ١٢٠ ـ ١٢١.

المهدي. وهذه جميعاً علامات تدل على وجود عصاب تغلغل في سيكولوجية الأدعياء وأتباعهم، وهكذا فإنَّ فشلهم في فهم دلالات الانتظار ـ ومعانيه العبادية والتربوية ـ يعود إلى الواقع النفسي المرير المحيط بالشخصيَّة المسلمة وسوء تعاملها مع متغيرات هذا الواقع وقسوة ضغوطه التراكميَّة.

واستغلال المدعين والمدلسين لظواهر نفسيَّة صعبة اكتوت منها النفوس لمدة طويلة في مختلف البيئات المسلمة، تجعل الأجواء مهيأة نفسيّاً لإعلان ظهور مهدي " مزور " آخر لا تنطبق عليه الأوصاف ولا يقترن ظهوره بعلامات معينة ومحددة كما هي في النص فاليائس المعذب الباحث ـ بقوة ـ عن مخرج أو منفذ لتفريغ شحناته الانفعاليَّة يتعلق بأي " مهدي " مفتعل لتخليص نفسه من معاناتها، ومن غوائل يأسها القاتل، لأنَّ الحماس الذي تثيره بشارة المهدي تقود بعض التائهين إلى الاستعجال في عمليات التغيير لواقعنا المنحرف، وهكذا فإنَّ ظواهر الواقع النفسي الضاغطة على المسلم تجعل بعضهم يتجاوب مع حالات الادّعاء بالمهدية، لهذا تتكرر بين فترة وأخرى حالة " المهدي الكاذب "، وكأنها حلقة واحدة متصلة على مر الأيام والسنين، وكأنها ـ أيضاً ـ نسخة واحدة من المشكلات النفسيَّة والعقائدية الناجمة عن ظلم الطاغوت وفساد بطانته، وعن نقص وعي بعض المضطهدين.

وإذا كانت العجلة، والتشكيك، واليأس والحيرة، والنكوص، والظلم هي أبرز ظواهر الواقع النفسي الفاسد في عالم المسلمين خلال فترة الغيبة الكبرى، فإنَّ هذه الظواهر كما نلحظ متشابكة، متداخلة، فالمشكلة الواحدة منها سبب للأخرى ونتيجة لغيرها، فالظلم يقود إلى استعجال تغيير الواقع، واليأس من تغييره يحدث حيرة وتيهاً يفرز معه تشكيكاً ونكوصاً عن الاستقامة الإسلاميَّة المطلوبة وهكذا تكون المشكلة النفسيَّة سبباً و نتيجة للأخرى.

وبتأمل هذا الواقع النفسي نجده ليس واقعنا وحدنا في هذا الزمان، بل

أحسَّ به حتى قدامى المؤلفين الذين نقلوا لنا هذه الروايات المشخصة لاحتمالات الواقع النفسي المر الذي عاناه غيرنا، وبمراجعة كتب هؤلاء كالنعماني وغيره نشعر بأنهم في ذلك الزمان عانوا من مرارة اليأس وطول الأمد، والتشكيك، وأن الفارق فقط في الدرجة.. فارق في درجة المعاناة.. فارق في الشدة والضعف، وقد مرَّ علينا جواب الإمام الصادق لسائله التي ضاقت نفسه بظلم مجتمعه، ولعل هذا من أهم أسباب ظهور حركة " المهدي المزور " وفشلها المتكرر.

واتخذ الناس إزاء هذا الواقع النفسي المرير مواقف عديدة، فمنهم صابر عامل بمنهج الله تعالى ضد الظلم والظالمين، ومتيقن بأنَّه لم يحن بعد موعد الظهور المبارك، فإذا أتى لن يؤخر الله ذلك ولن يستقدم، ومنهم من انتابته حيرة في معرفة " إمام زمانه " ومنهم شك وارتاب في وجود الغائب لطول غيبته عليه السلام، ومنهم من نكص على عقبيه فارتد عن دينه، ومنهم من استعجل الأمور قبل أوانها، وبالغ في استعجاله حتى يتجاوب مع أية حركة تغييرية حتى ولو كانت ضالة انتحل زعماؤها " المهدية " كذباً وزوراً، ومنهم من بلغ به استعجالُه واستطالته للأمر إلى اليأس والشك والارتياب والتردد في إمامة المهدي والعودة عنها، فهذه جميعاً حالات نفسيَّة مريضة نشأت من ضغط الواقع الفاسد الظالم، وهيأت الأجواء لمهدي تلو آخر دون أن يظهر فيهم المهدي الحقيقي عليه السلام.

وإنَّه بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام كيلا يكون في عنقه بيعة لأحد[1]، توجهت الجماهير المسلمة إليه كمنقذ، وكقائد لعملية تغيير كبرى للعالم بأسره، غير أنَّ غيبته طالت، وتراكمت خلالها الخبرات الإحباطية للمسلم من ظلم وقتل ونهب وتشريد، فاشتدت الحاجة لتغيير الوضع، وتعثرت

---

(١) غيبة النعماني ص ١١٣، ١١٤.

محاولات إصلاح المجتمع المسلم في عصر الغيبة، فبقيت هذه الخبرات الإحباطيَّة تضغط على أعصاب الناس إلى يومنا هذا، بل تزداد تراكماً حتى موعد الظهور، ومن حسن الحظ أنَّ بعض البشائر تتحقق، فتحدث توازناً داخلياً في بعض النفوس المؤمنة خلال فترات متباعدة من زمن الغيبة الكبرى، لأنها تحدث تفاؤلاً أفضل.

وسنقف في عجالة على بعض الحالات المرضيَّة التي كونت مجتمعة نسيج هذا الواقع النفسي للإنسان المسلم التي جعلت بعض النفوس مهيأة لمؤازرة " كل مهدي " يظهر في المجتمع المسلم دون التحقق الفعلي من المهدي الحقيقي عليه السلام، ودون التدقيق في العلامات المصاحبة للظهور أو السابقة عليه، ومن هذه الحالات العصابيَّة، غير التوافقيَّة:

**أ ـ اليأس والحيرة والتشكيك:**

ولدت الحيرة فاليأس في نفوس الكثير من المسلمين لفشلهم في تغيير الواقع الظالم، ولفشل تجربة " المهدي المزوَّر " الواحد تلو الآخر وأتباعه المحبطين في تغيير هذا الواقع، فاحتار البعض في تحديد المهدي الحقيقي، وقادهم ذلك العجز إلى يأس من التغيير، ومن وجود مهدي حقيقي موعود، وقد تكون الحيرة بسبب طول الغيبة.

لقد احتارت النفوس ويأست بالرغم من أنَّ الأرض لا تخلو من حجة كما ذكرت الروايات[1]، وبالرغم من أنّه من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية[2]، لكنَّ الحيرة وقعت واستغلها أدعياء المهديَّة، وحفروها في نفوس فقدت الرؤية الواضحة، وتاهت عن معرفة القيادة، وعاجزة عن ممارسة دور تاريخي يصنع التغيير المأمول، وجرَّب أدعياء المهدية حظهم مع هذه النفوس

(١) المرجع السابق ص ٨٧.
(٢) معجم أحاديث المهدي، ج٢ ص٢٤٧ ـ ٢٥٤.

التائهة فنجحوا معهم مؤقتاً، لكنَّهم فشلوا في تحقيق أهدافهم لأنهم اعتمدوا على نفوس قتلها اليأس والحيرة وخضوع العزيمة والتشكيك المؤلم، وهو الذي جعلها تتعاطف مع " المهدي المزوَّر " في كلِّ مرَّة، فالنفوس المريضة العاجزة عن تحمل مسؤوليات الانتظار العباديَّة لا تكون قادرة على تغيير الواقع المريض بقيادة زعيم مريض.

كل يائس، قلق على مستقبله، لا تشعر نفسه بالأمن حتى وإن تمكَّن أحد أدعياء المهدية من أن يهدهد عقله بأحلام التغيير، فهو يائس من عدل الطغاة ومرتاب من قدرة " الأدعياء " على الانتصار الحاسم، ويجهل في الوقت نفسه قيادته الشرعيَّة.

ومع ذلك كلِّه فإنَّ اليأس لم يغط مساحة قلبه كلِّها، إنَّه مع يأسه المرير الذي يعانيه يمكن أن يراوده في خضم هذه المعاناة بصيص من نور، فيراوده حلم تغيير الواقع، لذلك نجده حتى في اللحظة الصعبة لديه استعداد للبحث عن منقذ لخلاصه مما هو فيه، تنفيساً له عن مآسيه، فيجد ملاذه الأخير في حركة " المهدي الكاذب ".

إنَّ هذا الاستعداد الضئيل في الأمل بتغيير الواقع يمكن تنشيطه بجرعات يعرفها " أدعياء المهديَّة " فتثير مرَّة أخرى حماس البعض من الراغبين في التغيير، ولكنه مع ذلك حماس مريض يدغدغ عواطفهم ويقودهم إلى السخرية والاستخفاف من خلال حركة " مهدي " لا تنطبق عليه الأوصاف المعينة في النص الإسلامي.

والحيرة واليأس مظهران لحالة الصراع النفسي الذي يعتري الأفراد الذين لا مرشد لهم، ولا إمام يفرِّق الحلال والحرام، ويرشدهم إلى الحق، ويحدِّد لهم مواقع الباطل ومواطنه وهو صراع بين اليأس في معرفة إمام زمانه وعجزه عن تحديده بدقة ولهذه الحيرة تأثير سلبي واضح على نمو الشخصيَّة، فالازدواجيَّة وتناقض المواقف، والتبعية للآخرين وتقبل الذلة وضعف الثقة

بالذَّات، وعدم وضوح الرؤية أمام الذَّات، والإحساس بعدم الأمان، والشعور بالمخاطر والتهديد، هذه بعض سمات الحائر التائه، البائس.

وحذَّرت النصوص من وقوع الحيرة ولفتت النظر إلى أثرها في التمسك العقيدي بالإسلام خلال فترة الغيبة الكبرى للمهدي المنتظر عليه السلام، ومن هذه النصوص:

" أما أنَّ له غيبة يُحار فيها الجاهلون "[١].

" إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة إحداها تطول حتى يقول بعضهم مات، ويقول بعضهم قتل، ويقول بعضهم ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلاَّ نفر يسير "[٢].

" ستطول غيبته حتى يرجع عنه أكثر القائلين به "[٣].

" وينكره المرتابون "[٤] " ويل للمرتاب "[٥].

" والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إلاَّ بعد إياس "[٦].

" إنما يجيء الفرج على اليأس "[٧].

هذه النصوص شخَّصت جزءاً من سلبيات الواقع المسلم ومشكلاته، فعندما تحتار النفس في قيادتها، وتحتار في التفاعل معها، وتسيطر عليها نظرة سوْداء تستبطن الشك بعقيدة المهدي، وهو تشكيك ينظر إليه ابن حجر وغيره

(١) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٧٧.
(٢) غيبة النعماني ص ١١٤.
(٣) الإمام المهدي للقزويني ص ٢٩ نقلاً عن بحار الأنوار ج٥١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) غيبة النعماني ص ١٢٤.
(٦) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٨.
(٧) هناك نص للمهدي.

من الرواة على أنَّه كفر بما نزل على محمدﷺ"[1].

**ب ـ الاستعجال والقلق النفسي:**

ليس خافياً على المرء أن الاستعجال من طبائع النفوس، قد جبلت النفس الإنسانيَّة على العجلة وتسرع الأمور قبل أوانها، وأكد القرآن الكريم هذه الحالة النفسيَّة لدى الأفراد في قوله: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ﴾[2] كما أكدت نصوص السنَّة على ذلك.

ولهذا فإنَّ المشرع الإسلامي وضع ضوابط لتوجيه هذه الحالة النفسيَّة، كيلا يرتبك التدبير الإنساني للأمور، وبالتأكيد فإنَّ الاستعجال ليس مذموماً في كل الحالات، فهو محمود في التوبة وتعديل السلوك وفي إصلاح العلاقات مع الآخرين ومن هنا نلحظ توجه الروايات إلى حث النفوس المؤمنة على التروي والصبر وممارسة الانتظار العملي بكفاءة خلال فترة الغيبة، وتستهدف هذه النصوص دونما شك تحقيق التعادل والتوازن الداخلي للشخصيَّة المسلمة إزاء عملية انتظارها لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وإذا تأملنا في النصوص الواردة إلينا بشأن انتظار الإمام وبخاصة في زمن الغيبة الكبرى الطويلة الأمد، نجدها تكشف عن حالة الاستعجال لتغيير الواقع النفسي والاجتماعي والسياسي الفاسد، ومازالت هذه الحالة قائمة في النفوس المظلومة المضطهدة حتى زماننا، وبالتأكيد لن يتراجع الناس عن استعجال الأمور وعن رغبتهم في تغيير واقعهم المأساوي خلال فترة الغيبة الكبرى، فكلما ضغط الواقع عليهم اشتدت حاجتهم لتغييره واتجهت النفوس مستعجلة التغيير، فقد عبَّرت نصوص المشرع الإسلامي عن هذه الحالة حتى في عصور مُتقدمة سابقة على فترة الغيبة، وسيبقى الأمر هكذا حتى يبلغ

---

(١) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص ٢١.

(٢) سورة الأنبياء / رقم الآية ٣٧.

منتهاه، فتصل حالة اليأس إلى بعض القائلين بإمامته كما جاء في بعض الروايات.

ومن النصوص التي حثت المؤمنين على ترك الاستعجال في أمر ظهور الإمام، وترك الاستعجال في العمل الجاد لتغيير واقع المسلمين في زمان الغيبة.

" هلك المتمنون ذمّاً لهم، وهم الذين يستعجلون أمر الله ولا يسلمون له، ويستطيلون الأمد، فيهلكون قبل أن يروا فرجاً، ويبقي الله من يشاء أن يبقيه من أهل الصبر والتسليم حتى يلحقه بمرتبته وهم المؤمنون "[1].

" كذب المتمنون، وهلك المستعجلون "[2].

" إنَّما هلك الناس من استعجالهم هذا الأمر، إنَّ الله لا يَعْجَل لعَجَلَة العباد، إنَّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا "[3] أي أنَّ النصوص تلفت نظرنا إلى شروط عملية الظهور وأهميتها في حركة التغيير الكبرى المستقبلية.

وفي نص آخر أمر الإمام الصادق عليه السلام بالكف عن الاستعجال وضبط النفس فيه والانتباه إلى كافة المؤامرات التي تستغل البشائر وعدم الاستعجال في التعامل مع بعض الأحداث دون التفكير الهادف، فعندما سئل الإمام حين ظهرت الرايات السود بخراسان وهي ليست الرايات السود الممهدة للإمام، قال الإمام الصادق عليه السلام: " اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل واحد فانهدوا إلينا بالسلاح "[4].

فالإمام يطالب قواعده الشعبية المؤمنة بالتريث والانضباط وعدم العجلة

---

(١) غيبة النعماني ص ١٣٠.
(٢) المصدر السابق ص١٣١.
(٣) المصدر السابق ص ١٩٨.
(٤) غيبة النعماني ص ١٣١.

في اتخاذ المواقف، وهذا يمكن أن ينطبق على حالة ظهور " المهدي " فينبغي التريث للتمييز بين المهدي الحقيقي والمهدي الموهوم، لأنَّه يعلن أنَّ بعض الناس يندفعون في اتجاه مؤازرة كل " مهدي " حتى إذا كان مزوراً، تحت ضغط الواقع الفاسد أو تلازم حركته ببعض حالات استغلال البشائر.

فالاستعجال وشعور الجماهير المسلمة الدائم باستطالة أمر خروج الإمام المهدي عليه السلام قد أوحى لبعض الأدعياء المبطلين باستغلال هذه الحالة النفسيَّة ورأوا جدوى استثمارها وتوظيفها في خدمة أهدافهم وتحقيق مآربهم، فما دامت بعض طبائع النفوس المنتظرة تستعجل في أمر ظهوره المبارك وتتطلع إلى قيادته الحكيمة لتغيير واقعها الفاسد، فإنَّه يمكن أن يلحق بها ضرراً، ويمكن أن يؤدي هذا الاستعجال القلق الذي لم يسترشد بالعقل إلى حدوث نتائج معاكسة محبطة لآمال الجماهير المسلمة، كالاستجابة المتسرعة لكل مهدي يظهر بخاصة إذا كان قادراً على هدهدة أحلام التغيير لديها دون وعي صحيح بسنن الله في الحياة الاجتماعية.

ويثبت الواقع النفسي التاريخي لحالات ادعاء المهدية أنَّ الاستعجال قد يكون مريضاً بصورة جادة مما تتهيأ الأجواء لتفاعل بعض البسطاء والمستعجلين مع كل دعوة مريضة، ذلك أنَّ الاستعجال البعيد عن التعقل يربك تفكير الفرد، فيتوهم أحلاماً مريضة، ثم تفشل حركته، ويلحق "بأدعياء المهدية " واتباعهم ضرر نفسي واجتماعي كبير يجثم عليهم فيعوق تعاونهم عن " الحركة " التي يقودها المهدي الحقيقي.

ويترك " الاستعجال " قلقاً عصابياً في النفس إذا أدَّت استطالة الغيبة الكبرى ـ كما هو الواقع الآن ـ إلى فشل هؤلاء ـ فشلاً متكرراً ـ في التغيير، حيث يتفجر حقدها، وتيأس، ويذبل الأمل، وتنكفئ الذات على نفسها، وتجتر أحزانها.

جاء في رواية تمت الإشارة إليها " قد طال الأمر علينا، حتى ضاقت

قلوبنا، ومتنا كمداً"[1]، ففي هذا النص تنبيه للأثر النفسي الناجم عن عجز الناس عن تفهم استطالة غيبة الإمام، ويعبر ذلك عن استعجال القلوب بَعْد أن تشتد المحن وتتسع دوائر الانحراف وتضيق الخناق على سيكولوجية المسلم.

وبتأمل النص السابق نجد أنَّ السائل مقرب من الإمام الصادق عليه السلام ومن خاصة أوليائه، وقد عاش في العصر العباسي، ومع ذلك ضاق صدره واستعجل الأمر قبل أوانه، وهو بعد لم يعش مظاهر عصر الغيبة في آخر الزمان، فما بال العامة من الجماهير المنتظرة للفرج وهي لا تملك إلاَّ رصيداً قليلاً من الوعي والصبر لم يتجرع بعد مآسي الإنسان في آخر الزمان؟

فالاستعجال تعبير واضح عن قلق النفس واضطرابها، وهو شعور محفوف بالمخاطر ما لم يخضعه الفرد المسلم تحت سيطرته، فيمنع نشوء نظرات سوداء مجهدة للأعصاب، كالشك والارتياب والتردد والحيرة، واليأس من تغيير واقع الظلم السياسي والاجتماعي الموجه ضد جماعات المعارضة وبخاصة المؤمنة منها، كما أنَّ النفس تظل دائماً في حالة شعور بالخطر مادام الطغاة وأعوانهم يحكمون بالحديد والنار، والتهديد بقطع الأرزاق، وتظل هذه المشاعر حبيسة في نفوس المسلمين، فالشعور بالقهر والغبن والمظلومية، والحقد على الطغاة، والرغبة في الانتقام منهم، ومن بطانتهم بطانة السوء، يثير التوتر، والقلق والضيق " حتى ضاقت قلوبنا، ومتنا كمداً ".

وإذا نجحت بعض النفوس المضطهدة في تحقيق أنماط من التكيف مع ظروف الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وتحقيق درجة مقبولة من التوافق النفسي، فإنَّ بعض الأفراد ليست لديهم القدرة على الصبر وتحمل الأذى، والتحرك في الحياة بمفهوم إيجابي للانتظار، وليست لديهم حالة

---

(١) غيبة النعماني ص ١٢٠.

كبيرة من الاستعداد النفسي والعقلي للمقاومة، لهذا تكون النفوس مهيأة للشك، والارتياب، والتيه، وتكون قلوبهم مستعدة رغم الواقع للطيش والحماقة مع " مهدي " مزور يستعجلهم فينساقون مع دعواه الباطلة.

ج ـ نكوص الشخصية:

عرفنا أنَّ الحيرة والشك واليأس تمثل جزءاً من مكوِّنات الواقع النفسي للمسلم في عصر الغيبة الكبرى، وأنَّ هذه الحالات اجتمعت كلُّها في اتجاه واحد.. اتجاه الإحباط النفسي.

وقد اقترنت التجارب الإحباطية التي اكتوى بها الفرد المسلم في فترة الغيبة بحالة نكوص عامة تراجع فيها الإنسان المسلم عن معايير السلوك الإيماني، وباعدت بينه وبين الأصول الثقافية للإسلام، ومن الطبيعي أن تنتهي هذه الحالات النفسية في حياة المسلم إلى وضع أكثر مأساويَّة، وأشد معاناة وإيلاماً.

لقد تراجعت الشخصية المسلمة عن قيم الإسلام وتعاليمه وضوابطه، وتخلَّت تدريجياً عن معاييره العباديَّة وأصوله الثقافية للإسلام، وليست هذه الحالة التي يعيشها المسلم في وقتنا الحاضر هي آخر نكسات حالة النكوص النفسي، فمن المتوقع ـ رغم تحقق بعض البشائر ـ أن تتفاقم مظاهر الانحراف، وأن تشهد البشرية في مستقبل أيَّامها انحرافاً أوسع مما نحن فيه، وذلك بعد التمحيص والغربلة، وهكذا يثبت الواقع التاريخي ـ والمعاصر ـ للأمة أنَّ مساحة هذه الحالة التراجعيَّة تتسع باشتداد المحن كلَّما طوى الزمن بعضاً منه، وهذا ما عنته أحاديث تدرج الشر[1] في الحياة البشرية خلال فترة الغيبة.

---

(١) يقول حديث شريف: " لا يأتي عليكم زمان إلاَّ الذي بعده شرٌ منه " ويقول حديث آخر محدداً علامات الانحرافات في الحياة البشرية: " إذا رأيت كل عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر " وأضافت رواية أخرى: " مما كان " / أنظر مصادر هذه الأحاديث في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ونعتقد أنَّ من أكثر حالات النكوص النفسي والعقلي صعوبة في الشخصية المسلمة خلال فترة الغيبة الكبرى هي ارتيابها في وجود الإمام المهدي، وشكها في قيادته، وعودة أكثر القائلين بإمامته، فوقائع حياتنا الحاليَّة تثبت أنَّ ملامح الارتياب ومصاديقه تبدو واضحة في ممارسات بعض المسلمين، إما بسبب طول غيبته أو لكثرة ضغوطات الواقع الإحباطيَّة أو نتيجة للفشل المتكرر لحالات " الادِّعاء " بالمهدي، ونفور هذه الجموع المسلمة من هذه الحالة المرضيَّة، وكل ذلك يعني فشل هذه الجموع في عملية التمحيص والغربلة والتفرقة وورد عن بعض المفسرين كما يقول النعماني أنَّ الآية الكريمة التالية نزلت في أهل الغيبة بعد أن يطول عليهم الأمد، فتقسو قلوبهم [1]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

ومع ذلك فإن بعض النفوس المضللة التي تعيش في وسط ظلام اليأس وانعدام الرؤية، تكون مهيأة لأية استجابة مرضية مع حالات " الادِّعاء " بالمهدية، لأنَّ فكرة المهدي المزور لا تستطيع أن تتسلل أو تنفذ إلاَّ في وسط شخصية تائهة، فقدت كما ذكرت الروايات بهذا الشأن وضوح الرؤية في مواصفات المهدي الحقيقي، وبقيت تحت أسر وَهم نشأ عن إحباط الجماهير المسلمة في صنع تغيير جديد للواقع الفاسد، وعلى كل حال فإنَّ حالات "الادِّعاء" أحد مظاهر نكوص المسلم على عقبيه، وتراجع في سلوكه تُمثِّل في الشك والارتياب والحيرة واليأس والإحباط، والادِّعاء بما ليس فيه.

والسؤال الآن:

* هل حالة النكوص التي يعيشها المسلم منذ قرون عديدة ثمرة يأس

(١) غيبة النعماني ص١٤.

(٢) سورة الحديد / آية ١٦.

من تغيير الواقع، ويأس من ظهور المنقذ الموعود بعد أن طال أمد غيبته فقسا قلبه، أم أنَّ هذه الحالة مدخل لنشوء حالات تجعل الواقع النفعي أكثر ألماً وأشد محنة؟

ربما يكون في حديثنا السابق إجابة، فحدوث هذه الحالة جاء بعد يأس الجموع المسلمة من صنع تغيير أفضل لواقع فاسد ما يزال جاثماً على القلوب، كما أنَّ حالة النكوص ذاتها تمهد السبيل لنشأة أنماط من السلوك العصابي كازدواجيَّة المواقف وتناقض سلوكها، وحدوث فصام بين جوانب الشخصيَّة المسلمة، وقد تسبب ردَّة عن الإسلام أو تضعف العلاقة بين المسلم ودينه، وكيانه العقائدي.

ويبقى القول بأن حالة النكوص هي نتيجة لحالات مرضيَّة، وسبب لحالات أخرى.

**الصِّراع في سيكولوجية أدعياء المهديَّة:**

نشأت عن الواقع النفسي الإحباطي الشديد حالات عصابية من الصراع في نفوس الأفراد الذين تستثيرهم بين حين وآخر فتنة الادِّعاء بالمهدي، فهؤلاء البائسون، التائهون، الباحثون عن الحقيقة وسط تراكمات الضلال والتيه يتمنون في قرارة أنفسهم تغييراً أفضل لواقع المجتمع الإسلامي وتخليصه من وباء الظلم ومآسيه، والجماهير المسلمة المضطهدة تشاركهم بالتأكيد هذه الأمنية، لكن هناك بوناً شاسعاً بين الأمنية وبين إمكانية تحقيقها، فقد أخفق أدعياء المهديَّة في المواءمة بين الأمنية وإنجازها بشروطها الموضوعيَّة والإسلاميَّة.

إنَّ النصوص الإسلاميَّة تحفر في ذاكرة المسلم أملاً كبيراً بتصفية ألوان الفساد على يد مهدي حقيقي، محدد الصفات وهو من أهل البيت، وظلت هذه الذاكرة تجتر هذا الألم على مدى قرون متتالية، وتبالغ في كثير من الأحيان في نمط التفاعل مع هذه الأمنية دون مراعاة موضوعية لشروط

تحقيقها، وهكذا فإن النصوص تشعل في النفوس أمل الانتصار الحاسم على الطغاة وأئمة الجور والضلال بعالمنا المضطرب، لكن أعداء الحق يتصدون بقوة وطيش وحماقة لهذه الأمنية، ويبذلون أقصى ما يملكون لِمحو هذا الأمل من النفوس اللاهثة وراء " يوم الخلاص " فلا تجده. وهنا تعيش قوى النفس بين أملها بالتغيير كما تؤكد النصوص، وبين يأسها في تحقيقه كما تثبت تجارب الواقع المرير، ولا مانع في مثل أجواء هذا الموقف النفسي المضطرب أن ينخدع بعض الأفراد بوهم " مهدي " ينتحل زوراً وكذباً شخصية المهدي المطلوب، وهو الذي يسمح بتشويه فكرة المهدي الحقيقي ومعاداتها والنفور منها، وتسميتها بألفاظ شديدة العداء كالأسطورة واللوثة بهدف التنفير منها، وتكوين مشاعر الكراهيّة لها.

ونجزم بأن سيكولوجية " المهدي " المدعي كذباً تعاني من حالة صراع بين أمنيته في التشبه الفعلي بمواصفات شخصية المهدي الحقيقي الموعود، وبين عجزه عن تحقيق هذا التشابه، وحتى أولئك الذين نجحوا في إشباع شهواتهم في التسلط وحب الرئاسة، ووهم العظمة من خلال تكوين تنظيمات سياسيّة كالدول أو تزعم جماعات تمنحهم الولاء، فإنها فشلت في حل مسألة الصراع النفسي بين أمنية التوحد وبين ما تحقق في الواقع، فعلى سبيل المثال لم يستطع أحد من هؤلاء المدعين أن يقيم عدلاً، أو يهدم ظلماً حتى في البقعة التي وقعت تحت حكمه، بل لم يجد تعويضاً عن هذا الفشل في المواءمة بين الرغبة والواقع إلاّ باستبداد مكشوف للجماهير، فعجز المدعي عن تحقيق أبرز سمة أساسيّة في شخصية المهدي الحقيقي ـ وهي سمة العدل ونصرة الحق ـ سبَّب صراعاً أفقد المهدي " المدعي " توازنه النفسي، فليست حالة الادِّعاء استغلالاً لبشارة المهدي فقط، بل هي تعبير خفي عن رغبة " المدعي " في التوحد بشخصية المهدي الموعود، لكنَّ الرغبة لم تتحقق في الواقع، فنشأ التوتر في شكل صراع نفسي بين ما يرغب، وبين

مقاومة " الواقع " لهذه الرغبة، وعبَّر عن هذا القلق بمواقف عدائية ضد منتقديه الذين سخروا من أمنيته في التشبه " بالمهدي " الحقيقي المنصوص عليه فعلاً، وسخروا من فشله في تحقيق أدنى حد من هذه المشابهة.

أما الذين تمنوا أن تمنحهم أوهامهم فرصة ليكونوا "المهدي المطلوب" وأحبط الواقع أمنيتهم، وهم مازالوا في أول خطوات الطريق، فإن العار لحق بهم وشعروا " بالخطأ "، وتجسدت هذه الحالة كذلك في صراع نفسي مرير لا بين " الأمنية " والعجز عن تحقيقها فحسب، بل بين الرغبة في العظمة وإحباط تنفيذها، ويقترن الصراع بمشاعر الخيبة والحزن والإحباط والندم، ولكنه ليس ندماً على انتحال فكرة عقيدية زوراً وكذباً، وليس ندماً على محاولة خداع للمسلمين وتضليل لعقولهم، وإنَّما نشأت مشاعر الندم من إعاقة تحقيق الأمنيات المريضة كلَّها في الشهرة والرئاسة والتسلط، فإن كان بعض " الأدعياء " فشلوا في تحقيق أمنية التشبه بالمهدي في الواقع رغم نجاحهم في الحكم السياسي لفترة ما وإشباع شهوتهم في التسلط والرئاسة، فإن البعض الآخر من " الأدعياء " لم تتح له الفرصة في إشباع حتى هذه الشهوة.. شهوة الحكم والتسلط باسم " المهدي " الحقيقي المنصوص عليه في التراث الروائي.

فالمدَّعي يعتريه ـ إذن ـ ندم غير صحي، ومصدر هذا الندم ليس بالتأكيد ناجماً عن تحسسه لجريمة خداع الناس وتضليلهم بتقمص دور شخصية قيادية وتاريخية، وإنَّما ناشئ عن إحساسه المريض بالعجز عن بلوغ الغايات والأمنيات، فيعض يده ندماً على تعثر خطواته في الوصول إلى مبتغاه.. ندم يطوي في داخله الكره للناس.

ويبدو أنَّ حالة الصراع النفسي في شخصية المهدي المدَّعي لا تنتهي طالما أنَّ الموقف الإحباطي الذي عاشه ما يزال قائماً بعد، فهو إن فلت مؤقتاً من عقاب خصومه جدَّد أمنياته مرة أخرى، وتحمس لأفكاره السابقة، وبذل

سعيه لتحقيقها، لكنَّ المجتمع ـ وسلطته السياسيَّة القائمة فيه ـ لا تسمح له بتجسيد شهوته في الحكم والرئاسة، بل تقمعها وتسجنه في تمركز غير سوي حول ذاته، فيظل الإحباط النفسي مستمراً، وبالتالي لا يفارقه الصراع النفسي أبداً.

وبافتراض أنَّ المهدي الكاذب نجح مؤقتاً في تحقيق بعض المواءمة بين الرغبة والواقع، وتجسدت أمنيته في النظر إليه " كمهدي " وسنحت له الفرص بأن ينسج القوة لنفسه، وظل بعض المنافقين والانتهازيين يؤججون ولعه بالفكرة، فإنَّ الصراع النفسي يبقى كذلك جاثماً على نفسه فهو لم يستطع كما قلنا تخليص الناس من الظلم، ولم يستطع تأسيس قواعد مجتمع عادل، ولم يحقق بعد انتصاراً حاسماً ضد مناوئيه كما وعدت النصوص، بل إنَّ الفشل يقلق مضجعه دائماً، ويجعله دائم الشعور بالخطر الذي يتهدده من قبل أعدائه، فيتوجس خيفة وهو يظن " أنَّه المهدي الفعلي " المنتظر، ويتشبه بمواصفاته الشخصية أمام الآخرين وقد فشل فعلاً في تحقيق هذا الهدف.

وهكذا يندب حظه العاثر في مختلف مواقع الصراع الناشئة عن فشلٍ قاتلٍ.. فشل المواءمة بين رغبته في إثبات أنَّه " المهدي " وبين عجزه في فرض هذه الأمنية في واقع " الناس " فلا أحد من الناس يصدقه سوى أتباعه الموهومين، وهؤلاء ينتابهم الشك بالتأكيد بعد فشل التجربة، وهكذا تظل نفسه نهباً لضغوط شهوة التسلط، وآلام الحسرة والندم، والشعور بالعجز عن تحقيق الأمنيات، والإحساس بالإخفاق الاجتماعي والسياسي لحركته.

# الفصل الثالث

# المنهج النفسي ونقد عقيدة المهدي عليه السلام

تتطلب كل دراسة موضوعاً ومنهجاً.

تقدر قيمة كل موضوع يدور حوله بحث معين بمقدار أهميته في حياة الإنسان، لكن منهج البحث يحدد قيمة الدراسة كلّها، ويثري مادتها العلمية بالصدق والواقعية والموضوعية، ولا نقصد من ذلك أنَّ مصدر قوة الدراسة يكمن فقط في منهجها وحده، لأنَّ كل دراسة تكون مجديَّة كلَّما كانت غنية بمعلوماتها الواقعية.

بيد أنَّ مادة البحث تقوى أو تضعف بمنهجها، فإذا كان المنهج بعيداً عن الموضوعية، والدقة العلميَّة ضعفت قيمتها، وتكون على درجة من الموضوعيَّة والنزاهة العلمية بالتزامها بقواعد البحث العلمي.

ولا يخفى على القارئ ـ الوجيه ـ أنَّ نتائج بعض الدراسات فقدت موضوعيتها بسبب انحراف منهج البحث وتحيُّزه، فحينما يرغب أحد الباحثين في معرفة أو نقد فلسفة معينة كالماركسيَّة مثلاً، فليس أمامه سوى تتبع أفكار هذه الفلسفة من مصادرها الخاصة المعتمدة لأنَّ نقل المخالف لا يعتد به كما تقول القاعدة المنهجيَّة، فلو سعى لمعرفة وجهة نظر هذه الفلسفة من مصادر أخرى[1] تتخذ موقفاً معادياً من الماركسيَّة، فسوف تفقد دراسته ـ بالتأكيد ـ

(١) يمكن للباحث الاستعانة بهذه المصادر لمعرفة الرأي الآخر من الفلسفة الماركسيّة أو غيرها، ولكن لا بد في الأساس التعرف على أصول هذه الفلسفة من مصادرها الخاصة، ثم نقدها وفحصها على أساس هذه المعرفة، فيثبت الصحيح منها وينبه إلى عيوبها وأخطائها أيضاً.

موضوعيتها لأنَّها انطلقت من نتائج مقررة مسبقاً، وهكذا بالنسبة لدراسة عقيدة المهدي المنتظر عليه السلام.

فما دام الإيمان بالمهدي عقيدة إسلاميَّة فواجب الباحث أن يتناول آراءها ومفاهيمها ونشأتها، وتأثيراتها من مصادرها الأصيلة التي تؤمن بهذه العقيدة وتدافع عنها، فهي وحدها التي تجعله في مأمن من أخطاء البحث، وبمقدور الباحث على الأقل أن يكون أميناً في نقل الأفكار حتى لا يكون تحليل المعلومات وتفسيرها متأثرة بنظرة ذاتيَّة منحازة، مقررة سلفاً، لكن بعض الباحثين لم يتقيد بهذه الطريقة المنهجيَّة.

إنَّ بعض الباحثين اعتمد في دراسته لعقيدة المهدي عليه السلام - وانتظار الجماهير المسلمة له - على مؤلفات وكتب تتخذ مواقف مناهضة أصلاً للفكرة، فكان حكم هؤلاء على المدعى عليه - ونقصد المؤمن بعقيدة المهدي - منطلقاً من قول المدعي، كما اتخذ هؤلاء من الخصم شاهداً، وحكماً، وقاضيا على خصمه.. وهذا منهجهم - مع الأسف - في بحث مسألة المهدي المنتظر(ع).

وبالتأكيد نشأت عن الخط المنهجي المتعمد أحياناً أخطاء أخرى.. تاريخيَّة، وعقيديَّة، وترتب عنها آثار سيكولوجيَّة تضعف علاقات أفراد الأمة مع بعضهم.

فكل بحث أو مقال أو رسالة أو كتاب كتبه الباحثون في قضيَّة الإمام المهدي عليه السلام مليء بهذه الأخطاء، وقد ترتب عنها تفسيرات نفسيَّة، وتحديد خاطئ لبواعث السلوك عند المنتظرين وتحديد لا علاقة له أساساً ببعض القائلين بالانتظار، وسوف تلاحظ فيما بعد - أيها القارئ العزيز - نموذجاً من هذه التفسيرات السيكولوجيّة الخاطئة بسبب تأسيسها على مغالطات تاريخيَّة وعقيديَّة، تسببت في إيجاد أزمة داخليَّة فصمت عرى الوئام والوحدة الثقافيَّة والسياسية العقيدية للمجتمع المسلم على مدار قرون متتابعة

ونقدم على سبيل المثال مغالطة تاريخيَّة واحدة ترتب عنها آثار نفسيَّة، يقول أحد المؤرخين وعلماء الحديث وهو يتحدث عن اختفاء الإمام المهدي عليه السلام بسخرية: " دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يُحسَّ فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه ـ أي الإمامية ـ كل يوم!! يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم، اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخيبة، والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه "(١).

ولقد أحسن من قال:

| | |
|---|---|
| ما آن للسرداب أن يلد الذي | كلمتموه بجهلكم ما آنا؟ |
| فعلى عقولكم العفى فإنكم | ثلثتم العنقاء والغيلانا |

ولقد أصبح هؤلاء ـ يقصد الإماميَّة ـ عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منها كل عاقل(٢).

**وقد وقع النص السابق في بعض الأخطاء:**

١ـ أنَّ الإمام المهدي عليه السلام كما يقول ابن القيم وغيره من علماء السنة دخل سرداباً وهو طفل صغير منذ أكثر من خمسمائة عام واختفى، فلم تره عين أو يعرف عنه خبر أو أثر لكن بمعرفة الفترة التاريخية التي عاشها ابن القيم، وهي تتراوح بين ٦٩١ ـ ٧٥١هـ، تكون الفترة الفاصلة بين سنة وفاة

---

(١) المنار المنيف لابن القيم الجوزيّة ص ١٥٢. وكذلك كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٦٨، ومقدمة ابن خلدون ص ١٣٥ـ١٣٦ / وكتاب علامات يوم القيامة لابن كثير ص ١٩، ٢٣، بل إنَّ الكنجي الشافعي أشار في كتابه " البيان " إلى بقاء المهدي غائباً، حيّاً في السرداب ( انظر الفصل الخامس والعشرين في الدلالة على جواز بقاء المهدي حيّاً باقياً منذ غيبته ) وذلك في إطار مناقشته للقائلين بامتناع بقائه حيّاً في سرداب بلا طعام أو شراب. انظر ص (١٤٨ـ١٦٠).

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف / لابن القيم الجوزية ص ١٥٣ / كذلك انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٣٥ ـ ١٣٦، وغيرها من المصادر الأخرى التي أشرنا إليها.

ابن القيم وسنة اختفاء الإمام المهدي(ع) أقل من خمسمائة سنة، فحادثة الاختفاء عن الأنظار وقعت في سنة ٢٦٠هـ وبالتالي تكون المدة الفاصلة بين سنة وفاته وبدء الغيبة حوالي ٤٩١ عاماً هجرياً، هذا إذا افترضنا أنَّ كتابة هذا "النص" قد تمَّ في سنة (٧٥١هـ) وهي آخر سنوات عمر ابن القيم الجوزية، وإذا كتبه قبل هذه الفترة فسوف تكون المدة الفاصلة أقل بالتأكيد.

٢ـ وذكر ابن خلدون كذلك أن موقع السرداب " بالحلة " لا سامراء والمسافة بينهما لا تقل عن ( ٣٠٠ ) كيلو متراً، وظل هذا الخطأ متداولاً، فنقل عنه بعض المعاصرين[1] متأثرين بابن خلدون، وربما يكون لابن خلدون عذر في خطأ معلوماته بسبب بعد المسافة بين تونس والعراق، لكن ما عذر الكتّاب المعاصرين في تقليد خطأ ابن خلدون، وأدوات تبادل المعرفة متوفرة بسهولة؟ أليست هذه مغالطة تاريخيَّة نقلها رواة ومؤرخون عن عقيدة المهدي من مصادر غير أمينة؟

٣ ـ أنَّ ظهور الإمام المهدي عليه السلام في النصوص الروائيَّة عند الشيعة يكون من البيت الحرام بمكة لا من السرداب، كما يقول عدد من علماء أهل السنة.

٤ ـ نلحظ في كلام ابن القيم وغيره نزعة عدوانية واضحة ضد عقيدة الانتظار والمؤمنين بها، وهو خطأ سلوكي مؤسس على خطأ تاريخي، فالتسفيه، والحط من قدر المؤمنين بعقيدة المهدي، وتعييرهم ونبزهم بأنهم عار على بني آدم، وتشبيههم بحيوانات عجماء فالإماميَّة والعنقاء والغيلان سواء في عقولهم، إذ شبَّه ابن القيم المؤمنين من الإماميَّة بأنَّهم أشبه بحيوانات عجماء لا تعقل الأمور ولا تفطن الحقائق!!، وهذه الإهانة النفسيَّة نشأت كما ذكرنا من مغالطة تاريخيَّة، فليس هناك مصدر للمؤمنين بهذه العقيدة يؤكد هذه المزاعم،

---

(١) انظر كتاب أدب الشيعة لمؤلفه عبد الحسيب طه.

وكان بمقدور عالم كبير ـ كابن القيم الجوزية ـ أن لا يقع في هذا الخطأ، وأن يكلف نفسه عناء البحث عن الفكرة التي يكتبها من مصادرها الحقيقيَّة، وكان بمقدوره كذلك أن يتناول هذه الحادثة التاريخية بأسلوب واقعي يتجنب فيه إهانة الآخرين، ولكنه وقع تحت أسر طريقة منهجية خاطئة متبعة آنذاك، وما تزال قائمة حتى الآن في تناول عقائد الآخرين، فما يزال بعض علماء أهل السنة يكتبون عن عقائد هامة عند الآخرين من مصادر أخرى عدائية.

وقد دفع هذا الخطأ التاريخي عند ابن القيم الجوزية إلى وصمه لجموع المنتظرين للإمام المهدي آنذاك ببعض الحالات العصابيَّة!!! فالشعور بالخيبة والحرمان نشأ من طول انتظار الناس للإمام المهدي عليه السلام، ومن حرمانهم وخيبتهم في رؤيته مباشرة، ومما لا ريب فيه أنَّ ذلك الموقف النفسي المعتاد كوَّن حزناً في الشخصيَّة الإماميَّة المنتظرة ما زالت تجتره حتى الآن، فلا هي تخلَّت عن الفكرة ولا " ظهور الإمام " قد تحقق، فأدى ذلك إلى توترها بشكل دائم، وبخاصة عند نزول الشدائد.

ومن الطبيعي أن تنشأ تفسيرات خاطئة إذا كانت المنطلقات ذاتها خاطئة أيضاً، فما دام المنهج التاريخي النفسي الذي استخدمه خصوم فكرة الانتظار قد ابتعد كثيراً عن قواعد البحث الموضوعي، فإن من المتوقع أن يخلِّف وراءه ركاماً من سلبيات النفس، وهي بدورها تحجب الرؤية الواضحة عن العقل لأنَّ طريقة البحث نفسها صنعت التناقضات حتى في عقلية علماء كبار كابن القيم وابن خلدون وغيرهما، بل لم يستطع بعض الباحثين تناول عقيدة الانتظار أو غيرها من عقائد الآخرين إلاَّ باستعمال إثارة انفعاليَّة حادة لا تخلو من قصور نظر، وتفجير للحقد، وتأصيل للقيم الانهزاميَّة، وانطواء على الذَّات، وعدوانية، وعجز وخوف من مواجهة الحقيقة، أو كسل عن البحث عنها في مظانها، وحيرة في معرفة الحق والباطل.

* * *

وانتقد هذه العقيدة الدينية فريقان كان أحدهما أشد من الآخر.

فالفريق الأول اكتفى بنقد الجانب السلبي منها، وشخَّص سلبيات بعض المؤمنين بعقيدة المهدي، وهي سلبيات نجمت عن فهم سلبي، إذ شوَّه بعض المسلمين معنى الانتظار، وظنوا أنَّ ممارسة الانتظار قعود عن العمل والجهاد، والمقاومة ضد الفساد والظلم، طالما أنَّ مسؤولية ذلك الجهاد مناطة بالإمام المهدي(ع)، ولهذا تخلوًا عن السعي والتغيير الذي يصنع مساراً أفضل لمستقبل المجتمع الإسلامي. وترتب عن هذا الوضع حالة من التشاؤم، إذ ضعف هؤلاء المتشائمون عن مقاومة أعداء الحق، وظلوا يندبون الزمان وأهله، ويقرأون العزاء على واقع المسلمين، ولا يمكن سوى تثبيط الناس عن العمل وعرقلة نشاط العاملين بمفهوم الانتظار وانتقاد عملهم دائماً، وتداولوا هذا المفهوم وكأنَّه عقار مخدر يقعد الناس عن مزاولة النشاط، فينكفئ كل واحد منهم على نفسه مستسلماً.

ولهذا الفريق من المتقدمين حق المساهمة في تصحيح وتعديل فهم الناس للانتظار، حتى وإن اختلفت طرائق تفكيرهم في نقد الفهم السلبي للانتظار مع المؤمنين به، طالما أنَّ ثمة اتفاق على الاعتراف بإسلامية عقيدة المهدي(ع) وأصالتها.

أما الفريق الثاني فقد أنكر عقيدة المهدي عليه السلام من أساسها، وسفه هؤلاء المنكرون عقائد وآراء المؤمنين بالانتظار، بل حاول أصحاب هذا الاتجاه تفسير تفاعل الجماهير مع هذه العقيدة من خلال بواعث نفسية مرضية تختفي وراء سلوك الشخصيَّة المنتظرة، وتؤثر هذه البواعث عليها تأثيراً سلبياً، فيعزو المنكرون فكرة المهدي عليه السلام إلى دوافع سيكولوجية عصابية، فالفكرة ـ مثلاً ـ خرافة ابتدعها المظلومون لعزاء أنفسهم، وتعويضاً لهم عمَّا عانوه من حرمان وبؤس فيخف عن نفوسهم القلق، ويحد من وطأته على نفوسهم، أو أنها فكرة عززها الظالمون في عقول المحرومين تسليَّة لهم،

وعزاءً، وسلوى لهم عن مآسيهم، وبهذا تكون هذه العقيدة ـ نفسية لا عقيدية ـ وهي دليل على حزن المسلم وبؤسه، وتشاؤمه أكثر مما هي نظرة واقعيَّة لاستشراف المستقبل، وسنمر على نماذج من هذه التفسيرات فيما بعد، لأنَّ هذا البحث كتب من أجل مواجهة أسلوب التحليل النفسي في نقد عقيدة الإمام المهدي عليه السلام بالطريقة ذاتها.

## نحو منهج موضوعي في دراسة قضيَّة المهدي:

يقوم نقد الفكرة المهدية على أساس ردة فعل عنيفة لا تتمشى مع المنهج الموضوعي في مناقشة الأفكار والعقائد، إذ وصم المنتقدون هذه العقيدة بمسميات لا تخلو من انفعال شديد، فهي " لوثة، وخرافة، وأسطورة يهوديَّة، وسياسة إرهابيَّة "[1] وطالب هؤلاء جميع علماء المسلمين بحسم المسألة حسماً نهائياً، بأسلوب غير علمي كما نلاحظ ذلك في بعض المؤلفات التي تكتفي بوصف أحاديث الإمام المهدي عليه السلام بالضعف دون أدلة علمية، وبأنها موضوعة، وأسانيدها مكذوبة، وصياغتها من صنع الغلاة الزنادقة، وهكذا لا يجهد هؤلاء أنفسهم بعرض أدلة إقناع صحيحة لتأييد وجهة نظرهم[2].

وساعدهم في استثارتهم الانفعالية غير الطبيعية وجود حالات من الاستغلال السيئ لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام للإيحاء ـ للقارئ ـ بأنَّ الفكرة ليست في حقيقتها إسلاميَّة، وهي مدانة دينياً وتاريخياً بسبب ما صدر عن المزورين والمستغلين من سوء المظالم[3]، وإصرار بعض علماء الحديث من أهل السنة على عدم الاعتراف بوجود نص فيها!!

---

(١) لا يحتاج الفرد لممارسة الإرهاب للإيمان بعقيدة المهدي عليه السلام، فما أكثر صوره عند المنكرين لها.

(٢) انظر لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر ص ٣٩ ـ ٥٢.

(٣) مجلة الأمان ـ العدد (٤٢) رسالة الجبهان.

ويتساءل أحد العلماء، هل يكون الاستغلال السيئ لفكرة ما دليلاً على خطأ الفكرة وانحرافها، وعدم إسلاميتها؟ وإذا كان هذا صحيحاً كما تريد إيحاءات بعض الكتّاب، فهل نستطيع هدم كثير من القيم والمفاهيم الإسلاميَّة التي استغلّها بعض الظالمين والمنحرفين في الحاضر والمستقبل لتبرير ظلمهم وانحرافهم انطلاقاً من جهل المسلمين بالمعاني العميقة لهذه القيم[1].

لهذا دعا بعض العلماء إلى منهج إسلامي في مناقشة فكرة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فقال: " إننا نعتقد أنَّ من الإخلاص للإسلام والمسلمين أن نتجه إلى القواعد المنهجية التي أقرها السلف الصالح من علمائنا الأبرار بالإضافة إلى المنهج التحليلي في نقد التاريخ والنصوص ليتكامل لنا من خلال ذلك المنهج العلمي الحديث في معرفة الحقائق الإسلاميَّة، فإذا كانت العقيدة مضمون حديث نبوي، فإنَّ من الممكن دراسة طبيعة صدور الحديث من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هل صدر منه أو لا؟ وما هي الظروف التي عاشها الحديث لنتعرف جو الصدور وطبيعته، ثم ندرس طبيعة المضمون لنتأكد من موافقته لكتاب الله وللحقائق الإسلاميَّة العامة الثابتة بالقطع واليقين، فإذا اكتشفنا خللاً في السند أو المتن فيما يعبر القدماء به عن الصدور أمكننا أن نطرح الحديث جانباً لنطرح الفكرة من خلال ذلك.

أما إذا لم نكتشف فيه أي خلل في أي جانب من جوانبه، فلا بد من الأخذ به إذا لم يكن له معارض في مستواه أو أرجح منه.. وقد خاض العلماء من الأقدمين والمتأخرين في دراسة الوضع والوضّاعين، ووصلوا في ذلك إلى قناعات وجدانيَّة أو اجتهاديَّة، فيمكننا أن نثيرها أمامنا في كل ما نختلف فيه من قضايانا الفكريَّة والعقائديَّة والشرعيَّة ليستقيم التمييز بين التصور

(١) مجلة الأمان / العدد ٥١ ( رسالة فضل الله ).

الصحيح وبين التصور المنحرف على أساس القواعد العلميَّة الإسلاميَّة.

وقد نستطيع أن ندعي لأنفسنا أو للآخرين بأن هذا الاتجاه في نقد النصوص الإسلاميَّة من التراث يستطيع أن يمنحنا الهدوء الفكري والنفسي في مواجهة خلافاتنا المذهبيَّة سواء ما يتعلق منها بالجانب التصوري للمفاهيم أو الجانب العملي للشريعة، فلا تخضع الساحة للاتهامات غير المسؤولة ولا للتشنجات غير المعقولة، أو للانفعالات الذاتيَّة التي يثيرها الحقد والبغضاء والتعصب الأعمى، وبذلك وحده نستطيع أن نكتشف زيف الزائفين واستغلال المستغلين، مما يقطع الطريق على كل من يريد أن يلعب على عقائد الناس ومقدساتهم ليتخذ ذلك سبيلاً للوصول إلى أطماعه[1].

**النص يحاور الواقع:**

ونعتقد أنَّ التعرف على بعض الأبعاد النفسيَّة التي تطويها مسألة الانتظار ليس فقط تحديداً للموقف النظري للإسلام من النفس الإنسانية، بل هو دليل آخر على قدرة النص الإسلامي على محاورة الواقع وترشيده، وتغييره إن كان مضطرباً، منحرفاً عن الحق ويقوي دعائمه ويثبتها إن كان راشداً، ملتزماً بهدي القرآن والسنَّة، فنصوص الانتظار هي التي تجعل التفاعل قائماً بين الجماهير المؤمنة، وهذا المفهوم الذي يشغل قلوب أفرادها ويأخذ عليها لب تفكيرها.

إنَّ النص هو الذي يرفع اليأس من النفس عندما تواجه بالقهر والضغوط، وتجارب الإحباط، وهو الذي يمدها بالثبات والقدرة على مواجهة الشدائد، بحيث تتحول تلك الإحباطات المجهدة للأعصاب إلى آمال وبشائر، وهذا النص هو الذي يربي النفس على التوقع الطيب والاستعداد للسلوك المستقيم، وهو الذي يشد انتباه " المُنتَظِرْ " إلى همه الأول، فيعيش

(١) المجلة ذاتها ص٣٢ ـ ٣٣ / العدد ٥١ [ مقال العلامة فضل الله ].

انتظار الإمام واقعاً حيّاً متوهجاً في ذاكرته، وتظل بيعته قائمة إلى اللحظة التي يموت فيها، لا يعرف فيها تراجعاً حتى لو أثقلته الآلام واشتدت عليه الخطوب ومدلهمات الحياة.

والنص كذلك يبعث الحماس في نفسيات المنتظرين، ويعمق الإيمان برفع الظلم، عن كاهل البشرية المكدودة المؤمنة باليوم الموعود حتى وإن كان يسود العالم كلّه، وتسري في دماء المؤمن حالة اطمئنان بتحقيق مبدأ العدل، وتسمو روحه فيشعر بقدرته على تحطيم هيبة الواقع الفاسد المسيطر على حياتنا، كما أنَّ هذا النص يرشدنا بطرق مختلفة إلى عملية تفريغ نظيف لمختلف الشحنات الانفعاليَّة السلبيَّة، ويهيئ النفس لاستقبال عناصر انفعاليَّة إيجابيَّة.

وهكذا نرى أن قدرة النص الإسلامي في مجابهة " الواقع " الإنساني والتعامل معه ليس تعرفاً ـ فقط ـ على الإطار النظري للإسلام فحسب، بل هو كذلك توجهاً نحو تطبيق النظريَّة الإسلاميَّة في دراسة السلوك وتربية إرادة النفس وتغيير العناصر الفاسدة فيها، ليكون صاحبها عبداً صالحاً فعَّالاً في الحياة.

ويلاحظ كذلك أنَّ النص مع الواقع لا يكون مع فئة عشوائيَّة صغيرة قد تعبِّر عن الظاهرة النفسيَّة المدروسة أو لا تعبِّر، وإنَّما يتوجه النص الإسلامي بطريقة حواريَّة مع مجموعة بشريَّة ضخمة تقدَّر بالملايين وأكثر، فيرصد مشاعرها المشتركة، فالإيمان يرفع الظلم والقهر عن كاهل البشرية المجهدة، شعور نفسي مشترك يخفق ـ فطرياً ـ في كل نفس مسلمة أو غير مسلمة، رجل أو امرأة، مستكبرة أو مستضعفة، ظالمة أو مظلومة، ولذلك يحاور النص هذا الكم الإنساني الهائل في مشكلاته وقضاياه، وهي محاورة معبِّرة عن الظاهرة المدروسة.

وعلى ضوء ذلك فإنَّ تشخيص النص للمشكلات النفسيَّة أو رصد

الأبعاد الإيجابيّة في النفس لابد أنْ يكون دقيقاً، صادقاً في محاورة الواقع النفسي والاجتماعي للبشريَّة، وبخاصة في بيئات الجماعات المنتظرة للإمام ﷺ بمشارق الأرض ومغاربها، ولا يكتفي النص الإسلامي بالتشخيص بل يقدِّم معالجته الواقعيَّة، ويحاول بعمق المحافظة على قوة العناصر الإيجابيَّة ـ جديدة أو مسبقة ـ في حركة النفس وضبطها على القيم والمعايير العباديَّة التي حددها المشرع الإسلامي.

هذه " المحاورة " التي يعقدها النص الإسلامي مع " الواقع " النفسي والاجتماعي للإنسان هي جزء أساسي في تعامل " المنهج الإسلامي " مع قضايانا، ومشاكلنا الإنسانيَّة.

## منهج المعالجة السلوكيَّة بالأضداد [1]:

لا يتوجه النص الإسلامي نحو معالجة مشكلات الواقع النفسي الإنساني وأمراضه بأية كيفية كانت، وإنما يحرص على أن يكون أسلوب المعالجة بالأضداد هو طريقته في بحث مشكلات هذا الواقع، وبخاصة أنَّ الواقع النفسي للإنسان المسلم في فترة الغيبة الكبرى بحاجة لانتهاج هذا الأسلوب الواقعي، فكما مرَّ علينا من قبل أنَّ النص يحاور الواقع اليائس في الحياة البشريَّة ليحل البشارة والآمال، ويحاول أن يرفع الظلم ليثبت العدل، ويحطم الهيبة والخوف من نفوس المستضعفين، ليكون الاستعلاء على المستكبرين بديلاً عنه، وليبدد الحيرة والتردد والتشكيك كي يزرع في القلوب الثقة، والثبات، واليقين وهكذا نجد أنَّ النص في محاورة الواقع النفسي ـ بل الاجتماعي والسياسي ـ يستخدم نظام المعالجة بالأضداد فيعالج أمراض السلوك الاجتماعي بأضدادها من فضائل السلوك العبادي السوي.

إنَّ طريقة النص في مواجهة الواقع ومعالجة قضاياه، ومشكلاته ليس

---

(١) بحثنا في دراسة مستقلة أثر هذا المنهج في علاج السلوك العصابي.

مقصوراً على الأفراد، بل هي أسلوبه العام في تغيير المجتمعات، وكل ما في الأمر أنَّه يبدأ من وسط الأفراد باعتبارهم قاعدة الأمم، فيحدث تغييراً في نفوس الأفراد بطريقة الأضداد تمهيداً لإحداث تغيير أو تعديل جذري وشامل في التركيبة السيكولوجية لجماعات المجتمع المسلم.

ونعتقد أنَّ المسلم في فترة الغيبة الكبرى بحاجة لهذا الأسلوب، وبخاصة بعد تفاقم المشكلات العقيديَّة والسلوكيَّة في المجتمع التي أصبحت مصدراً لقلق يهدد أمن الذات المسلمة، ولا يجدي الحوار بين النص والواقع إلاَّ إذا تمكن النص من استقراء الواقع وشخَّص مشكلاته، واخترق بمعالجاته الواقعيَّة جدران الظلام، وقدم الحلول التي تحقق له تكيفاً سوياً يقلب موازين السلوك ويعدِّله في اتجاه عبادي مؤكد عليه في نصوص المشرع الإسلامي.

**اتجاهات منهجية في دراسة عقيدة الإمام المهدي عليه السلام:**

تمّ تناول هذه المسألة من خلال ثلاثة اتجاهات يتصل كل واحد منها بالآخر:

**أولاً: المنهج النقلي [ الروائي ]:**

يعتبر المنهج النقلي منهجاً أساسياً في بحث ودراسة عقيدة انتظار الإمام المهدي عليه السلام، وهو أهم محور في دراستنا لهذه العقيدة لأنَّه بواسطته احتفظت الأمَّة بسجل ضخم من النصوص، فقد نقل الحفاظ والرواة مئات الأحاديث التي تضمنت تفصيلاً واسعاً لعقيدة المهدي، وحدّدت معالمها بوضوح، لهذا كتب هؤلاء الحفاظ عدداً كبيراً من المؤلفات لنقل وجهة نظر الإسلام عن المهدي إلى الأجيال القادمة، واشتملت هذه النصوص تحديداً دقيقاً لأوصاف المهدي الشخصيَّة المختلفة، ولعلامات الظهور السابقة عليها كما بينت خريطة الأحداث قبل حركة الظهور وبعدها، وبخاصة تحركه العسكري والسياسي، ومميزات جنده. . جيش الغضب، وإمكانياته، وطرائقه في هدم أسوار الظالمين، وعيَّنت كذلك المستقبل الزاهر للمجتمع الإسلامي

في عصره وكافة الإصلاحات العامة فيه لتحقيق العدالة، ووفرة المال، وإقصاء الطغاة المستكبرين عن سدة الحكم، وتدبير شؤون الدولة الإسلاميَّة العالميَّة المأمولة، وتنظيمها الإداري العام[1].

كما أنَّ أي محور آخر يهتم بهذه العقيدة في جانبها التاريخي أو الاجتماعي مرتبط بالمنهج النقلي، فالنصوص هي الوعاء الذي يمد المسلم بالمفاهيم الذي تمكنه من صياغة وجهة نظر تحليليَّة بشأن موضوع الإمام المهدي عليه السلام المرتقب، فالتراث الذي خلَّفه المفكرون والعلماء المسلمون في هذه العقيدة مستمد من هذه النصوص، لذلك عندما هاجم البعض عقيدة المهدي طالب بإسقاط النصوص نفسها، وتضعيفها ليحسم الأمر نهائياً[2]، وترتاح نفسه بإزاحة هذه البشارة من عقول الناس، لأنَّه يدرك أنَّ بقاء هذه النصوص الإسلاميَّة معناه بقاء تأثيرها النفسي والعقيدي والديني في حركة الذات المسلمة، ونحمد الله أنَّ هذه الدعوة لم تجد لها صدى مؤثراً في الأمَّة.

ومن هنا فإن البشائر، وكافة الإصلاحات العامة المرتقبة في عصر الإمام المهدي عليه السلام وعلامات القوة والضعف في الواقع النفسي للمسلم خلال عصر الغيبة الكبرى، لم يكتبها التاريخ من فراغ، وإنَّما انطلقت من أجوائها، ومصادرها المعتبرة وهي آيات من القرآن الكريم[3] أو أحاديث من السنَّة، فمثلاً فكرة نشوء دولة عالميَّة حاكمة بالإسلام في زمان الإمام المهدي عليه السلام مأخوذة من روايات منقولة ومتعددة تؤكد حتميَّة انتشار الإسلام من جديد

---

(١) سنحاول ـ إنْ شاء الله تعالى ـ استكمال بحث لنا عن دولة " المهدي " وتنظيمها الإداري العام.

(٢) لا مهدي منتظر ص ٣٩ ـ ٥٢.

(٣) انظر كتاب المحجة فيما نزل في القائم الحجة للسيد هاشم البحراني، كذلك كتاب المهدي في القرآن للسيد صادق الحسيني، كذلك انظر معجم أحاديث المهدي / ج٥.

وعودته إلى حركة الحياة بقوة وانطلاق كما في بدايته الأولى، مثل حديث عودة الغرباء المشهور، ومثل بعض النصوص كقوله ﷺ: " يخرج رجل من أهل بيتي ويعمل بسنتي، وينزل الله البركة من السماء "[1] و " الذي نفسي بيده ليعودنَّ الأمر كما بدأ ليعودنَّ كل إيمان إلى المدينة كما بدأ منها "[2]، كما أنَّ هناك أحاديث عن الدولة الكريمة أشرنا لها هنا وهناك.

**ثانياً: المنهج التاريخي:**

اعتمد فيه الباحثون المسلمون على طريقة السرد التاريخي للأحداث المتصلة بهذه العقيدة كالغيبة الصغرى، والتطورات التي رافقتها حتى بدء الغيبة الكبرى قبل منتصف القرن الرابع الهجري، فالإيمان بالمهدي عقيدة لها جانب تاريخي فعّال في النفوس، فقد أصبحت هذه العقيدة بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام واقعاً تاريخياً احتدم الجدل حوله ونشأ عنه أحداث ووقائع كتبها المؤرخون في مصادرهم الثقافيّة التاريخية.

وبقيت هذه الطريقة المنهجية وعاءً ثقافياً يربط بين العقيدة بالمهدي والجماهير المنتظرة خلال فترات متتالية من الزمن، بالرغم من أنَّ خطوط هذه الطريقة بنيت على المنهج النقلي كالتمهيد الذي مارسه الأئمة الثلاثة للغيبة الصغرى وتهيئة النفوس والعقول لها[3].

ويبدو أنَّ السرد التاريخي قد ترك تأثيراً مهماً في أذهان الناس حتَّى ساعد بالإضافة للنصوص على ترسيخ الفكرة والدفاع عنها، وتقوية وهجها لدى الجماهير المسلمة، ولذلك يمكن القول بأنَّ منهج السرد التاريخي لم تخلو قط من التأثير النفسي، فالوقائع التاريخية التي تتصل بهذه العقيدة مليئة

---

(١) عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر ص ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٩.

(٣) السيد محمد باقر الصدر / بحث حول المهدي ص ٣٦، وكذلك دراسة الأستاذ عادل الأديب عن الأئمة الاثني عشر ( حياة الإمامين الهادي والحسن العسكري عليهم السلام ).

بالمواقف الشعورية كالتفاعل بين الجماهير والقائد المنتظر، وتقديم ولائها له، وهي قادرة على تربيتها.

**ثالثاً: المنهج السياسي ـ الاجتماعي:**

كانت عقيدة الانتظار مؤثرة دائماً في مجتمع المؤمنين، وفي حركة تطوره الاجتماعي والسياسي، وبالذَّات في أوساط جماهير الإمام الشعبيَّة وقواعده المؤيدة، فنشأت عن هذه العقيدة جماعات المعارضة السياسيَّة، وفرض على هذه الجماعات صراع دموي في بعض الأحيان.

كما أنَّ النصوص التي اهتمت بعقيدة الإمام المهدي عليه السلام قد تضمنت دعوة صريحة لقيام دولة إسلاميَّة توطئ الأمر له في غيبته الكبرى، ولا ينجز ذلك الهدف إلاَّ بمقاومة أعداء الحق واتجاهاته المنحرفة لا لمحق الباطل فحسب، بل لتكوين رأي عام ناضج في داخل المجتمع المسلم يتعاطف مع عقيدة الإمام المهدي عليه السلام، ولذلك يعد خير مثال على الاتجاه الاجتماعي السياسي في كتابات الباحثين المسلمين اهتماماتهم بالدعوة إلى تكوين دولة إسلاميَّة خلال الفترة ذاتها لمقاومة الفساد الأخلاقي وانحرافاته، وحل المشكلات الاجتماعيَّة في حياة المسلم خلال فترة الغيبة كالاهتمام بواقع الجوع، والفقر والجهل، وتمزق العلاقات الاجتماعيَّة، وإعادة بناء المجتمع بوعي وممارسة عباديين.

وكما كانت الوقائع التاريخية التي اعتنى بها منهج السرد التاريخي ترك أثراً مهماً في النفوس، فإنَّ طريقة التحليل الاجتماعي ـ السياسي للظواهر العامة قد تضمنت هي الأخرى إشارات متفرقة لبعض الأبعاد النفسيَّة كمفهوم التقيَّة ودلالاته النفسيَّة، وكمفهوم الجهاد وأثره السياسي والنفسي.

ومما لاشك فيه أنَّ طريقتي السرد التاريخي، والتحليل الاجتماعي للأحداث مستمدتان كما قلنا من روح النص الإسلامي ومن وقائع تاريخية أيضاً، فهما اللذان يمنحان الباحث المسلم مقدرة جيّدة على تكوين وعي

ناضج مكتمل بعقيدة الانتظار، له عظيم الأثر في تحديد الأبعاد النفسيَّة لهذه العقيدة.

لكنَّ كلا المنهجين بالرغم من تأثرهما بالمنهج النقلي غير قادرين على دراسة فاعليَّة هذه العقيدة بمعزل أحدهما عن الآخر، لهذا نجد من الضرورة بمكان أن يجمع الباحثون بين الطريقتين لفهم عقيدة الانتظار ومصدر دلالاتها النفسيَّة، وبالفعل حاول بعض الباحثين المسلمين المعاصرين أن يمزج بين الاتجاهين، لأنَّه من العبث تفهم جوانب عقيدة الانتظار باعتماد أحدهما دون الآخر، فالتحليل النفسي والاجتماعي واستنباط أبعاد الانتظار النفسيَّة يستند على أساسها الديني من جهة، وعلى واقعيتها التاريخية، فجميع هذه الأبعاد مستلهمة من هذا وذاك، وأنَّ كثيراً من البواعث النفسيَّة لسلوك المنتظرين استلهمت من النص الديني وواقعيَّة فكرة المهدي تاريخياً.

فالمؤيدون والمنكرون لهذه العقيدة لم يستغنوا عن هذه النصوص، وعن الواقع التاريخي لها، فمثلاً مالت نفوس المنكرين إلى توظيف حالات الاستغلال السيئ للفكرة في سبيل تكوين اتجاه يدينها، لدرجة بعضهم لجأ إلى تضعيف النصوص الإسلاميَّة الخاصة بالفكرة[١]، وبعضهم الآخر لم يعر النصوص الدينية للفكرة ولا واقعيتها التاريخيَّة انتباهاً، ونسج نظرة خاطئة صاغ منها البواعث النفسيَّة السلبيَّة المضادة، لتفريغ سيكولوجيَّة الأمَّة من آثار عقيدة المهدي.

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ( فصل الفاطمي ) / وكذلك كتاب " لا مهدي منتظر بعد الرسول خير البشر ".

وقد ردَّ أبو العباس عبدالمؤمن المغربي على ابن خلدون في كتاب ( الوهم المكنون في الرد على ابن خلدون). أمَّا الشيخ عبدالله بن زايد آل محمود رئيس المحاكم والشؤون الدينية بدولة قطر فقد ردَّ عليه الباحث السعودي الشيخ عبد المحسن العبَّاد / انظر مجلة الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة ( الأعداد ٣، ٤٥، ٤٦ ).

وهكذا فإنَّ الجذور الدينية والتاريخية والنفسيَّة للفكرة مرتبطة بالنص الإسلامي تأييداً ورفضاً في كلا الحالين، وهذا النص هو أهم مصدر لتحليل مادة هذا البحث ومعالجتها ما أمكننا.

**رابعاً: المنهج النفسي في عقيدة الإمام المهدي عليه السلام:**

بالرغم من أهميَّة الاتجاهات الثلاثة في دراسة عقيدة المهدي عليه السلام، وتمركز دراسات الباحثين المسلمين حول القضيَّة من خلال هذه الاتجاهات، فإنَّه من الواضح إهمال التحليل النفسي لظاهرة الانتظار واكتشاف عناصرها، وأبعادها الروحيَّة، وبعبارة أخرى إنَّ هذا الجانب لم يأخذ حظَّه بعد في أبحاث هؤلاء العلماء على نحو يتناسب مع الحجم السيكولوجي لهذه العقيدة الدينية الراسخة.

وكما كانت الاتجاهات السابقة ـ التاريخي والتحليل الاجتماعي ـ تعتمد على النص الإسلامي في شرح هذه العقيدة وتأييدها أو معاداتها، فإنَّ منهج التحليل النفسي الذي ندعو إليه يرتكز على النص ومضمونه كرافد للفكر الإسلامي، ويستوحي الباحث مادة بحثه عن سلبيات المنتظرين وإيجابيات الانتظار من مضمون النص، كما أوضحنا ذلك في رصد الواقع النفسي الإحباطي للمسلم، وكما سنبين ذلك في فصل قادم[1].

ومع أنَّ هذا النص هو المصدر الرئيسي لهذا المنهج فإنَّ أسلوب السرد التاريخي للأحداث سيكون هو الآخر مصدراً للتحليل النفسي ـ الاجتماعي، وبدونهما يتعذر على الباحث تحديد المعاني والأبعاد النفسيَّة لعقيدة الانتظار، ولهذا حاولنا استنطاق نصوص المشرع الإسلامي لمعرفة هذه الأبعاد وتنظيمها وتجميعها في وحدة معرفيَّة متكاملة.

---

(١) سنبحث مزيداً من الأبعاد السيكولوجيَّة لعقيدة انتظار الإمام المهدي عليه السلام في الفصل الخامس وهو الأخير في دراستنا التي بين يديك.

**أهميَّة المنهج النفسي في دراسة الانتظار:**

يعد البحث في الأبعاد النفسيّة لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام حيوياً وهاماً للمسوغات التالية:

١ـ قصور البحث في هذه المسألة من زاوية نفسيَّة من قبل الباحثين المسلمين إلاَّ إشارات قصيرة عابرة ضمن دراسات وأبحاث تركز على جوانب أخرى، ولم نجد تركيزاً أفضل إلى حد ما إلاَّ في بعض الدراسات التحليلية المتميزة كدراسة الشهيد السيد الصدر رضوان عليه في بحثه عن الإمام المهدي عليه السلام[1]، وهذا يعني أنَّ طبيعة موضوع الانتظار تستلزم الانتباه إلى أبعاده النفسيَّة، وقد يضطر بعض الباحثين بسبب الطبيعة النفسيَّة للموضوع أن يشير ـ هنا وهناك ـ إلى بعض أبعاده من هذه الزاوية، ولكنّ ذلك لا يشفي غليل الباحثين والقراء من منتظري الإمام، وإن كانوا بحاجة لهذه الإشارات لتكوين وعي عند المؤمنين بالأبعاد النفسيَّة لهذه العقيدة بخاصة في زماننا هذا الذي تنتشر فيه الأمراض الإنسانيَّة بمختلف أشكالها، والتي تمثل تحدياً صعباً للمنتظرين.

٢ـ إنَّ النصوص الإسلاميَّة التي تحدثت عن عقيدة الانتظار مليئة بالأبعاد النفسية، والمواقف السلوكيَّة كالبشائر، والتوازن بين اليأس والإحباطات من جهة وبين الآمال المستلهمة من هذه البشائر، كذلك نجد في هذه النصوص أبعاداً تربوية، كالتذكير الدائم بالله، وضبط الانفعالات وتوجيه الذات المسلمة بالإثابة والعقوبة ومفاهيم الجهاد والدعاء، وعقيدة النصر والتسليم والقدرة على مواجهة الإحباط، ومواجهة حالات الغم والحزن والخوف، وضغوط الشعور بالانسحاق والتفاؤل برفع الظلم وتحقيق العدل، والمشاركة الوجدانية الصادقة بين القيادة الإسلاميَّة المتمثلة في الإمام

---

(١) انظر بحثه القيم ( بحث حول المهدي ).

المهدي عليه السلام، وبين الجموع التي أسلمت نفسها لقيادته، معتمدة على سواد في بياض.. أي على نصوص مكتوبة بمداد أسود في ورق أبيض.

وإذا كانت النصوص مليئة بالأبعاد النفسيَّة الإيجابيَّة، فإنَّ توعية الجماهير المسلمة بهذه الأبعاد ليست طموحاً علمياً فحسب، بل هي كذلك مسؤولية شرعية ينبغي أن يقوم علماؤنا بها، ويكفي تمتع النص بهذه الميزة لاستعمال المنهج النفسي في دراسة عقيدة الانتظار، وفي تفهم الخصائص النفسيَّة للذات المنتظرة للإمام عليه السلام.

٣ـ إنَّ أهمية هذا المنهج تكمن في قدرته على تصحيح الوضع النفسي و الاجتماعي للأمة، وبعث الحركة في الشخصية المسلمة من جديد، فحاجتنا لمعرفة الأبعاد النفسيَّة للانتظار هامة لكونها ضرورة في كل عمليَّة بعث حضاري للأمة، فهذه العقيدة حذَّرت من نشوء أيَّة أمراض في النفس وقاية لها، فلا يصح أن يصدر عن المُنتَظِرِ يأس في موقف أو حيرة في اتخاذ قرار بشأنها، أو تشكيك في فعاليتها، كما اشتملت على مبادئ لا يعارض السنن الإلهيَّة في حركة الأمم والأفراد كأن يبدأ التغيير من داخل النفوس، وأن يكون الانتظار تغييراً وعملاً صادقاً واستقامة في السلوك، وهذه جميعاً عناصر بعث الحيوية والحركة في النفس المسلمة، فالمنهج النفسي ـ إذن ـ سلاح فعَّال في تقريب المسافة بين المنتظَر والمنتظِر لنصنع المستقبل الإسلامي المأمول.

٤ـ إنَّه كذلك سلاح فعَّال في مجابهة الخصوم، وفي مجابهة التحليل النفسي المضاد لهذه العقيدة، ففي حدود معلوماتنا في الموضوع ـ والله أعلم ـ أنَّ المعارضين لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام كانوا قد انتبهوا إلى أهمية استعمال المنهج النفسي في معاداة الفكرة ونقدها، أو أنَّهم أثاروا على الأقل اعتراضاتهم ضد الفكرة من منطلقات نفسيَّة، فقد دأب خصوم عقيدة الإمام المهدي عليه السلام على تفسيرها وتفسير سلوك المؤمنين إزائها تفسيراً نفسيّاً،

فردوا جذور هذه العقيدة إلى نوازع سيكولوجية عصابية، وذلك بغرض تحطيمها في النفوس وإحداث تغيير مضاد يؤدي إلى تكوين استجابات نفور من الفكرة ومن معتنقيها.

وخضعت الأحداث التاريخية التي ارتبطت بهذه العقيدة الدينية لهذا النوع من التفسير ولم تفلت منه، فقد سرد أحد المعترضين مدى التأثير النفسي السلبي لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام من خلال حالات استغلالها السيئ في التاريخ الإسلامي، وكان يحاول بكل جهده ـ الإيحاء للقارئ ـ بأنَّ عقيدة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام مجرد فكرة مرضية ولدت في نفوس بعض المسلمين المجهدة أعصابهم تحت ضغط مشاعر العجز، والهروب من مواجهة الواقع، والشعور عند بعضهم بالاضطهاد والانسحاق والتعويض عن فشل هذه الجماهير في تغيير الواقع الفاسد ليخفف عنها التوتر الناجم من هذه الضغوط والإحباطات.

إنَّ مناهضي الفكرة ـ وبخاصة المعاصرين ـ أدركوا أهمية مفاهيم علم النفس، و معطياته، وأخضعوا سلوك " المهدي " المزوَّر للتحليل النفسي، وحاولوا تسليط الضوء على سيكولوجية الفهم السلبي للانتظار ـ هذا إذا كان المنتقد لا ينكر فكرة المهدي ـ وكانت نتائج التحليل النفسي ليست في صالح العقيدة بالتأكيد وليست في جانب المنتظرين، لأنَّها أسست على واقع خاطئ لا علاقة له بروح الفكرة ومعناها الصحيح، وطبقت تفسيراتهم على عينة من الكذَّابين، والانتهازيين، والمتشائمين، ولا يمكن بأيَّة حال أن تكون تحليلاتهم عادلة إذا طبقت على جميع الأفراد الذين يمارسون الانتظار من خلال منطلقاته الصحيحة.

لهذا فإنَّ مسؤولية المثقفين المسلمين الملتزمين أن يستعملوا المنهج ذاته لا في مواجهة التحليل النفسي المضاد فحسب، وإنَّما لاستنتاج ما انطوت عليه هذه العقيدة من أبعاد إيجابيَّة، توضح لهؤلاء الناقدين ـ وقد يكون

بعضهم راغباً في الحقيقة ـ أنَّ الإيمان بالمهدي عليه السلام وعملية انتظاره ليست قدراً غيبياً خارجاً عن السنن الموضوعيَّة، وليست معجزة تلغي دور العنصر البشري في تأثيره، وليست بعيدة عن فهم الواقع الإنساني وإخضاعه للسنن بل هي عمليَّة منسجمة مع القوانين الإلهية في تدبير الكون وتوجيه مسار المجتمعات فلا تغيير صحيح بدون شروطه الذاتيَّة والموضوعيَّة، ولا ظهور مرتقب يخلو من الشروط الملائمة لحركة التغيير الجديدة.

وربما ليست هناك في حدود ما نعلمه دراسات نفسيَّة مفصلَّة ومكتملة، ومضادة للفكرة في أبحاث المنددين، غير أنَّ الإشارات المتفرقة عند بعض الكتاب المعترضين تحاول أن تستثمر المفاهيم النفسيَّة الحديثة في تأييد مزاعمهم عن عصابيَّة السلوك في الشخصيَّة المؤمنة بالإمام المهدي(ع)، وهذه الإشارات التي تربط دائماً بين العصاب وهذه العقيدة لا يستهان بها، وبخاصة إذا لم تواجه من قبل المؤيدين لها بمنهج مثله، أو برد أقوى منه.

إنَّ هذه التحليلات النفسية المضادة لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام يمكن أن تحدث اضطراباً في الذهنيَّة المسلمة العامة الغائبة عن الأصول الثقافية للإسلام... تلك الأصول التي صاغت مكونات الشخصيَّة المسلمة منذ ظهور الرسالة، وما زالت قادرة على البناء وإعادة التوازن، وطالما أنَّها صنعت اتجاهاً نفسياً مضاداً في نفوس بعض المثقفين حتَّى لو كان بعضهم متديناً، فإنَّ تأثيرها أسهل في النفوس الضعيفة الإيمان، وأكثر سهولة في نفوس مريضة تكره الإسلام حتَّى لو كانوا من المسلمين.

ولقد كتب إبراهيم بن سلمان الجبهان ـ وهو من علماء الرياض ـ رسالة إلى مجلة الأمان اللبنانيَّة أنكر فيها عقيدة المهدي وسفَّه عقول من يؤمن بها، وذلك من خلال استعراض تطور هذه العقيدة تاريخيَّاً في حياة المجتمعات الإسلاميَّة، وما تركته في نظره من مآسي.

وقد اخترناها ـ كنموذج ـ على طريقة البحث الخاطئة عند بعض

الكتَّاب، والتي تتجاهل المصادر الأصليَّة للفكرة، يقول الجبهان في رسالته[1] التي كان عنوانها ( المهدي في التاريخ الإسلامي ):

فكرة المهدي، من الخرافات التي تسربت إلى المجتمعات الإسلاميَّة بواسطة بعض الهدَّامين، ومن تظاهروا بالإسلام. وأصل الفكرة اخترعها حاخامات اليهود ليعللوا أنفسهم وأتباعهم بظهور مخلص ينقذهم مما يتعرضون له من الاضطهاد. وأول من أطلق عليه لقب المهدي ( محمد ابن الحنفية ) أطلقها عليه المختار بن أبي عبيد الثقفي حيث زعم أنَّه المهدي، وأنَّه لم يمت ولن يموت حتَّى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وبعد هلاك المختار بقيت الفكرة ولم تمت بموته، بل تلقفتها بعض الطوائف وأضافت إليها كلمة ( المنتظر ) كما حددت نسبة المهدي واسمه ومكان وجوده وعلامات ظهوره وعدد من يبايعونه والمكان الذي يبايعونه فيه. فلما تولى العباسيون الخلافة رأى أبو جعفر المنصور أن يستغل شيوع أحاديث المهدي فلقب ابنه المهدي لترسيخ سلطانه، وإحاطته بهالة من القداسة، ثم انتقلت الفكرة إلى شمال إفريقيا على أيدي الإسماعيليين الذين استغلوا المظالم التي كان يمارسها بنو الأغلب هناك، فأشاعوا في بلاد البربر فكرة المهدويَّة وشجعوهم على الثورة، واستطاعوا بقيادة أبي عبدالله الشيعي التغلب على عمال بني العباس وتنصيب ( عبيدالله ) الذي تلقب بالمهدي وادعى أنَّه من أبناء فاطمة ( مع أنَّه في الحقيقة تربى في حضن ابن القداح المجوسي ) ومن نسل هذا المهدي كان الخلفاء الفاطميون الذين تعاقبوا على حكم مصر وشمال إفريقيا. وقد كانوا يزعمون لأنفسهم من القداسة ما لا يجوز أن ينسب إلاَّ إلى الله وحده، وكان هدفهم الأساسي محو الإسلام وإبادة المسلمين.

---

(١) انظر مجلة الأمان ـ العدد ٤٢.

وبعد عبدالله المذكور الذي أسس الدولة الفاطمية ظهر في المغرب رجل يدعى محمد بن تومرت، ادَّعى أيضاً أنَّه المهدي المنتظر، أسس دولة سماها دولة الموحدين، لم يكن طواغيتها بأقل منه ظلماً للعباد وفساداً في البلاد. وفي الأندلس ادَّعى عبد الرحمن بن منصور ( المهدويَّة) فخرج محمد ابن هشام الأموي الذي ادعى أنَّه هو المهدي الحقيقي، وحاربه وانتصر عليه ثم فتك بأتباعه فتكاً ذريعاً.

هذا ما حدث في المغرب أما في المشرق، فقد اخترع الأمويون مهدياً سمَّوه (السفياني) وذلك عندما شعروا بأنَّ الأرض أخذت تهتز تحت أقدامهم. ثم ظهر في العراق " صاحب الزنج " الذي ادَّعى أنَّه من نسل علي بن أبي طالب، فأهلك الحرث والنسل، وقتل في يوم واحد بالبصرة ما يفوق على (٣٠٠,٠٠٠) مسلم [١].

وبعد صاحب الزنج ظهر القرامطة الذين كانوا يطلقون على من يتزعمهم لقب (المهدي) وهم فرقة من الاسماعيليين التي ادَّعت أنَّ للنصوص ظاهراً وباطناً، والظاهر هو ما يفهم من النص والباطن ما يفهمونه هم من دون غيرهم. وقد كانوا من أشد الناس وطأة على الإسلام والمسلمين فقد حاربوا أهل الشام وفتكوا فيهم فتكاً ذريعاً، وكانوا يترصدون لقوافل الحجاج في

---

(١) تصور كيف بالغ الجبهان في تحديد عدد القتلى بمدينة البصرة العراقية على يد صاحب الزنج دون توثيق تاريخي لما يقول، فقتْل هذا العدد الكبير يحتاج بالتأكيد إلى آلة قتل رهيبة وفتَّاكة كالقنبلة الذرية، وهذا غير ممكن في ذلك الزمان، كما أنَّ سلاح السيف أو الرمح آلة الحرب آنذاك غير قادرة على إبادة هذا العدد من الناس في يوم واحد.
ويتطلب هذا التحديد وجود أدوات وأجهزة رصد رقمية متطورة لإحصاء هذا العدد من القتلى، ولكن المبالغة التقليدية التي اعتدناها، وما تختزنه النفس من كره تدفع بصاحبها إلى هذا الهرج والسمج الذي يظن أنَّ عقول الناس كعقول الأرانب.
ونحن نتفهم بالتأكيد أنَّ صاحب الزنج ارتكب مذابح فظيعة للوصول إلى أهدافه، لكن من الصعب تصور أنَّ آلة الحرب التقليدية التي بيده تمكنه في يوم واحد من إبادة وسفك دماء عدد من الناس يفوق نصف سكان البحرين في نهاية الألفية الثانية ( المؤلف ).

ذهابهم وإيابهم في كل عام، فيطوقونهم ثم يبيدونهم عن بكرة أبيهم. وما زال هذا دينهم منذ عام ( ٢٨٠هـ ) حتَّى عام ( ٣١٧هـ ) حيث داهموا مكة في موسم الحج ففتكوا بالحجاج وبأهل مكة فتكاً ذريعاً، ونهبوا كل ما وصلت أيديهم إليه، وأحرقوا ما لم يستطيعوا حمله. ودخل قائدهم إلى ساحة المطاف وهو سكران راكباً فرسه ينشد قائلاً:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وبعد القرامطة ظهر الحشاشون، الذين نشروا الرعب في كل مكان، بما مارسوه من حوادث الاغتيال. وكانت كل فرقة من هؤلاء تدّعي أنَّها ستملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فلم تمتلئ منهم في الحقيقة وواقع الأمر إلا بدماء الأبرياء ودموع الثكالى واليتامى والضعفاء.

وفي العصر الحديث ظهر في الهند دجَّال يدعى ( ميرزا علي محمد ) تظاهر بالزهد و الورع وادّعى أنّه ( الباب ) الذي يدخل منه الناس على الإمام. ثم تدرج في الدعاوى حتّى ادّعى أنَّ (المهدي ) قد حلَّ فيه، ووضع لأتباعه تعاليم تستهدف نشر الإباحيَّة، والتحلل من التكاليف والأخلاق، وكان في الحقيقة هو ( الباب ) الذي انطلق من دجاجلة البهائية ليمهدوا الطريق لفتنة المسيح الدجَّال.

ثم ظهر في الهند دجَّال آخر يدعى ( غلام أحمد ) ادَّعى أيضاً أنَّه المهدي المنتظر، وأنَّ الله قد حلَّ في جسده ( تعالى الله عمَّا يقول الكافرون علواً كبيراً ) وكان هدفه الأول والأخير هو إلغاء الجهاد، والسير في ركاب الإنجليز ومسالمتهم. وقد ساندته الحكومة الإنجليزيَّة مادياً ومعنوياً، ومكنت له ولأتباعه في الأرض حتّى استطاع أن ينشر أفكاره. وقد ساعدت أتباعه وأسندت إليهم الوظائف الهامة، وملأت بهم المراكز الحسَّاسة، ومهدت لهم بإمكانياتها وسائل النشر والتبليغ في كثير من البلدان الإسلاميَّة، حيث أصبح هدفهم الآن هو وقف المد الإسلامي، والوقوف

حجر عثرة في طريق دعاته.

ثم ظهر في السودان مهدي جديد استطاع السيطرة على السودان، وطرد الأوربيين منه. وكان ينوي غزو مصر، ولكنَّ المنية عاجلته، فلَّما تولَّى خليفته عزم على تحقيق رغبة سلفه فتصدَّت له بريطانيا وقضت على أحلامه باحتلال السودان برمته.

وفي الصومال الإنجليزي ظهر قبل الحرب العالميَّة مهدي آخر لم يلبث أن انقلب عميلاً لبريطانيا، حيث استخدمته ثمَّ تخلت عنه، ليتولى الإيطاليون القضاء عليه. وأخيراً وليس آخراً تقع جريمة القرن على يد دعي استحلَّ الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام[1].

مما ذكر يتضح أنَّ خرافة المهدي المنتظر قد جرّت على الإسلام والمسلمين والنكبات ما يكفي لفناء أمم وإبادة شعوب بأسرها، وكانت سبباً في تخلفنا لعدة قرون. والغريب أنَّ كل هؤلاء الدجاجلة يزعمون أنَّهم من سلالة علي بن أبي طالب عليه السلام، فيثبت الواقع أنَّهم كذبة دجَّالون. ويزعمون أنَّهم يثورون على الظلم، فإذا انتصروا ضربوا أسوأ الأمثلة في الظلم واقتراف الجرائم، وكانوا ينقمون على خصومهم الاضطهاد فإذا حكموا انقلبوا إلى فراعنة، وملأوا الأرض بالجور والطغيان. وكانوا يتهمون الحكام بالموبقات، فإذا ظفروا بالملك والسلطان تساقطت أقنعتهم وظهروا على حقيقتهم وخيبوا آمال شعوبهم واضطروهم إلى أن يبحثوا عن مهدي جديد.

والمسؤولية العظمى في كل ما حدث ويحدث إنَّما تقع في الدرجة الأولى على من لفَّقوا الأحاديث وتقولوا الأقاويل ونسبوا إلى رسول الله ما لم

---

(١) يشير الكاتب ـ هنا ـ إلى جبهان وجماعته الذين اشتبكوا مع قوات الأمن السعودية في البيت الحرام بعد اقتحامهم هذا البيت المقدس، وكان التلفزيون السعودي عرض صورتهم مع زعيمهم الجبهان، الذي قيل إنه أعلن نفسه «المهدي» المنتظر» وأيده أتباعه.

يقله، حيث أنَّ كل ما ورد في المهدي من أحاديث باطلة، ولا أساس لها من الصحة [١].

وأملي عظيم بالله ثم بعلمائنا الأفاضل، أن يركزوا جهودهم على تنظيف تراثنا الإسلامي مما علق به من شوائب وما تسرب إليه من أدران على أيدي الأفاكين، والدَّساسين، وأن يعلنوها حرباً شاملة على الجمود والتقليد الأعمى والميوعة الفكرية، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وقد ردّ العلامة فضل الله على الرسالة السابقة برسالة أخرى دعا فيها إلى استخدام منهج إسلامي علمي في مناقشة ودراسة فكرة المهدي المنتظر، ونشرت مجلة الأمان ذاتها رسالة فضل الله.

يقول فضل الله في رسالته[٢]:

قد تثور بين آونة وأخرى خلافات فكرية إسلاميَّة حول بعض القضايا التي تتصل بتفاصيل العقيدة أو بتفاصيل التشريع في حركة الحياة، انطلاقاً من بعض الأحداث التي تفرض نفسها على الساحة، أو بعض الأوضاع الطائفية أو المذهبيَّة المرتبطة بهذا التصور الإسلامي أو ذاك، أو بهذا الاجتهاد التشريعي أو ذاك. وقد تعودنا أن نواجه أساليب متنوعة في معالجة هذه الأمور، بين أسلوب يعتمد على الإثارة والانفعال فينطلق بألفاظ السباب والشتائم والاتهامات السريعة والأحكام المرتجلة، وبين أسلوب يحاول أن يكون موضوعياً بقدر ما تسمح به الأجواء النفسيَّة أو الواقعيَّة. وربما ابتعد الصراع

---

(١) لم يقدم الجبهان أدلته في نقد أحاديث المهدي، واعتمد فقط على أسلوب إنشائي بعيد عن المنهج العلمي، فما يسميه " أحاديث " باطلة لا أساس لها من الصحة هو استصغار سهل لمكانة عدد كبير من علماء المسلمين قبلوا بفكرة المهدي المنتظرعليه السلام ودافعوا عنها دفاعاً مجيداً في مؤلفاتهم، كما أنَّ السرد التاريخي لحالات الاستغلال السيئ للمهدية لا يسوغ له هذا الشطب السهل لمئات الأحاديث الواردة في كتب أهل السنة عن المهدي.

(٢) العدد ٥١ من مجلة الأمان.

عن أجوائه الإسلاميّة نتيجة ذلك وتحول إلى أجواء عاطفيَّة مما تثيره تيارات الكفر والضلال لتستغل ذلك في إرباك الحياة الإسلاميَّة، وتشويه الصورة الحقيقيَّة للفكر الإسلامي، وخلق الصراعات الحادة في داخل المجتمع الإسلامي لتمر اللعبة الطائفيَّة التي يحركها الاستعمار الكافر بسلام.

ولعل من أكثر القضايا إثارة في هذه الأيام هي قضيَّة ( المهدي المنتظر ) التي وقعت محلاً للجدل بين المسلمين حتّى أصبحت المكتبة الإسلاميَّة تحفل بأعداد كثيرة من المؤلفات الضخمة التي كانت تعالج هذا الموضوع من وجهات نظر مختلفة بأساليب مختلفة، وما تزال الكتب تؤلف وتتوالى في هذا الموضوع في كل يوم.

وقد كان من أسباب هذه الإثارة، الأحداث الضخمة التي تهز العالم الإسلامي، والفتن العمياء التي تسيطر عليه، مما يجعل الكثير من البسطاء من المسلمين يعتبرون ذلك نذيراً بعلامات آخر الزمان التي يكثر الحديث عنها في كتب الحديث المتنوعة، ولا سيما ما يوحي منها من قريب أو من بعيد ببعض الأحداث المعينة. وقد كان من أسبابها، أيضاً الحادثة التي هزت العالم الإسلامي من خلال الإساءة إلى حرمة المسجد الحرام الذي جعله الله أمناً للناس، حيث ارتبطت هذه القضيَّة ـ من خلال أجهزة الإعلام ـ بفكرة "المهدي المنتظر" فيما يزعمه قائد العمليَّة لنفسه من هذه الصفة..

وقد أدّى ذلك إلى أن تواجه الفكرة من ناحية المبدأ ردة فعل انفعاليَّة لا تتناسب مع المنهج العلمي لمناقشة الأفكار والعقائد، فقد لاحظنا التصريحات السريعة التي تعتبرها "خرافة" و "لوثة" وتدعو العلماء إلى إثبات "أسطوريتها" و "خرافيتها" و "يهوديتها" و هكذا من دون أساس علمي متين مما يفسح المجال لأسلوب جديد في معالجة القضايا الإسلاميَّة ومناقشتها ومحاكمتها انطلاقاً من استغلال بعض الأوضاع أو الأشخاص لها في أهداف غير سليمة أو غير مفيدة من ناحية إسلامية.

وقد لاحظت كيف عالج الكاتب[1] ( في مجلة الأمان ) الفكرة من خلال العرض التاريخي لحالات الاستغلال السيئ للفكرة للإيحاء بأنَّ ذلك يكفي كدليل لإدانة الفكرة إسلامياً هكذا بكل بساطة وسهولة.

ونتساءل: هل يكون الاستغلال السيئ لفكرة ما دليلاً على خطأ الفكرة وانحرافها؟ وإذا كان هذا صحيحاً كما يريد الكاتب أن يوحي، فهل نستطيع تهديم كثير من القيم والمفاهيم الإسلامية التي استغلها بعض الظالمين والمنحرفين في الحاضر والمستقبل لتبرير ظلمهم وانحرافهم انطلاقاً من جهل المسلمين بالمعاني العميقة لهذه القيم والمفاهيم.. ثم، لماذا لا تكون القضيَّة عكسيَّة فيدعي مدع بأنَّ حاجة هؤلاء إلى استغلال الفكرة فيما يرون يعتبر دليلاً على وضوح الفكرة كمبدأ في نفوس الناس من المسلمين بالمستوى الذي لا يجدون أي مجال للشك والريب فيها، بحيث يتجه استغلال المستغلين إلى جانب التطبيق لأن النظرية فوق مستوى الشبهات.

إنَّنا نعتقد أنَّ من الإخلاص للإسلام والمسلمين أنْ نتجه إلى القواعد المنهجيَّة التي قررها السلف الصالح من علمائنا الأبرار بالإضافة إلى المنهج التحليلي في نقد التاريخ والنصوص، ليتكامل لنا من خلال ذلك النهج العلمي الحديث في معرفة الحقائق الإسلاميَّة، فإذا كانت العقيدة مضمون حديث نبوي، فإنَّ من الممكن دراسة طبيعة صدور الحديث من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هل صدر منه أو لا، وما هي الظروف التي عاشها الحديث لنتعرف جو الصدور وطبيعته، ثم ندرس طبيعة المضمون لنتأكد من موافقته لكتاب الله وللحقائق الإسلاميَّة العامة الثابتة بالقطع واليقين، فإذا

(١) يراد بهذا الكاتب السعودي إبراهيم الجبهان الذي طالب بإسقاط النصوص الإسلاميَّة في مسألة المهدي وتصفيتها تماماً من تراثنا الفكري والتشريعي، وقد أيده في ذلك الشيخ عبدالله آل زيد في كتابه ( لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر ).

اكتشفنا خللاً في السند أو المتن فيما يعبر القدماء به عن الصدور والمضمون أمكننا أن نطرح الحديث جانباً لنطرح الفكرة من خلال ذلك. أمّا إذا لم نكتشف فيه أي خلل في أي جانب من جوانبه فلا بد من الأخذ به إذا لم يكن له معارض في مستواه، أو أرجح منه.. وقد خاض العلماء من الأقدمين والمتأخرين في دراسة الوضع والوضّاعين ووصلوا في ذلك إلى قناعات وجدانية أو اجتهاديَّة، فيمكننا أن نثيرها أمامنا في كل ما نختلف فيه من قضايانا الفكرية والعقائديَّة والشرعية ليستقيم التمييز بين التصور الصحيح وبين التصور المنحرف على أساس القواعد العلميَّة الإسلاميَّة، وقد نستطيع أن ندعي لأنفسنا أو للآخرين بأنَّ هذا الاتجاه في نقد النصوص الإسلاميَّة من التراث يستطيع أن يمنحنا الهدوء الفكري والنفسي في مواجهة خلافاتنا المذهبيَّة، سواء ما يتعلق بالجانب التصوري للمفاهيم أو بالجانب العملي للشريعة، فلا تخضع الساحة للاتهامات غير المسؤولة ولا للتشنجات غير المعقولة، أو للانفعالات الذاتيَّة التي يثيرها الحقد والبغضاء والتعصب الأعمى.. وبذلك، وحده، نستطيع أن نكشف زيف الزائفين واستغلال المستغلين، مما يقطع الطريق على كل من يريد أن يلعب على عقائد الناس ومقدساتهم ليتخذ ذلك سبيلاً للوصول إلى أطماعه. وقد أعجبني في هذا المجال أحد العلماء السعوديين[1] في مكة أو في غيرها ( لا أذكر ) في معالجته لقضيَّة دعوى " المهدوية " في فتنة "المسجد الحرام" حيث أصدر بحثاً يذكر فيه الصفات التفصيلية للمهدي حسب ما وردت في الأخبار الصحيحة ويقارن بينها وبين " المدعي الكاذب " ليكشف كذبه في بحث علمي هادئ.. وكنت أتمنى لو ينطلق الآخرون على هدي هذا العالم الجليل في معالجة القضايا بهدوء وعلم، لا بانفعال وارتجال. ولا بد لي ـ في ختام هذه الملاحظة ـ من توجيه رجاء ونداء إلى علمائنا المسلمين من مختلف

---

(١) ربَّما يقصد بحث الشيخ عبد المحسن العبَّاد، أو الشيخ عبد العزيز بن باز.

الاتجاهات الإسلاميَّة أن يبدأوا أجواء الحوار والنقد العلمي بعيداً عن جو الاتهامات السريعة غير المستندة على تحقيق، وأن يرتكزوا على المصادر الأمينة لكل اتجاه فكري إسلامي لئلا يتحول الحوار إلى ما يشبه حوار الطرشان عندما ينسب أي واحد إلى الآخرين غير ما يعتقدونه ويقوِّلهم غير ما يقولون.. لاسيما في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها عالمنا الإسلامي من خلال الهجمة الاستعماريَّة الكافرة التي توجه إلى العالم الإسلامي وثورته الطليعية في إيران، والأفغان.. إنَّها مسؤولية ثقيلة، ولكنَّها لا ولن تثقل على نفوس المخلصين المتقين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: ( إنَّ المهدي من الأمور الغيبية التي لا يجوز لأي مسلم أن يجزم بأن فلان بن فلان هو المهدي المنتظر لأنَّ ذلك قول على الله وعلى رسوله بغير علم، ودعوى لأمر استأثر الله به حتّى تتوافر العلامات والإمارات التي أوضحها النبي صلى الله عليه وسلم، وبين أنَّها وصف المهدي، وأهمّها وأوضحها أن تستقيم ولايته على الشريعة، وأن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً مع توافر العلامات الأخرى وهي كونه من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكونه أجلى الجبهة، أقنى الأنف، وكون اسمه واسم أبيه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد توافر هذه الأمور كلها يمكن للمسلم أنْ يقول من هذه صفته هو المهدي )[1].

**في النص:**

١ـ اعتراف بالمهدي كفكرة، وعقيدة دينية.

٢ـ تأكيد لبعض مواصفاته، وعلاماته كما وردت في الروايات.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلاميَّة / عدد ٤٥ . وهو العدد الأول من السنة الثانية عشر ( محرم، صفر ) • سنة ١٤٠٠هـ انظر ص ١٨.

٣ـ افتراق عن وجهة نظر الإماميّة وبعض أهل السنة في تعيينه كشخص معين.

وختم الشيخ عبدالعزيز بن باز مقالته بالعبارات التالية: " أما إنكار المهدي المنتظر بالكلية كما زعم بعض المتأخرين فهو قول باطل لأنَّ أحاديث خروجه في آخر الزمان وأنّه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً قد تواترت تواتراً معنوياً وكثرت جداً واستفاضت كما صرح بذلك جماعة من العلماء بينهم أبو الحسن الآجري، والسجستاني من علماء القرن الرابع، والعلامة السفاريني، والعلامة الشوكاني وغيرهم وهو كالاجماع بين أهل العلم، ولكن لا يجوز الجزم بأنَّ فلاناً هو المهدي إلاّ بعد توافر العلامات التي بيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الثابتة وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً "[1].

ويقول الشيخ محمد المجذوب:

[ وما أرى حاجة لمحاكمة أفكارهم بشأن المهدي ـ يقصد من انتهك حرمة المسجد الحرام بمكة ـ بعد أن أشبعها علماً وبحثاً وتدقيقاً، فنحن مع أهل العلم في إثبات ظهوره ذات يوم على الوجه الذي حدده الخبر النبوي الصحيح، وهو تحديد بالغ الوضوح بحيث لا يحتمل أي شبهة إلاّ عند أدعياء المعرفة ممن لا ينظرون أبعد من أنوفهم، وقد أثبت هؤلاء المغرورون أنّهم الأدعياء حقاً ][2].

أمّا الشيخ عبد المحسن العباد فقد كتب في مجلة الجامعة الإسلاميّة بحثاً مطولاً أكّد فيه الباحث إيمان أهل السنّة بالفكرة وصحة عقيدة المهدي، وان اختلف مع الإمامية وبعض كبار أهل السنة في الاعتقاد بأنَّ محمد بن

(١) المصدر السابق ص ١٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣.

الحسن العسكري هو " المهدي " الغائب المقصود في الروايات، وقد أسمى العباد بحثه بهذا العنوان " عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر "[١].

وقد نشر مؤلف كتاب " أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل " نص ما صدر عن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي / بمكة المكرمة، وجواب مدير المجمع الفقهي الإسلامي الأستاذ محمد المنتصر الكتاني[٢].

وكتب الشيخ يوسف بن عبدالرحمن البرقاوي بحثاً في مجلة البحوث الإسلاميّة بعنوان " عقيدة الأمة في المهدي المنتظر "[٣] اعتبر فيه المهدي من علامات الساعة الكبرى وأشراطها.

**التحليل النفسي المضاد وتفسيره لنشأة عقيدة المهدي:**

قلنا إنّ المناهضين لعقيدة المهدي قد استخدموا المنهج النفسي في نقدها، وأخضعوها لتحليل نقدي نفسي لتأييد آرائهم، ومما لاشك فيه أنَّ لهذا المنهج قوة علميَّة ومنطقيَّة لا يستهان بها في محاكمة الآراء ونقد المعرفة وتمحيصها وفحصها فحصاً حراً.

ومن الطبيعي أن يستفيد المشككون والمنكرون من فعالية هذا المنهج واستثمار قدرته المنطقية على الإقناع والبرهنة، بخاصة في معالجة قضيّة متأصلة في أعماق الناس لقرون طويلة متتابعة، ولها فعالية مؤثرة في سيكولوجية الجماهير المسلمة، فأراد فريق التشكيك مقاومة العقيدة المذكورة بسلاح التحليل النفسي الاجتماعي، واستعماله كأداة لتنفير النفوس من الفكرة وتكوين اتجاه ـ نفسي وذهني ـ مضاد لها تمهيداً لهدمها، ونسف جذورها.

---

(١) انظر أعداد المجلة المذكورة ( ٣، ٤٥، ٤٦ )، وقد صدر له كتاب عن هذه المسألة بالعنوان نفسه.

(٢) أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل ص١٦٢ ـ ١٦٥.

(٣) مجلة البحوث الإسلاميّة / عدد (٤٩) رجب حتى شوال سنة ١٤١٧هـ، ص ٣٠٣ ـ ٣٥٧.

وتنوعت بواعث التحليل النفسي المناهض، فبعض المشككين ينتقد عقيدة المهدي بوازع ديني يبطن معارضته بالمحافظة على الدين من الأساطير، واتجه قسم آخر منهم إلى النقد متأثراً بالنظرة المادية، وبالدعوة إلى تبني التفكير العلمي في معالجة واقعنا وفهم مشكلاته وإيجاد حلول لها، لكن القضاء على هذه العقيدة هو القاسم المشترك الذي جمع الأعداء في صف واحد.

ومهما تباينت النظرة التحليلية الناقدة لدى المشككين على اختلاف توجهاتهم فإنَّ النقد النفسي بمختلف أشكاله يمثل إدانة للفكرة، ورغبة علنية لتصفيتها، وسوف نتوقف ـ بإيجاز ـ عند بعض التفسيرات النفسيَّة المضادة لعقيدة المهدي.

**أولاً: الإحساس بالاضطهاد:**

اعتقد البعض ـ ومنهم كتَّاب مسلمون ـ أنَّ الإيمان بعقيدة المهدي المنتظر عليه السلام مصدره الإحساس بالاضطهاد بمختلف أشكاله وبخاصة السياسي الذي عاناه المسلمون على أيدي حكام الجور في عصور التاريخ الإسلامي وبالذات في عهد الأمويين والعباسيين، والدويلات الصغيرة التي تبعثرت على امتداد هذا التاريخ.

هؤلاء الكتاب ـ كما سنرى ـ يقررون أنَّ المغبونين في عالمنا المسلم لم يجدوا مسوغاً نفسياً يخفف غلواء هذه المعاناة، والعجز عن مواجهة الواقع الظالم وتغييره سوى اجترار فكرة المهدي المنتظر الموعود، والإيمان به "كمنقذ" يخلصهم من جور الطغاة، ويزيح عنهم واقع الاضطهاد المرير، وبهذا تكون عقيدة المهدي حيلة من حيل الدفاع النفسي تلجأ إليها النفوس المظلومة العاجزة لإزاحة التوتر، وتخفيف الشعور بعدم الأمن الذي يفرضه الظالمون، وآلية دفاع خفي من الذات المضطهدة.

ولقد أدى استمرار الجور السياسي للحاكمين الطغاة منذ العصر الأموي

فما بعده في المجتمعات الاسلامية إلى التمسك بعقيدة المهدي، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة هذه الأنظمة، لهذا استمرت هذه العقيدة في النفوس لمواجهة عسف الطغاة " ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره [١].

وعلى هذا الرأي مضى آخرون؛ قال بعضهم: " وأخذوا ـ يقصد الكاتب هنا ابن سبأ وأتباعه ـ في نشرها في مجتمع الناس حتى لا يفقدوا الأمل الذي يرتجونه بزعمهم في إرجاع الحكم إلى أهل البيت ليزيلوا عنهم الظلم والاجتهاد الواقع بهم من قبل خصومهم بني أمية، فهي دعوة سياسية إرهابية[٢]. وينقل البعض عن الشيخ محمد رشيد رضا قوله: " ومن استقصى ما ورد في المهدي المنتظر من الأخبار والآثار، وعرف مواردها ومصادرها يرى أنها كلها منقولة عن الشيعة، وذلك أنه لما استبد بنو أمية بأمر المسلمين وظلموا وجاروا، وخرجوا بالحكومة الإسلامية عن وضعها الذي يهدي إليه القرآن "[٣] لما كان هذا كان أشد الناس تألماً له وغيرة على المسلمين آل النبي عليه وعليهم السلام، فكانوا يرون أنهم أولى بالأمر، وأحق بإقامة العدل، فكان من تشيع لهم يؤلفون لهم عصبية دينية يقنعونها بأن سيقوم منهم قائم مبشر به يقوِّم العدل، ويؤيد الدين، ويزيل ما أحدث بنو مروان من الاستبداد والظلم، وعن هذا الاعتقاد صدرت تلك الروايات[٤].

وثمة وجهة نظر أخرى تصب في هذا المجرى، وترى أنّ عقيدة المهدي

---

(١) فان فلوتن / السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ص ١٣٣.
(٢) لا مهدي ينتظر ص ٤.
(٣) المصدر السابق ص ٦٤.
(٤) المصدر السابق ص ٦٤.

ثمرة حكم استبدادي سيطر على المجتمعات الإنسانيَّة، ونتاج منطقي لطبيعة الحياة البدويَّة، وقد فرضت هذه العقيدة البدويَّة الأصل على أهل الحضر والريف من الشعوب التي فتحها الإسلام، رغم مخالفتها للمواقف الأساسيَّة لأفراد المجتمعات الزراعيَّة أو سكان المدن، يقول صاحب هذا الرأي:

" ومن بين الأفكار التي نتجت عن هذا الشكل الاستبدادي من أشكال الحكم في الأقطار الإسلاميَّة فكرة المهدي المنتظر التي يحسب بعض السنيين وغير المسلمين خطأ أنَّها مقصورة على الشيعة دون مذاهب الإسلام السنية الأربعة، وقد نتجت هذه الفكرة عند الجميع عن حيرة عميقة إزاء التناقض الصارخ بين المسلمين في ظل حكومات مسماة بالإسلاميَّة، قد نبذت الدين جانباً، وأقرَّت أوضاعاً اجتماعيَّة ظالمة، وقد يشاء هؤلاء المتدينون و الفقراء والمغبونون إمَّا من عجز أو جبن أو حكمة، ألاَّ يفرقوا صفوف المسلمين بالثورة، وأن يتذرعوا بالصبر على الإجحاف والاستبداد، زاعمين لأنفسهم أنَّهما من إرادة الله، ولحكمة إلهيَّة خافية على مدارك البشر، أو جزاء على ما يرتكبه المسلمون من المعاصي، بيد أنَّهم اهتدوا كذلك إلى حيلة يوفقون بها بين المثل العليا التي يتطلعون إليها ـ وكانوا يودون لو رأوها سائدة في مجتمعهم ـ وبين الواقع الكئيب ألا وهي ابتداع فكرة المهدي المنتظر الذي قد يظهر من مخبئه في أية لحظة، فيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً [١].

ويرى هؤلاء أنَّ الفصام الواقع في حياة المسلمين والعجز عن المواءمة بين واقعهم السيئ وأملهم المنشود بتغيير المواقع الظالم، يضغط على أعصاب البعض، فيصابون بانفصام الشخصيَّة ولوثة المهدي على حد تعبير بعض الكتَّاب [٢]، فهو أمل العاجزين الذين يستطيلون طريق الأوضاع

---

(١) مجلة العربي / عدد أكتوبر ١٩٨٢م، رقم العدد ( ٢٨٧ ) ص٢٢.

(٢) مجلة الأمان اللبنانية / العدد ( ٤١، ٤٢، ٥١ ).

بجهدهم البشري حسب نواميس الكون وسنن الله في خلقه، ويتوقعون أن يكون ذلك بنصر يتنزل من السماء أو" مهدي " يهبط من خلف الغمام.

كما أنَّ الفكرة استعملت كذلك للإرهاب والتخويف فكما توعدت الفكرة بني أميَّة وأئمة الطغاة بالويل، فإنَّ بني أميَّة ابتدعوا فكرة السفياني لإخافة خصومهم، وهكذا تحولت فكرة المهدي إلى عقيدة إرهابيَّة، وأنَّها ولَّدت السلوك العدواني في سيكولوجية الأفراد الذين عرضوا أنفسهم "كمهديين"، فبعد أن استغل هؤلاء " المهديون " تفاعل جماهير المسلمين مع الفكرة، حكموا المسلمين ظلماً وجوراً، وتطلب هذا بحثاً جديداً عن مهدي منقذ آخر، وهكذا فإنَّ الباحثين عن " المهدي المنقذ " فراراً من اضطهاد الطغاة يتحولون إلى شخصيات عدوانيَّة، وبالذات حينما تكون في مواقع السلطة.

وعلى كل حال نرى أنَّ هذا الاتهام مردود عليه ليس لأنَّ الذين ادَّعوا المهديَّة في التاريخ الإسلامي لم يمارسوا الظلم والطغيان، بل لأنَّ الظلم غالباً ما يكون سمة بارزة في سلوك أغلب القاهرين المنتصرين سواء ادعوا المهدية أو لم يدعوها. كما أن ظلم مهدي مزور لا يستوجب النفور من فكرة المهدي الموعود، ولا يستدعي الشك في وجوده أو يشبه هذا حالة ادعاء النبوة، فهذا الادعاء لا يستدعي تكذيب النبوة أبداً.

**ونسأل المنكرين بعض الأسئلة:**

لماذا استمرت إلى الآن عقيدة المهدي المنتظر في ذاكرة المؤمنين به؟ ولماذا عفا الزمان على فكرة " السفياني المنتظر " وأصبحت جثة هامدة؟ ولماذا لا تدان فكرة " المخلِّص " عند بعض الشعوب كالمسيحيين؟ ولماذا لا نجد هذه الشعوب متحمسة لفكرة " المخلِّص " كما هو حال المعتقدين بها من المسلمين؟

وإذا كان " الاستبداد " هو مصدر العقيدة، فهل هو أيضاً مصدر فكرة

"المخلِّص" عند بعض الشعوب والأديان؟ وهل أنَّ فكرة "اليوم الموعود" في الفكر الماركسي مستمد كذلك من واقع الاستبداد، والتناقضات؟ وإذا كان كذلك فلماذا تذم عقيدة الانتظار، ولا يذم مبدأ اليوم الموعود في النظرية الماركسيَّة؟ لماذا يقال إنَّ الشعور بالاضطهاد هو الذي قاد الماركسيَّة إلى الإيمان بفكرة " المنقذ " من خلال زوال الدولة وحل التناقض الاجتماعي جدلياً؟ وإذا كان الإحساس بالاضطهاد سبب الإيمان بهذه العقيدة، فماذا نفعل بمئات الروايات الواردة في هذا الشأن؟ هل تلغى ونشطبها من مصدر الحديث؟

**ثانياً: السلوك الاتكالي:**

وقد نسب المنكرون إلى هذه العقيدة أنَّها علَّمت مؤيديها ومعتنقيها سلوك الاتكاليَّة، وذلك أنَّ بعض الكسالى، الجبناء عجزوا عن تغيير واقعهم، أو احبطت جهودهم في بلوغ أملهم المنشود، ففقدوا الرؤية الصادقة لفهم سنن الله سبحانه واستخدامها في تغيير الأمم والمجتمعات وفق قاعدته الأساسيَّة وهي تغيير ما بالنفوس تغييراً جماعياً شاملاً، وقد أفرز ذلك العجز الثقيل سلوك الاتكاليَّة عند هؤلاء الأفراد، فأوكلوا الأمور إلى وهم التغيير المحتوم الموعود "إلهياً " على يدي المهدي المنتظر، وهو كما يقول هؤلاء رجل في طي الغيب، ولا وجود له إلاَّ في مخيلة العاجزين الذين تذوقوا الخيبة ومرارتها، فابتكروا الفكرة ليمارسوا اتكاليتهم على غيرهم في عملية التغيير.

إنَّ فشل حركات التغيير المتكرر " خلق في النهاية إحساساً بالعجز والاستسلام واستغناءً عن فكرة محاولة بشرية لإحداث التغيير، والركون إلى الإله الذي سيحدث التغيير في الوقت المناسب بإرسال المهدي المنتظر الذي سيسوي الأمور كافة على أحسن وجه، وخير ما يرام "[1].

---

(١) حسين أحمد أمين، مجلة العربي / عدد ٢٨٧ ص ٢٢.

بالرغم من أنَّ الاتكالية، والعجز عن مقاومة الظالمين أصبح جزءاً من سيكولوجية بعض الأفراد المتخاذلين، المتشائمين الذين يندبون الزمان وأهله، ويقرأون العزاء على واقع المسلمين، ويقضون ليلهم ونهارهم في تثبيط العاملين وعرقلة عملهم، إلاّ أن انتقاد سلوكيَّة هؤلاء لا يستدعي أبداً مهاجمة الفكرة وإنكارها، فإذا ما تخلَّفوا عن فهم المعنى الصحيح للانتظار، والقائم على التعامل مع السنن الكونيَّة تعاملاً موضوعياً لا يغفل أبداً الجهد البشري في عمليات التغيير الإسلامية للنفس على هدي الكتاب والسنة، فإن هذه العقيدة تشدد على الجهاد والمقاومة والتربية، والدليل على ذلك أنَّ أصحاب هذه النظرة يعترفون بوجود اتجاه آخر بين المؤمنين يمارس الانتظار بثوريَّة، ويجاهد لتغيير الواقع المنحرف تمهيداً لظهور الإمام، ويؤمن بأنَّ التمهيد ينطلق من قاعدة تغيير ما بالنفوس بسواءٍ في حياة الأفراد أو الأمم والجماعات، وينتهي بتكوين دولة إسلاميَّة توطئ الأمر للمهدي وتمهد لنجاح حركته التاريخيَّة.

إنّ عقيدة المهدي ليست مسؤولة عن هذا العجز، والاتكاليَّة، والتخلي عن مقاومة المضطهدين للظالمين، بدليل أنَّ أكثر ضحايا جور الطغاة من المؤيدين لهذه العقيدة، وأنَّ ثمن هذه المقاومة، وهذا الجهاد الدائب بطش وتعذيب وظلم يبكي له تاريخ البشرية حتَّى يومنا هذا.

فالإمام المهدي عليه السلام نفسه يطالب الشخصيَّة المسلمة خلال فترة غيبته بقهر النفس و تربيتها بالمبادئ، وبالإرادة، يقول الإمام المهدي عليه السلام : "رب أسألك مدداً روحانياً تقوى به قواي الكليَّة والجزئية حتى أقهر بمبادئ نفسي"[1] وشدَّد الإمام على المقاومة والجهاد، و نجد ذلك في كثير من رسائله، وزياراته، و أدعيته، وقد استجاب لهذه الدعوة بعض المنتظرين

---

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ٣١٨.

الذين فهموا الانتظار بمعناه الصحيح، ودخلوا في معارك جهادية مع أعداء المسلمين كما نشهد ذلك في صراع المقاومة الوطنية والإسلامية في لبنان مع إسرائيل.

**ثالثاً: الشعور بالعار:**

إنَّه لمن المؤسف حقاً أنَّ بعض الباحثين لم يستطع تصحيح مسار الاتجاه الخاطئ عند المسلمين في فهم الفكرة، فطالب بإلغائها ليريح نفسه منها، ولكي يخلِّص عقله من مشاعر العار التي تلحق بالذَّات المسلمة من اعتناق فكرة خرافيَّة، ويصرح بعض المنكرين لإمامة "المهدي" بأنَّه من العار إيمان جماعة بمثل هذه الفكرة، وقد سبق أن مرَّ علينا ما قاله ابن القيم الجوزيَّة في هذا الشأن " أصبح هؤلاء ـ يقصد الإماميَّة ـ عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منها كل عاقل "[1] وقد شاركه جمع آخر من علماء أهل السنَّة كابن خلدون وابن كثير وابن حجر وغيرهم.

إنَّ هؤلاء يعتقدون بأن الأمم الأخرى المتمدنة تسخر منّا بسبب إيماننا بعقيدة خرافيَّة، واتكاليَّة تجلب الخزي وتبعد العقل المسلم عن الفهم العلمي لقوانين التطور التاريخي والاجتماعي، والتي تنتظم عليها حركة المجتمع البشري، مع أنَّ هذه الأمم تؤمن بالفكرة بهذا الشكل أو بآخر.

والإيمان بفكرة ماتزال في مجال الغيب تحط من الوزن الحضاري والقيمي للأمَة أمام أمم الأرض، لهذا فإنَّ التخلص منها وتبرئة الذَّات من أوزارها هي السبيل المناسب للدفاع عن الذَّات الحضاريَّة للمسلم المعاصر، وهو السبيل السليم لتقديمها كمثل أعلى للشخصيَّة المسلمة الواقعيَّة التي تتعامل مع الأسباب بمنطق موضوعي بعيد عن الأساطير.

فالمطالبة بالإلغاء محاولة خفيَّة وعلنيَّة لتبرئة الذَّات المسلمة من الإيمان

---

(١) المنار المنيف ص ١٥٢ ـ ١٥٣، كذلك لا مهدي ينتظر ص ٥٨.

بعقيدة يرى منقذوها سخفها، وتفاهتها، لذلك طالبوا هؤلاء بالتخلص من هذه الفكرة الأسطوريّة التي لا تليق بالعقل المسلم ولا تشرفه، وأراد هؤلاء إزاحة الفكرة نهائياً من تاريخنا ومصادرنا الثقافية والدينية لتحسين صورة "ذواتهم" أمام الآخرين وتجميلها.

**رابعاً: الإيحاء التاريخي النفسي:**

يقوم المناهضون لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام بين فترة وأخرى بتقديم عرض تاريخي يُذَكِّر بحالات الاستغلال السيئ للفكرة من أجل الإيحاء للناس بمساوئها، وأنَّها خرافة، ولوثة، ينبغي تطهير العقليَّة المسلمة منها، ويتجدد هذا العرض التاريخي لحالات الاستغلال كلَّما ادّعى "كذوب" بأنه المهدي، بحيث يبدأ هؤلاء بتجديد أول حالة استغلال للمهديَّة ثم يستعرض فيما بعد تطورها في التاريخ الإسلامي حتى اليوم[1] ويستهدف هذا العرض التاريخي تنفير الناس من الفكرة، وتكوين حالة وجدانية مضادة لها.

وينتهي العرض التاريخي دائماً لمثل هذه الحالات بمطالبة علماء المسلمين بحسمٍ نهائيٍ لأمرٍ تعلق به من طاشت عقولهم على حد تعبير أحد المنكرين لفكرةِ " المَهدي " المنتظر[2]، بل إنَّ بعض هؤلاء يقفز على النصوص فيلغيها بسهولة وبساطة دون أن يحاكم هذه النصوص وفق قواعد الجرح والتعديل المتداولة عند علماء الحديث.

وإذا كان تكرار حالات الاستغلال السيئ يؤدي إلى نفور بعض الناس من الفكرة، وإذا كان تكرار العرض التاريخي مرَّات عديدة هدفه تنفير الناس أيضاً من الفكرة عن تعمد واضح، فإنَّ هذا التكرار قد يصنع اتجاهاً مضاداً يعادي الفكرة وينفر منها حتى بدون تمحيص معقول لأدلتها، وشطب

---

(١) انظر مجلة الأمان / عدد ٤٢ ( رسالة الجبهان ).

(٢) عبَّر أحد الكتاب في مقال بمجلة الأمان اللبنانيَّة بهذا التعبير.

نصوصها ورواياتها بدون محاكمة أو مناقشة، وبخاصة أنَّ قابلية الناس للإيحاء والاستهواء في موضوع شديد الحساسية، لذلك يُوحي تكرار العرض التاريخي المناهض لحالات الاستغلال بمواقف مضادة ضد عقيدة المهدي نفسها، وهكذا فإنَّ هدف هؤلاء المنكرين من استعمال العرض التاريخي وتكراره كلَّما تجددت حالة ادعاء أن يعيش الناس تحت ركام من الإيحاء بالنفور، والتمنيات باستئصال هذه العقيدة من قلوب المسلمين وعقولهم.

ويمكن كما يقول أحد علمائنا[1] أنَّ مجرد الاستغلال السيئ ينطوي على دلالة نفسيَّة، فنشوء الحاجة عند البعض لاستغلال فكرة المهدي دليل قوي على وضوحها كمبدأ عقائدي في الذهنيَّة العامة للمسلمين، ودليل على وضوحها كعقيدة ثابتة في نفوس الناس بالمستوى الذي لا يجدون فيه مجالاً للشك والارتياب، بحيث يتجه استغلال المستغلين إلى جانب التطبيق لأنَّ النظريَّة فوق مستوى الشبهة، وفوق مستوى النقد.

وهذا أمر يدل على اطمئنان نفسي كبير عند الناس بصحة الإيمان بهذه العقيدة التي يحاول المستغلون أن يوظفوا فاعليتها وتأثيرها في النفوس، فالعقل المسلم على ثقة بأنَّ هذه الفكرة ليست وهماً صنعته الجراحات، والآلام، والمعاناة التي خلَّفها الظالمون في حياة المسلمين على امتداد تاريخهم، وليست من بناة أفكار المظلومين. إنَّها وعد إلهي منصوص عليه لإعادة التوازن في حركة المجتمع الإنساني، وتحرير البشرية " المعذبة " من متاعبها التاريخيَّة.

نرى مما سبق قوله أنَّ المنكرين استعملوا منهج النقد النفسي لسلوك المنتظرين، وأسلوب العرض التاريخي المضاد، وذلك من أجل إبطال عقيدة

---

(١) المجلة السابقة عدد ٥١ مقال فضل الله.

المهدي، والإيحاء بإدانتها أمام العقل المسلم.

* * *

وقد أدرك بعض الثوار في المجتمع الإسلامي أثر سياسة الاستبداد السياسي ضد المضطهدين، فأسرع بعضهم إلى الزعم بأنه " المهدي " الموعود الذي بعثه الله لتخليص المضطهدين، والأخذ بثارات المظلومين كما فعل الحارث بن سُرع.

ويزعم هؤلاء أنَّ الحكام المستبدين أيضاً عرفوا رغبة الناس الحقيقية للحق وإقامة العدل. فسعوا متعمدين لإلهاء هذه الجماهير بعقيدة خرافيَّة لا أساس لها واصطنعوا مواقف واتجاهات مضادة وخادعة تبين أنَّ هذه الفكرة ضد الظلم وسياسة الظالمين وتثير الرعب في نفوس الحكام المستبدين، ليعيش المغبونون على أمل " محذر " وأن تشتغل قلوب المظلومين " بالأمل المنشود " ويتفرغ الظالمون لنهب خيرات الله ونعمه في الأرض فيعيثوا فيها فساداً، وبالتالي تكون فكرة المهدي وَهْماً يتسلى به المغبونون، وتلهو قلوبهم عن عبث الحاكمين الظلمة.

ولهذا يعتقد بعض المنكرين أنَّ إلغاء الفكرة نهائياً من حياتنا وعدم التصديق بها يهيئ النفوس للراحة والأمان والاطمئنان والسلامة من الشكوك، ويوجه الأنظار للناهبين الظلمة، وتركيز الجهود لمقاومتهم.

**ونسجل على هذه الآراء بعض الملاحظات التالية:**

١ـ أنَّ فكرة " المهدي " ليست ثمرة ضغوط الاستبداد السياسي على الناس، وليست نتاجاً للمشاعر المرضيَّة إلاَّ في بعض النفوس التي لم تستوعب الفكرة بمعناها الصحيح ومن مصادرها الروائية الأصيلة، بدليل أنَّ الاستبداد يسود العلم كلّه، وبعض الشعوب تؤمن بفكرة "المخلِّص" المنقذ كالمسيحيين، واليهود، وقد ظهرت بين ظهرانيهم حالات ادعاء.

ويدل تجدد حالات الادعاء " بالمهديَّة " في مجتمعاتنا على قوة الفكرة وتمكنها من النفوس، وهذا يعني أنَّ مصدراً آخر غير المشاعر المرضيَّة كالعجز هو الذي يربط الجماهير بالفكرة.. إنَّه مئات الروايات التي رسمت بدقة شمائل المهدي المنتظر الصحيح فأراد المزورون تقمصها واستغلالها.

والغريب حقاً أنْ يدعي منكرو عقيدة المهدي بأنَّ إيمان المسيحيين في المجتمع المسلم بعقيدة " المخلِّص " كان بسبب تأثر هؤلاء بالنظرة الإسلاميَّة نتيجة المخالطة الطويلة[1] والتفاعل التاريخي المزمن بين المسلمين والمسيحيين القاطنين في البيئات المسلمة[2]، وتكاد تصطدم هذه النظرة تماماً بوجهة نظر المسيحيين أنفسهم في أوروبا، يقول عالم التحليل النفسي " إريك فروم " إنَّه " مهما اختلفت المفاهيم فإنَّ هناك اعتقاداً واحداً يشمل كافة فروع المسيحيَّة، ذلك هو الإيمان بأنَّ يسوع المسيح هو المخلِّص الذي وهب حياته حبّاً لإخوانه في الخليقة "[3]، فهل تأثر أريك فروم بالنظرة الإسلاميَّة، وبالمسلمين وهو لا يعيش بين ظهرانيهم؟

٢ـ ادّعى بعض المنكرين أنَّ الإيمان بالمهدي عقيدة إرهابيَّة، وبأنَّها مصدر دائم لفقدان الأمن النفسي لجمهور المسلمين، وأنَّ إلغائها التام سوف يعيد التوازن النفسي للمسلم، ويقطع السبيل أمام حالات الادعاء والاستغلال السيئ.

---

(١) يقول الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود في كتاب ( لا مهدي منتظر بعد الرسول خير البشر ) ص(٣ـ٤) أنَّ فكرة المهدي سرت بطريق المجالسة والمؤانسة والاختلاط إلى أهل السنة، فدخلت في معتقدهم، وهي ليست من أصل عقيدتهم، ثم انتقلت بصورة عامة إلى المجتمع الإسلامي حين نادى بها في الناس عبدالله بن سبأ، المعروف بصريح الإلحاد والعداء للإسلام والمسلمين.

(٢) ظهرت دراسات تعالج فكرة "المخلِّص" عند المسيحيين والمسلمين أمثال كتابي: "المخلِّص في الإسلام والمسيحية" و"المهدي والمسيح" لمؤلفهما "باسم الهاشمي".

(٣) إريك فروم / الإنسان بين الجوهر والحقيقة ص ١٥٠.

ونرى في قبالة هذه النظرة نظرة أخرى مضادة تقول بأنَّ المطالبة بإلغاء فكرة عقائديَّة ـ كعقيدة المهدي ـ لمجرد سوء استغلالها، ودون التأكد من صحة متن رواياتها وأسانيدها، يعني تسويغ الظلم وتبرير الانحرافات الصادرة عن سياسية الظالمين، ويكفي أنَّ بعض البيئات المسلمة لم تعرف قط حالة "ادعاء" للمهدي ومع ذلك لم تعرف شعوبها الأمن النفسي، ولم ينته الاستبداد السياسي قط من حياتها.

وطالما أنَّ فكرة المهدي تخويف للناس وترهيبهم بخاصة الظلمة من الحكام، فإنَّه من المحتمل جداً أن تكون الدعوة إلى الإلغاء تسويغ متعمد لسياسة الظالمين التي يمارسها هؤلاء الحاكمين ما داموا يشعرون بالأمن، فلا يتحسس الظالمون نهاية مأساويَّة لهم، ومكمن الخطورة في إلغاء عقيدة المهدي أن تظل الشعوب تحت رحمة المستكبرين الظلمة دون " أمل " بتغيير جذري للمظالم، وللواقع الفاسد، ولا ضير على الشعوب أن تتحمل لفترات من تاريخها مساوئ استغلال الفكرة وتعي ذلك حتَّى تبقى فاعلة، ومصدراً لقلق المستكبرين، ومصدراً يهدد أمن الحاكمين الظلمة، ولو لم يكن لهذه العقيدة الإسلاميَّة إلاَّ هذه المزية لكفى، فلتبقى الفكرة " غولاً " يلاحق المستبدين.

٣ـ ويجمع هذه النظرات الناقدة والتي يطالب بعضها بطرح عقيدة المهدي نهائياً من الذهنيَّة العامة للمسلمين هدف مشترك هو إحباط مشاعر الجموع المسلمة وإزاحة كل توتر نفسي في حياة الحكام المستبدين، وتخليصهم من الخوف، وتيئيس المؤمنين في أدوار التاريخ بأنه لا انتصار حاسم لهم على أعداء الحق، وذلك بدعوى تشجيع هذه الجموع في الاعتماد على إرادتها الخاصة في صنع تغيير الواقع بالرغم من أنَّ الإيمان بهذه العقيدة المباركة لا تتطلب معجزة تأتينا من خلف الغمام ـ كما ادَّعى البعض ـ ولا تتجاهل تغيير واقع المجتمع وفق سنن موضوعيَّة، بل إنَّ من شروط نجاح

الفرد المسلم في تعامله مع هذه العقيدة قائم على أساس معرفة هذه السنن كضرورة لتنظيم حركة المجتمع، وقائم على عنصر الجهد البشري في تغيير النفوس والجماعات والأمم.

وإذا أُسقِطَت الفكرة ـ ويأبى الله ذلك ـ فإنَّه لا مفر أمام المسلم في عصر الغيبة إلاً بوقوعه تحت براثن الإحباط فالمرض النَّفْسي، فما دامت الجماهير تشعر بوطأة الفشل المتكرر لتجاربها في تغيير الواقع الفاسد، وما دامت فقدت بصيص " أملها " في هذا التغيير على يد رجل موعود، مدخر لمؤازرة المستضعفين ونصرتهم، فإنَّ اليأس، وإحباط السلوك هو النهاية المؤسفة، وهو الواقع النفسي الثقيل الذي لا مناص منه، وهو القدر الذي لا فكاك منه، وأنَّ أغلب الذين يعانون من ألم الإحباط فشلوا في تغيير واقعهم، وليس لديهم " أمل " محتوم بالنصر، بل هم يائسون رغم معرفة بعضهم بشروط تحقق النصر، لأنَّهم يشعرون بتفوق سيطرة الواقع المنحرف تفوقاً مذهلاً لا يضاهيه جهد بسيط يبذله المظلومون، وليست إمكانيات الطرفين متعادلة، فكلَّما ازدادت قوة أحدهما ضعفت إمكانيَّة الآخر. . أو على الأقل هكذا بتصور بعض المضطهدين من طرف واحد.

وما دام الإيمان بفكرة " المخلِّص " إلهاماً خطيراً وإحساساً نفسيّاً مشتركاً بين البشريَّة، فإنَّ إلغاء عقيدة المهدي لن يقضي على حيوية هذا الإحساس الغريزي في باطن النفس البشريَّة، فإن كانت الفكرة كما يقول المنكرون ناتجة عن مشاعر مرضيَّة في شخصيَّة المؤمن بهذه العقيدة كالعجز، والشعور بالخيبة، والشعور بالدونيَّة أمام الواقع الاستكباري الفاسد، فإنَّ النفس بفطرتها سوف تبحث عن منقذ آخر، أو سوف تفتش عن شخص آخر مخلِّص، وبخاصة أنَّ الواقع النفسي المرير سيظل في شخصيَّة كثير من الأفراد، ولن يجدي إلغاء الفكرة من الذهنيَّة العامة للمسلمين طالما أنَّ مسببات " البحث " عن منقذ يخلِّص المظلومين من مآسيهم قائمة في التركيبة

السيكولوجيَّة الآدميَّة وكل ما في الأمر أن تتخلى الجماهير عن الاعتقاد "بالمهدي" كمنقذ، لكنَّها لا تتنازل عن فكرة " المخلِّص " لأنَّ ذلك إلهاماً فطرياً، فمتى ادلهمت الخطوب واشتدت المحن توجهت النفس بفطرتها إلى من يصلح حالها، وحتى الماركسيَّة، وهي فلسفة ماديَّة متطرفة أدركت حاجة البشريَّة للمصلح، لذلك آمنت بولادة مجتمع إنساني سعيد وانتظاره في نهاية التطور التاريخي للمجتمع، إنَّها حددت " يوماً " تنتهي فيه الطبقيَّة وتزول سلطة الظلم، وتنتهي التناقضات الاجتماعيَّة، وتقهر إلى الأبد قوة الدولة وسلطتها الغاشمة.

فالإحساس بيوم " الخلاص " أصيل في التركيبة النفسيَّة الآدميَّة، لكن صور التعبير عنه تتنوع باختلاف الأمم والشعوب والثقافات، وبتفاوت ظروفها السياسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والدينيَّة، وأنَّ التشاؤم من المستقبل الإنساني قد ينشأ في أحيان كثيرة من ضبابية الفكرة وضغط الواقع النفسي الذي يعيشه الفرد.

وخلاصة ما تضمنته تحليلات المنكرين أنَّ عقيدة المهدي وليدة نزعات أقوام راموا الحكم فلم يتيسر لهم، فمنَّوا أتباعهم بمستقبل أحسن ونشروها بينهم، بعد اليأس من عودة الحكم لهم، وضغوط الاستبداد، والشعور بالعجز، وبعدم الأمان، فمنَّوا أتباعهم بعودة الأمر إليهم، فوضعوا لهم فكرة المهدي وابتدعوها في الذهنيَّة العامة للمسلمين عزاءً لهم وتعويضاً عن الحرمان السياسي.

# الفصل الرابع

# العوامل المؤثرة في سيكولوجية المنتظرين

## من هم المنتظرون:

نقصد بالمنتظرين ـ بكسر الظاء ـ مجموعة الأفراد الذين آمنوا بالإمام المهدي المنتظر(ع) المولود والموجود فعلياً، والحي الغائب الذي يعيش بيننا في أرض الله الواسعة مستوراً عن أنظار الناس.

لم يلحق هؤلاء الأفراد بالنبي ﷺ ولم يروه وحجب عنهم الحجة لكنَّهم آمنوا بسواد في بياض.. أي بالروايات والأقوال التي بشَّرت بالمهدي، وآمنوا كذلك بأصول الإسلام وأركانه وفروعه، وانتظروا إمامهم الغائب المحدد الاسم والصفات والعلامات، وظلوا في فترة غيبته الطويلة صابرين مقيمين على حبه والولاء له، راغبين في عدله، إيماناً منهم بالغيب.. إنَّهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه حين قال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1].

وتفرق المنتظرون ـ أفراداً وجماعات ـ في كل بقاع الأرض وهم يتناقلون عقيدتهم في الإيمان بمهدي موجود ينتظرون الفرج على يديه، ويتوارثون همومهم المختلفة جيلاً بعد جيل، ولكن ما يميزهم عن غيرهم هو ثباتهم على الإيمان الديني الصادق بهذه العقيدة.

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ج٣ ص ١٠١، المحجة فيما نزل في القائم الحجة، لفقيه البحرين الكبير العلامة السيد هاشم التوبلاني ص١٦ـ١٧.

عاش المنتظرون حتّى لحظتنا الراهنة تاريخاً طويلاً مليئاً بالمحن والصعاب حتّى ضاق صدر أحدهم ـ وهو ما يزال في القرن الثاني الهجري ـ فقال للإمام الصادق عليه السلام: " قد طال هذا الأمر علينا حتّى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً "[1].

ومرّت القرون وتعملق الظلم في حياة المنتظرين وغيرهم، فعبّر بعض المنتظرين المضطهدين في عهد متأخر عن إحساسهم بالضيق، فقالوا في حرارة الراغب في لقاء ولي الله الغائب:

" اللهم طال الانتظار وشمت بنا الفجار وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك في حياتنا وبعد المنون "[2].

## العوامل المؤثرة في سيكولوجيَّة المنتظرين:

يتأثر سلوكيّاً وذهنياً وسيكولوجيّاً أفراد جماعة المنتظرين بعدد من العوامل، فالمنتظرون ـ كأية جماعة بشريَّة لها تاريخ بعيد وعمق حضاري فاعل ـ يعيشون في وسط مثيرات عقيديَّة ودينيّة وتاريخيّة واجتماعيَّة، ولا مناص لهذه الجماعة أن تتأثر تركيبتها الداخليَّة بهذه المثيرات، خاصة وأنَّ العوامل المؤثرة في نفسيَّات المنتظرين وعقلياتهم تميل إلى استعمال المفاهيم الدينيَّة والعناصر المعرفيَّة والسيكولوجيَّة للتأثير على المنتظرين وصيانة المحتوى الداخلي لذواتهم خلال فترة الغيبة، وإن كانت قوّة التأثير متفاوتة من مرحلة لأخرى خلال عصر الغيبة.

إنَّ المنتظرين على اختلاف درجات وعيهم الديني ومستوى حماسهم النفسي لا يمكنهم الإفلات من الانفعال ـ بدرجة ما ـ بالروح الإيجابيَّة أو السلبيَّة لهذه العوامل المؤثرة وبالذات لحظة تعرضهم للوقائع الجاريَّة من

(١) غيبة النعماني ص ١٢٠.

(٢) كلمة المهدي ص ٤٧٢.

بشائر وفتن، وهي وقائع متوقعة، ومباغتة أحياناً، ومتعاقبة.

ويمكننا تحديد بعض هذه العوامل المؤثرة في سيكولوجيَّة المنتظرين وحصرها في عوامل أربعة، ونشير ـ قبل أيّ شيء ـ إلى أنَّ هذا التحديد اجتهاد شخصي قد لا يحيط بكل العوامل المؤثرة، لأنَّ قضيَّة ذات عمق ديني وتاريخي طويل كقضيَّة الانتظار قد يعجز باحث بمفرده عن اكتشاف كل العوامل والعناصر المؤثرة، وبالتالي تظل عوامل أخرى أقوى تأثيراً غائبة عن الإشارة، وبعيدة عن الرصد.

**ويحصر باحث هذه الدراسة عوامل التأثير النفسي في سيكولوجيَّة المنتظرين بما يأتي:**

١ـ العامل الأول: التأثير النفسي الأول مصدره دور نصوص الانتظار في التأثير على التركيبة الداخليَّة للمنتظرين، وهي النصوص التي شكلت ثقافة الانتظار وأسهمت في تكوين ثقافة المنتظرين وقيمهم واتجاهاتهم على امتداد فترة الغيبة.

٢ـ العامل الثاني: إيمان جماعة المنتظرين خلال فترة الغيبة بوجود مهدي حي غائب عن الأنظار.

٣ـ والعامل الثالث يتمثل في الحوادث والوقائع الجاريَّة على امتداد عصر الغيبة سواء كانت طبيعة إيجابيَّة تحمل في داخلها بشائر الخير أو ذات طبيعة سلبيَّة تحيط أفراد جماعة المنتظرين المخلصين بالفتن والانحرافات والمحن والابتلاءات الشديدة.

٤ـ ويتمثل العامل الرابع في دور النخبة المنتظرة من العلماء في القيام بمسؤولية التربيَّة العباديَّة لأجيال متعاقبة من المنتظرين في كل مكان، وفي كل فترة من عصر الغيبة بدءاً من منتصف القرن الثالث الهجري حتّى لحظة الظهور المبارك.

* * *

**العامل الأول: ثقافة الانتظار:**

**أ ـ مدخل لثقافة الانتظار:**

لكل جماعة ثقافتها وتقاليدها وعقيدتها وأفكارها وقوانينها ونظمها، وهذه الثقافة تطبع الجماعة بملامح معيَّنة وذاتيَّة خاصة وكيان معنوي متميز، ولا تشذ جماعة المنتظرين عن هذه القاعدة السائدة في حياة الجماعات، إذ يستمد الأفراد المنتظرون مكوناتهم الأساسيّة من الثقافة التي عاشوا في كنفها مئات السنين فتركت فيهم مميزات خاصة، وحفرت في ذواتهم بصمات دينية ونفسيَّة وحضاريَّة.

وطالما أنَّ المنتظرين جماعة متميزة فإنَّ مرجع ذلك هو الثقافة المتميزة التي يمكن تسميتها " بثقافة الانتظار " التي نستمدها من كل الطرق والمصادر التي تناولت مسألة " عقيدة المهدي " وما ترتب عنها في الواقع التاريخي من جدل وتفاعلات ثقافيّة وعقيديَّة وسياسيَّة ونفسيَّة متراكمة ما تزال قائمة في وجدان جماعة الانتظار حتّى الآن.

وقد اشتملت ثقافة الانتظار على مفاهيم وأفكار وأحكام تخص عقيدة الإنسان المسلم في المهدي المنتظر، وكذلك على بعض القيم والفضائل والمواقف السلوكيَّة اللاّزمة اتخاذها شرعاً، وعلى حقائق تاريخيَّة ارتبطت بهذه العقيدة الدينيَّة ذات الطابع الغيبي، وأيضاً على أخلاق وآداب وممارسات عباديَّة خاصة، فهذه جميعاً تمثل المنظومة " الثقافية " التي توجه المنتظرين خلال فترة الغيبة، وهي أيضاً تشكل نسقاً فكريّاً وقيمياً يسهم في التكوين النفسي للمنتظرين خلال هذه الفترة، ويؤثر في تفكير جماعة " المنتظرين " ومشاعرهم وأنماط استجاباتهم السلوكيَّة في الحياة كما أشرنا سابقاً، وكما سيأتي ذلك في الفصل الأخير.

**ب ـ مصادر ثقافة الانتظار:**

ولثقافة الانتظار التي هي ثقافة الإسلام الأصيل ثلاثة مصادر هي:

### ١ـ النص الإسلامي:

ليس ثمة شيء في ديننا إلاَّ مرتبط بالنص، فكل ما نملكه اليوم من عقائد وأحكام ومعرفة جاءنا عن طريق النص ـ قرآناً أو حديثاً أو رواية للأئمة الهداة ـ، فالنص هو أحد المصادر العلميَّة المهمة لثقافة المنتظرين.

تنطبق هذه القاعدة على ثقافة الانتظار التي جاءتنا بالتأكيد عن طريق النص وبخاصة نص الحديث، فكل ما ارتبط بمسألة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من عقائد وأفكار ومواقف ووقائع عرفناه بواسطة هذا الطريق.

إنَّ النص هو المصدر الأول الذي بدأت به ثقافة الانتظار نسج خيوطها وتكونها في عقل المسلم وممارسته، ولولاه لتعذَّر علينا كمسلمين الإيمان بقضيَّة انتظار مهدي موعود والدفاع عنها، وسوف يجد القارئ فعاليَّة النص الإسلامي في تكوين ثقافة الانتظار لدى المنتظرين على امتداد تاريخ طويل سواء قبل بدء الغيبة أو بعدها.

ويتجسد هذا المصدر في أكثر من أسلوب يغذي عقلية المنتظرين ويمدهم بالمعرفة والثقافة والتوجيه، فهناك الحديث النبوي، وهناك الروايات الصادرة و المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهناك الأدعيَّة، والزيارات، والمناظرات، والمكاتبات أو المراسلات، والردود على الأسئلة والشعر، وهناك التفسير للنص القرآني.

وقد حشد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام من أهل بيته الكرام والصحابة النجباء حشداً هائلاً من النصوص والروايات التي تبلغ الآلاف في مصادر المسلمين العقيديَّة لتوضيح مسألة المهدي وتفاصيلها والإيمان بها والدفاع عنها، حيث انطلقت البشارة بهذه العقيدة من عصر الرسالة ثم تتابعت الروايات التدعيمية من الأئمة على امتداد ثلاثة قرون هجريَّة متتابعة، وذلك بغرض زيادة الوعي بها وتحديد علامات الإمام المهدي عليه السلام وصفاته الشخصيَّة، وضرورته التاريخيَّة في حياة البشريَّة،

وتعيين الحوادث والوقائع الجاريَّة في عصريّ الغيبة والظهور حتّى الوصول بالدولة الإسلاميَّة العالميَّة إلى مرحلة التأسيس والبناء والسيطرة والتمكين في الأرض.

**٢ـ الواقع التاريخي:**

والمصدر الآخر لثقافة " المنتظرين " هو الواقع التاريخي سواء من حيث تداول النص تاريخيّاً من عصر الرسالة حتّى بدء فترة الغيبة ثم العيش فيها فيما بعد، أو من حيث ممارسة الأئمة فعلياً لتجربة الغيبة على فترات متدرجة لمنع إحداث صدمة نفسيَّة كبيرة لدى الشعور الشعبي العام، ولتكوين حالة نفسيَّة إيجابيَّة تمكن المنتظرين من تقبلها نفسيّاً وعقليّاً.

ويشمل هذا الواقع تاريخ الغيبة وتفاعلاتها، والأحداث التي وقعت فيها وتسجيل مجمل المواقف ـ المؤيدة أو المعارضة ـ لفكرة الإمام المهدي عليه السلام والغيبة معاً، ثم الظروف اللاحقة التي مرّت بحياة المنتظرين بعد حدوث الغيبة.

وفي هذا الواقع التاريخي القائم حتّى الآن تشكّلت أجزاء من ثقافة المنتظرين وقويت عناصرها، وتشعّبت جذورها في الوجدان الشعبي للمنتظرين، وما تزال حركة التفاعل بين أطراف هذا الواقع تتدفق في هذا الوجدان.. تقوى حيناً وتضعف حيناً آخر.

إنَّ عقيدة " الإمام المهدي عليه السلام " مسألة دينيَّة وعقيديَّة وإنسانيَّة وتهم المسلمين جميعاً، لهذا تجسَّدت في التاريخ وظهرت في أحداث متعاقبة، وبالتالي يمكننا القول بأنَّه لا شيء في هذه العقيدة إلاَّ وله علاقة بالتاريخ، فكل ما بأيدينا من أدعية ورسائل، وروايات ومكاتبات ونصوص وحوادث ندركه بالرواية التاريخيَّة أيضاً عن هذه العلاقة بين هذه العقيدة والتاريخ، من هنا تعتبر التاريخ مصدراً لمعرفتنا بهذه العقيدة.

ببساطة نقول إنَّ ثقافة الانتظار ثقافة جدليَّة تتحرك من نقطة " النص "

إلى نقطة "الواقع" أو بالعكس، ولهذا امتزج النص والواقع في تكوين التاريخ الإسلامي، وأصبحا أهمّ المصادر المؤثرة في سيكولوجيّة المنتظرين.

وانطوى الواقع التاريخي كذلك على استجابة التحدي التي أبداها المنتظرون نتيجة الهجوم العنيف التي قام بها المعارضون لعقيدة الإمام المهدي عليه السلام، وعقيدة الانتظار معاً، فقد أدّى هذا النقد والاستهجان بالفكرة وتسفيه منطق المؤمنين بها إلى ردود فعل صلبة لدى أفراد وجماعات المنتظرين، إذ تصدّى هؤلاء المنتظرون لفكر المعارضين وقاوموه، وصنعوا من واقع المقاومة التاريخيَّة فكراً وتراثاً ثقافياً وعقائدياً ساعد على حماية "الفكرة" ورعايتها على امتداد زمن ليس بقصير.

وفي أثناء هذه المقاومة نشأ تفاعل حي ونشط بين وعي "المنتظرين" ومعاناتهم الفكريَّة والوجدانيَّة والقيميَّة وبين توجيهات الإسلام وتعليماته، مما أدّى إلى تقوية "استجابة" التحدي لأنَّ ثقافة الانتظار هي جزء أصيل من ثقافة الإسلام العامة، وبالتالي لا يتفاعل مع ثقافة الانتظار سوى إنسان يؤمن بأنَّ قضيّة الإمام المهدي عليه السلام في جذورها ذات طابع ديني.. فينقاد مع نصوص المشرع التثقيفيَّة عن هذه المسألة بوازع أو بحرارة الإيمان الديني، فتقوى قدرته على الصمود والمقاومة لأنَّه امتلك الوعي "بمفاهيم عقيدة الانتظار" وتمكن من الرد على من قطع صلته بالاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام.

هذا الواقع "الحواري" القائم على وعي بموقف الإسلام الأصيل من قضيّة الإيمان بالمهدي يولّد استجابة التحدي "الواعيَّة" ودليل ذلك أنَّ المنتظرين ما يزالون حتّى اليوم يملكون هذه القوَّة في المقاومة معتمدين على أنفسهم.

يقول نص يعبر عن الحالة النفسيّة للمنتظرين:

"اللهم طال الانتظار وشمت بنا الفجّار، وصعب علينا الانتصار،

اللهم أرنا وجه وليك الميمون في حياتنا "[1].

وفي نص آخر يقول: " فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعمار، لم أزدد فيك إلاّ يقيناً، ولك إلاّ حباً، وعليك إلاّ متكلاً ومعتمداً، ولظهورك إلاّ متوقعاً ومنتظراً، ولجهادي بين يديك مترقباً "[2].

إذن هذا التحدي التاريخي جعل "المنتظرين " أكثر قدرة على الصمود، بل إنَّ ذلك حملهم على تقديم " ثقافة الانتظار " كتيار ثقافي واضح في مسارات الثقافة العربية الإسلاميَّة.



إنَّ ثقافة الانتظار سواء كانت مستمدة من نص ديني أو مأخوذة من واقع تاريخي تعتبر عنصر توجيه للشخصيَّة المنتظرة، حيث تركت بصماتها في التركيبة السيكولوجيَّة والعقليَّة للمنتظرين[3]، وحفرت بصمات واضحة في كل واحد منهم، وإن تفاوت الوعي، والمعاناة، و درجة الإيمان العقيدي، حتّى يمكن القول إنَّ هذه الثقافة أكسبت المنتظرين مقومات التمايز عن الآخرين وساعدت في تحديد السمات العامة لهم خلال فترة الغيبة الكبرى كالترقب والحماس الديني والإحساس بالتمايز، والقناعة العقليَّة الواعية بأن المستقبل " لهم ".

فثقافة الانتظار وحّدت بين المنتظرين وجماعاتهم مهما تباعدت مسافات الزمن والمكان، وتباينت ظروف الواقع الموضوعي، ورسمت لهم قسمات مشتركة في الملامح وطرائق التفكير والممارسة السلوكيّة.

إنَّ الهوية الذاتيَّة لجماعات " المنتظرين " وطموحاتهم إحساس

---

(١) كلمة المهدي ص ٤٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٨.

(٣) انظر العامل الرابع من العوامل المؤثرة في سيكولوجية المنتظرين ( الفصل الرابع ).

موحد.. إحساس بالعزة، والاستقلاليّة، والاستعلاء على القهر ومتاعب الزمن، إذ ربطت ثقافة الانتظار المنتظرين أينما يكونوا بالجذور والمقومات الأساسيّة للإسلام الأصيل، كما علمتهم الزهو بواقع تاريخي ممتد، وبدرجة انفتاح نشطة على الآخرين، وبقدرة " المنتظرين " على التجديد والإضافة، ولهذا تمكنت هذه الثقافة من مساعدة " الذات المنتظرة " على التميز وحفظ الهويّة، والارتباط بالأصالة الدينيّة رغم حركة الانفتاح على الآخرين من جهة، وضراوة حركة الهجوم ضد عقائد المنتظرين وثقافتهم الدينيّة.

لقد أشادت النصوص الإسلاميّة ـ وهي قلب ثقافة الانتظار وروحها ـ بالمنتظرين الصامدين وبما يتمتعون به من خصائص السلوك العبادي التي تحدد لهم المعالم الأساسيّة لشخصيتهم الدينيّة، وتستهدف هذه الإشادة بناءً عقائدياً وسيكولوجياً للمنتظرين في فترة الغيبة.. فترة المحنة الحضاريّة للمسلمين.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبته، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ "[1].

تقول هذه النصوص إنَّ الإمام علي عليه السلام قال: " إنَّ أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسواد في بياض "[2]، أي بكلام مكتوب بمداد أسود في صفحات بيضاء.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: " يخرج بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه، إلاَّ المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا،

(١) يوم الخلاص ص٢٢٣: كذلك المحجة فيما نزل في القائم الحجة / للسيد هاشم البحراني ص ١٧.

(٢) يوم الخلاص ص ٢١٩ نقلاً عن مصادر أخرى / كمال الدين للصدوق ص ١٢.

وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه "[1].

ونقل عن الإمام السجاد قوله عليه السلام لأبي خالد:

" إنَّ أهل زمان غيبته والقائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان لأنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً "[2].

وفي نص آخر قال: " من بقي على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد "[3].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: "وسيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين رجل منكم فقالوا: يارسول الله، نحن كنّا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن، فقال "إنّكم لو تحملون كما حُملوا لم تصبروا صبرهم"[4].

هذه النصوص وغيرها هي جزء من ثقافة الانتظار المؤثرة في التركيبة السيكولوجيَّة و الذهنيَّة للمنتظرين، وفي ذلك إشارة إلى رفع المعنويات وشحذ النفوس بالأمل والثقة واليقين والاستعلاء على واقع الظلم ومرارة القهر، وتجذير الإحساس بالأمان، وتعميق مبدأ الثبات على ولاية أهل البيت عليهم السلام والإيمان بقيادتهم الروحيَّة لا سيما الإمام الغائب عجّل الله فرجه الشريف، وقد أفاضت هذه النصوص في تمجيد المنتظرين[5] وتسفيه

---

(١) يوم الخلاص ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣ / معجم أحاديث المهدي ج٣ ص ١٦٣.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٣ / معجم أحاديث المهدي ج٣ ص ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ص ٢٢١، غيبة الطوسي ص ٤٥٧، ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨١.

(٥) امتلأت المصادر الإسلاميَّة بالنصوص الكثيرة التي جاءت في فضل المنتظرين ومن هذه المصادر البيان للكنجي ص ١٠٩، ومعجم أحاديث المهدي ج١ ص ١٩٥، ج٣ ص ٧١، =

المنافقين[1] وأعداء جماعة الانتظار.

إنَّ نصوص ثقافة الانتظار لها دلالات وآثار سيكولوجيَّة هامة عرفنا بعضها في مواقع متفرقة من دراستنا، وسيعرف القارئ الكريم أهم الأبعاد السيكولوجيَّة لعقيدة انتظار الإمام المهدي عليه السلام في الفصل الأخير.

ليست هذه النصوص معزولة عن الواقع الإنساني ولا تتحرك في فراغ، وإنَّما هناك فئة مستضعفة من المؤمنين أو طائفة مقهورة منهم قابضة على دينها في عصر صعب بَعُدَ فيه الوجدان الشعبي للناس عن الدين.

ومن هنا يمكننا التأكيد بأنَّ ثقافة الانتظار بنصوصها الدينيَّة أو بتجارب المنتظرين مع غيرهم في الواقع التاريخي، تحقق قدراً معقولاً من التوازن الداخلي للشخصيَّة المنتظرة ولو في حدوده الدنيا، بيد أنَّ هذا القدر المحدود من التوازن السوي يجعل المنتظرين فئة مستعلية على الواقع المظلم ومستعدة للتجاوب مع المضمون الروحي لهذه العقيدة.

**٣ـ اجتهادات المنتظرين وإبداعهم المتجدد:**

المصدر الثالث لثقافة الانتظار هو اجتهادات العلماء والنخبة المفكرة من أفراد جماعة المنتظرين على امتداد فترة الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام، وسوف نناقش ـ فيما بعد ـ أثر وفعالية هذا المصدر الثقافي في بناء التكوين النفسي والعقلي للمنتظرين كعامل مستقل على حدة في نهاية هذا الفصل.

العامل الثاني: وجود "الإمام" المنتظر عليه السلام حياً:

---

= ٧٩، البرهان للمتقي الهندي ص ١٥٩، ١٦٣، والقول المختصر ص ٨٣ وعقد الدرر للسلمي المقدسي ص ١٦٣، وعلامات يوم القيامة لابن كثير الدمشقي ص ٣٠، وأحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل ص ٧١، ٧٦ وغيرها كثير.

(١) وتقابل نصوص تمجيد المنتظرين نصوص كثيرة تسفه المنافقين والفسقة والأئمة المضلين وحكام الجور وعلماء السوء / انظر معجم أحاديث المهدي ج١ ص٢١، ٣٢٠، ٢٠٨ وغيرها من الصفحات.

كل حركة " قائمة " في مجتمع ما أو ينتظر وجودها تحتاج لقيادة حكيمة راشدة، وفعَّالة توجه أعضاءها، ويصعب تصور نجاح حركة بدون وجود قيادة تدبر أمرها.

**١. مفهوم القيادة:**

القيادة ـ كما يعرّفها علماء الاجتماع ـ هي ظاهرة إنسانيَّة تجسدها أشكال العلاقات ومواقف السلوك التي ارتضاها أفراد الجماعة لأنفسهم وفق مبادئ ونظم وقيم الجماعة المحددة في وثيقة مكتوبة أو متداولة بين أفرادها في سلوك اجتماعي موروث أو منقولة في أنماط من التقاليد والعادات والأخلاق الاجتماعيَّة.

**٢. عناصر الجماعة الإنسانية:**

وإذا ما استقرأنا واقع " الحياة " وجدنا أنَّ كل جماعة إنسانيَّة تنطوي حياتها على عناصر أساسيَّة هي:

١. وجود قيادة تمارس نفوذها في وسط بيئة اجتماعيَّة، وقد تكون هذه القيادة متجسدة في أشكال مختلفة، فرديَّة أو اجتماعيَّة، ديكتاتوريَّة أو ديمقراطيَّة، مدنيَّة أو عسكريَّة أو غيرها.

٢. وجود أتباع وهم عادة أفراد الجماعة الذين يتأثرون بالقيادة ويقدمون لها الولاء والطاعة، والاستجابة الكاملة لأوامرها.

٣. إقليم أو منطقة جغرافيَّة ( مكان محدّد ) قريَّة، مدينة أو مجتمع بأكمله أو بلد معيَّن.

٤. توفر نظام اجتماعي كالموروثات السلوكيَّة السائدة في حياة الجماعة أو قانون معين ( دستور مثلاً ) أو وثيقة اجتماعيَّة وقانونيَّة تنظم شئون العلاقة بين القائد والأتباع وتحدد بينهم الواجبات والحقوق.

وجماعة " المنتظرين " التي لها معاناتها التاريخيَّة الطويلة تحتاج

كغيرها من الجماعات الإنسانية للقيادة، لتلقي بظلالها الإيجابيَّة على التركيبة السيكولوجيَّة سواء من شعور المنتظرين بالانتماء والوحدة، أو طمأنينة النفس أو من حيث تجاوز الإحساس بالحيرة المتوقع ظهوره كمشكلة نفسيَّة في فترة الغيبة، أو حسم الجدل الداخلي المعتاد في كيان كل جماعة أو حركة اجتماعيَّة حسماً موفقاً أو إمداد أفراد الجماعة المنتظرة بالأمل والصبر والاستقامة على الطاعة، والقدرة على مواجهة صعاب الزمان وشدائده، وتزويد النفس المنتظرة بشحنات روحيَّة لرفع معنوياتها خلال فترة الغيبة.

وقد أدرك المشرع الإسلامي أهميَّة القيادة وضرورتها في حياة الجماعة المؤمنة في كل زمان، وأكدت نصوصه الكريمة على أهميّة معرفتها في مجتمع الغيبة والتمسك بها لضمان تحقيق أفضل ما أمكن ذلك، لهذا أشارت كتب المسلمين ومصادرهم الدينيَّة والثقافيَّة إلى ضرورة ارتباط أفراد الجماعة المؤمنة بقيادة مستقيمة.

تقول بعض هذه النصوص ما يلي:

" من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة "[1] وقد تكرر هذا الحديث النبوي في مصادر المسلمين، وفي نص آخر يشدد على أهميَّة معرفة " المسلم " لإمام زمانه، قال الإمام الصادق: " من بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة "[2].

وركّزت نصوص أخرى على عدم خلو الأرض من حجة [3]، وأنَّه " لو كانت الأرض بلا حجة لساخت "[4] وأنَّ لو " لم يبق في الأرض إلاَّ اثنان

(١) غيبة النعماني ص ٨٢، إلزام الناصب ج١ ص ٧ ـ ٩.

(٢) غيبة النعماني ص ٨٠.

(٣) كلمة المهدي ص ٥٠٧، غيبة النعماني ص ٨٩، مصادر أخرى كثيرة.

(٤) غيبة النعماني ص ٨٧ ـ ٨٩، إلزام الناصب ج١ ص ٤ ـ ٩.

لكان أحدهما الحجة "[1] وأن يكون في الأرض " حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور "[2].

" وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض، كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء "[3]، كان هذا النص جزءاً من رسالة وجهها الإمام الحجة عليه السلام لسفيره محمد بن عثمان العمري.

**الأهميَّة السيكولوجيَّة لوجود الإمام عليه السلام:**

سوف نستنطق هذه الأهميَّة، وضرورة وجوده من نصوص المشرع الإسلامي أولاً، ومن عبارات " المنتظرين " أنفسهم.

سبق لنا قبل قليل إيراد بعض النصوص التي تؤكد وجود حجة لله في الأرض، ولا حاجة لنا بإعادتها.. لكن لنتأمل نصاً آخر.

سأل جابر بن عبدالله الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا السؤال: " هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟ ".

فقال: " إي والذي بعثني بالنبوة، إنَّهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلَّلها السحاب "[4].

يستوقفنا في النص الأخير تشبيه حسي لتقريب المعنى في ذهن القارئ، فالمهدي الغائب عن أنظار الناس له فائدة في حياة الأمة بنور ولايته كما تخترق الشمس حجاب " السحب " وتصل طاقتها الضوئيَّة إلى جميع الكائنات الحيَّة حتّى لو كانت في قاع البحار والمحيطات والأنهار.

---

(١) غيبة النعماني ص ٩٠، ٩١.

(٢) إلزام الناصب ج١ ص ٤٢٨.

(٣) غيبة الطوسي ص ٢٩٢، الاحتجاج ج٢ ص ٤٧١، كلمة المهدي ص ٢٢٥.

(٤) كامل سليمان، يوم الخلاص ص ١٣٧ نقلاً عن مصادر أخرى.

إنَّ الشمس تشع " الضوء " و " الحرارة " وكلاهما طاقة طبيعية متجددة يستفيد منها كل الكائنات الحيّة.

فالشمس تمدنا بطاقة " ضوئية " تسبب لنا:

١ـ الإحساس " بالرؤية ".

٢ـ والضوء عنصر هام لحياة الكائنات الحيَّة المختلفة.

٣ـ كما أنَّ النبات يمتص الطاقة الضوئية، ويتم بواسطة هذا الامتصاص عملية التمثيل الضوئي، وبذلك تتكون المواد الكربوهيدراتيّة التي يستخدمها النبات لبناء المواد الغذائيّة من بروتينات ودُهون، فالنبات إذن يختزن الضوء بعملية البناء الضوئي على شكل طاقة متجددة وينتج الطعام.

٤ـ ويخترق الضوء " المياه " ليصل إلى النباتات والأعشاب، والكائنات الحيَّة الموجودة في قاع الأنهار والبحار.

وكذلك للحرارة فوائد مماثلة، يدركها البسطاء من الناس.

إذن أراد النص الكريم أن يشبِّه ـ بمثال حسي حي من البيئة ـ حاجة الأمة للإمام الغائب كحاجة الناس لطاقة الشمس المجَلَّلة بالسحاب، فكلاهما ضرورة، وبالتالي أجاب النص على الذين تساءلوا عن فائدة " إمام " غائب؟ وما الحكمة من وجوده؟

فكما أنَّ " للشمس المجللة بالسحاب فوائد، كذلك " للإمام المحجوب عنَّا فوائد عقيديَّة وإيمانيَّة تربويَّة وسيكولوجيَّة للأمة، وهي فوائد ذات تأثير إيجابي على التركيبة العقليَّة والنفسيَّة للمنتظرين، لكن هذه الفوائد لا يتذوقها من لا يؤمن بفكرة الانتظار ولم يعايشها كتجربة شعورية وسلوكيَّة وعباديَّة.

* * *

ومن هذه الفوائد المؤثرة ما يأتي:

**أولاً: الإمام المهدي عليه السلام نور وهداية:**

شاء الله تعالى أن جعل " الإمام المهدي عليه السلام " نوراً للمجتمع، وهو طاقة " هدايَة " للأمة واستقامة على الحق، فكما يتحرك " النبات " صوب ضوء الشمس كذلك تتحرك الأمة المؤمنة صوب هذه الولاية لتستمد منها نور " الهداية " والولاء، والانتماء الديني، والارتباط بقيادته، وقد أكدت نصوص المشرع الإسلامي على الثبات على الولاية لأهل البيت واعتبرت الإيمان " بالمهدي " والتسليم له شرطاً لقبول أعمالنا.

قال الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه:

" ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزَّ وجلَّ من العباد عملاً إلاَّ به، فقال أحدهم: "بلى".

قال الإمام عليه السلام: شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده والإقرار بما أمر الله، و الولاية لنا والبراءة من عدونا ـ يعني الأئمة ـ والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم عليه السلام[1] ".

وفي أدعية " المنتظرين " وزياراتهم " يتداولون هذا المعنى ويدركونه ويتفاعلون معه، يقول نص من زيارة المنتظرين للإمام الحجة:

" أشهد أنَّ بولايتك تقبل الأعمال وتزكى الأفعال، وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات، فمن جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله وصدقت أقواله "[2].

وفي نص آخر: " الأعمال موقوفة على ولايتك، والأقوال معتبرة بإمامتك، من جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله وصدقت أقواله،

(١) غيبة النعماني ص١٣٣.

(٢) كلمة المهدي ص٤٧٧.

وتضاعف له الحسنات، وتمحى عنه السيئات "[1].

**ثانياً: تربية " كوادر " المنتظرين على القيم الجهادية:**

من ذلك الثبات واليقين وعدم الارتياب، وتوحيد الذات بين داخلها وخارجها، وتنمية حاجة " المؤمن " لحب الإمام، والاستعداد لنصرته، وتجديد البيعة له، وجاءت عبارات "المنتظرين" مجسدة لهذا التفاعل.

تقول عباراتهم: " أشهد أنَّك الحق الثابت الذي لا عيب فيه، وأنَّ وعد الله فيك حق لا أرتاب لطول الغيبة وبعد الأمد، ولا أتحير مع من جهلك وجهل بك، منتظر متوقع لأيامك "[2].

" اللهم انفعنا بحبه، واحشرنا في زمرته، وتحت لوائه "[3].

" اللهم اجدد له في هذا اليوم، وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعة له في رقبتي "[4].

" اللهم كما جعلت قلبي بذكره معموراً فاجعل سلاحي بنصرته مشهوراً، وإن حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً "[5].

" اشهد يا مولاي أنَّ مقالي ظاهره كباطنه وسره كعلانيته، وأنت الشاهد عليَّ بذلك، وهو عهدي إليك، وميثاقي المعهود لديك "[6].

**ثالثاً: وجود الإمام عليه السلام امتداد لنظام الولاية:**

إن وجود الإمام تذكير للناس بنظام الولاية والحكم في الإسلام وبقائه خطاً أصيلاً ممتداً في الحياة الدينيَّة والسياسيَّة للمسلمين، وقد عبَّرت عبارات

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦٦.
(٢) المصدر السابق ص ٤٧٧.
(٣) المصدر السابق ص ٤٦٩.
(٤) المصدر السابق ص ٤٦٢.
(٥) كلمة المهدي ص ٤٧٢.
(٦) المصدر السابق ص ٤٦٩.

الإمام المهدي عليه السلام في أدعيته عن ضرورة إشباع الحاجة " للرئاسة " وحثث على التفكير في أمر الدولة الإسلاميَّة، إذ ذكرت أدعيته عبارات "الحدود المعطلة والأحكام المهملة "[1] و " إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله "[2] و " استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله "[3] وألفاظ أخرى معبرة عن نظام الولاية.

ولا يضير هذا المبدأ غفلة الناس عنه أو عدم اعترافهم به أو محاربتهم له، ، إذا قضى الله عزَّ و جلَّ أنْ يكون له حجة في الأرض، ولولا ذلك لساخت الأرض بمن عليها كما جاء في روايات كثيرة.

**رابعاً: تفقد أحوال الناس:**

تقول الروايات إنَّه عليه السلام مشغول بهموم الناس وآلامهم وآمالهم ومن أمثلة ذلك:

**١ـ يشهد مواسم الناس:**

يحضر الإمام تجمعات الناس ويتفقد مواسمهم وأحوالهم ويعيش في أوساطهم ليتعرف على مشاكلهم العامة، ويقول مقطع من رواية إنه يرى الناس ولا يرونه والمعنى الظاهري لهذا الجزء من الرواية أن نمط التفاعل يكون مباشراً بينه وبين الناس، فيحس بمشاكلهم ويشارك في حلها دون أن يعرفونه. . أي تتحقق رؤية شخصه دون أن يعرفوا " هويته الحقيقة ". يقول الإمام الصادق ( ع ):

" إن للقائم غيبتان يشهد في احداهما المواسم يرى الناس ولا يرونه "[4].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٩.

(٢) من دعاء الافتتاح المنسوب للإمام المهدي الحجة عليه السلام.

(٣) المصدر السابق.

(٤) غيبة النعماني ص ١١٧.

**٢ـ مراقبة أعمال المنتظرين :**

ويتخذ تفقد أحوال المنتظرين شكلاً آخر، فطبقاً لاعتقاد الشيعة العام الذي جاء في روايات كثيرة تضمنتها المصادر الدينية فإن الإمام يراقب أحوال وأوضاع شيعته بشكل مستمر في زمن الغيبة، ويطلع على أعمالهم بإلهام من الله تعالى، وبحسب تعبير الروايات تُقدَّم للإمام المهدي عليه السلام كل أسبوع صحيفة أعمالهم فيطلع على أعمالهم وأقوالهم [١].

إن الإمام بمقتضى هذه النظرة يتفقد أحوال شيعته وتعرض عليه أعمالهم وينظر فيها، فيفرح إذا كانت صالحة ويتألم حين تكون سيئة لأنها تكون سبباً لاستمرار غيبته [٢].

إذا آمن " المنتظرون " بهذه النظرة، فإن لهذا الإيمان القلبي الطوعي دلالة تربوية ونفسية وهي أن يعملوا على تحسين سلوكهم العبادي ليرضى الإمام عنها، والارتقاء بمستوى " الذات " المؤمنة المنتظرة ليكون عملها في مستوى قبول العمل وتحريرها من الإحساس المفرط بالإثم.

**٣ـ الدعاء والاستغفار للمنتظرين :**

يقوم الإمام المهدي في فترة غيبته بأدوار وتكاليف عبادية تهدف لحماية " المنتظرين " ودفع البلاء عنهم كالدعاء والاستغفار لهم، فالإمام الحجة ـ كقائد روحي ـ يمثل امتداداً لخط النبوة، وهو لذلك أمان لأهل " الأرض " كما عبر في إحدى رسائله [٣].

وقد أكثر الإمام عليه السلام من الدعاء للمؤمنين بالفرج وتجاوز الضيق وتجنب اليأس، والمشكلات الإنسانية كالفقر والسقم والجفوة والغربة،

---

(١) كتاب بقية الله / بحث الأستاذ جعفر السبحاني ص ٤١ نقلاً عن مصادر أخرى.

(٢) كتاب المحجة للسيد هاشم البحراني ص ١٢٤.

(٣) انظر كلمة المهدي ص ٢٢٥.

والبعد عن الدين[1] والحيرة والاضطراب والتشكيك.

إن الدعاء وسيلة حيّة للتعبير عن هموم المؤمنين وآمالهم وتفقد أحوالهم في زمن الغيبة الصعب.

**خامساً: حلّ مشكلة التيه والحيرة والصّراع النفسي:**

إن وجود الإمام المهدي عليه السلام حيّاً يرزق كما تصورته الشيعة الإمامية وعدد كبير من علماء الحديث عند أهل السنة هو وضوح للرؤية الدينية والسياسية لمسألة الإمامة في عصر الغيبة، وحل لهذه المشكلة التي تواجه المسلمين في هذا العصر.

لقد ترتب عن هذا الوضوح في التأكيد على " مهدي " منتظر موجود فعلياً، حل " للصراع " المتوقع نشوئه في النفس الحائرة، التائهة التي يؤمن بالروايات القائلة بأن: " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ".

هذه النفس المؤمنة بهذه الرواية وغيرها لا تجد بين " الناس " إماماً روحياً وسياسياً يحررها من هذا التيه والحيرة، إنها مجذوبة بين دفع هذه الروايات وبين الواقع البائس الذي لا تجد فيه إماماً تعرفه وتطمئن إليه فتؤمن " بإمامته " وبالتالي يموت الفرد وفق نص هذه الرواية ميتة جاهلية.. هذا التجاذب يترتب عليه صراع غير سوي في داخل النفس.

إن الإيمان " بمهدي " موجود يعيش بين الناس يراهم ويرونه لكنهم لا يعرفونه بالاسم والتشخيص يساعد على حل هذا الصراع وينزع عن النفس أرقها، فإذا آمن المسلم بالمهدي الموجود حياً عرف إمام زمانه وأطاعه، وأذعن لقيادته، ولم يمت ميتة " جاهلية ".

هذا بخلاف شخص مسلم آخر لا يؤمن " بالمهدي " الحي، نجده

---

(١) انظر المصدر السابق مثلاً ص ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٦٢، وكذلك مصادر أخرى كالاحتجاج ج٢.

يتفحص البشر من حوله فلا يجد فيهم من تتوفر فيه شروط الإمامة فتزداد حيرته في التوفيق بين مضمون الروايات وبين عجز الواقع الإنساني عن تقديم نموذج أعلى للإمامة الروحيّة والسياسيّة، وبذلك تظل نفسه نهباً لحالة صراع بين ضرورة معرفة " إمام زمانه " وبين إخفاق الواقع عن تحديده بدقة تناسب الشروط الدينيَّة.

وشبَّه الإمام الباقر عليه السلام هذه الحيرة بشاة تائهة أنكرت راعيها وقطيعها فبقيت متحيرة، تقول الرواية:

"من دان لعبادة الله يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله تعالى، فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير، والله شان لأعماله، ومثله كمثل شاة من الأنعام ضلَّت عن راعيها أو قطيعها فتاهت ذاهبةً، وحارت يومها، فلمّا جاءها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فحنت إليها، واعترت، فباتت في ربضها، فلمّا أصبحت وساق الراعي قطيعه، أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بسرح غنم مع راعيها، فحنت إليهم واعترت بها، فصاح بها راعي الغنم: أيها الشاة الضالة المتحيرة، فالحقي براعيك وقطيعك. وهجمت ذاعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها إلى دينها، فبينما هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضياعها فأكلها، وهكذا يا بن مسلم من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عزَّ و جلَّ أصبح تائهاً متحيراً ضالاً، إن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق "[1].

أمّا إيمان المنتظر "للمهدي" الحي الموجود ومعرفته بدقة يحرره من هذا الإحساس لأنَّ الروايات لم تعد تنطبق عليه، حيث يرى نفسه مؤمناً بإمام حي يعرفه تمام المعرفة ويتفاعل معه فتزول الحيرة وتستريح النفس من شكوكها وتيهها، ويختفي التناقض بين النص والواقع فيتجنب الصراع والتأزم الداخلي.

---

(١) غيبة النعماني ص ٨٠ ـ ٨١.

لقد انتبه المشرع الإسلامي لهذا الإشكال المتوقع حدوثه في فترة الغيبة وعالجه بتحديد إمام " بعينه " على نحو دقيق هو " الإمام الحجة ابن الحسن" آخر الأئمة الاثني عشرعليهم السلام الذي آمنت به الشيعة الإماميَّة واعترف به جمع من علماء أهل السنة [1].

وهكذا فإنَّ الإيمان بوجود مهدي " حقيقي " مولود فعلياً يولِّد لدى المنتظرين شبكة من الاحساسات والآثار والنتائج التربوية بسبب قيام المهدي والمنتظرين بأدوار ومسؤوليات عباديَّة.

وقد اكتفينا بهذا القدر من هذه الآثار والنتائج الإيجابيّة لأنّنا سنعالجها باستفاضة في فصل قادم.

## العامل الثالث: الحوادث والوقائع الجاريَّة:

عصر الغيبة ـ كغيره من العصور التي يعيشها الإنسان ـ ساحة تاريخية للحوادث والوقائع الجارية، وقد تكون هذه الحوادث نبوءات مستقبليَّة استقرأها النص الإسلامي قبل أن تقع، وأخبر عن وقوعها على امتداد فترات متتاليّة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، ويتطابق فيها النص الإسلامي والواقع معاً،

---

(١) من علماء أهل السنة الذين شاركوا الشيعة الإمامية في الاعتقاد بولادة الإمام المهدي عليه السلام وبقائه حياً يعيش بين الناس مستوراً عن الأنظار ابن الصباغ في كتابه ( الفصول المهمة ص ٢٨١ـ٢٨٢، والكنجي الشافعي في كتابه ( البيان في أخبار صاحب الزمان ) ص١٤٨ـ١٦٠، والشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر ( المبحث ٦٥) والحنفي سليمان القندوزي في ينابيع المودة ج٣ ص٤٥٢، وشمس الدين محمد بن طولون في كتابه (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ص١١٣، ١١٧، ١١٨)، والعلامة سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص ص٣٢٥، وابن حجر في كتابه (الصواعق المحرقة ص ٢٠٨ )، ومؤمن الشبلنجي صاحب كتاب ( نور الأبصار ) الباب الثاني ص١٥٢، وعدد كبير أحصى صاحب كتاب المهدي المنتظر في نهج البلاغة مائة عالم سني اعترفوا بولادة الإمام المهدي، ويصعب تواطؤ هذا العدد على الكذب، مما يبعث الطمأنينة في النفوس.

فالنص يتحدث عن نبوءة مستقبليَّة فتحدث في شكل وقائع قد تكون بشارة خير أو فتنة وظلماً وانحرافاً، ولهذا يتحرك نص " النبوءة " الإسلاميَّة في اتجاهين متعارضين كلاهما يؤثر على سيكولوجيَّة المنتظرين بحسب نوع الواقعة ونمط النبوءة وطريقة تعامل " المنتظرين " ، معها والظروف المحيطة بهم.

لقد امتلأت الساحة التاريخيَّة للمسلمين ـ بعد صدور النص وحدوث الغيبة ـ بحوادث ووقائع إيجابيَّة وسلبيَّة كانت تتعاقب حيناً، وتتزامن وتجتمع حيناً آخر لأن الحوادث لا تحدث في رتابة أو نمطيَّة، ولا بد للمجتمعات المسلمة من الاستجابة الكاملة للسنن الإلهيَّة التي تضمنتها النصوص الإسلاميَّة، فإذا كان نمط الواقعة التاريخيَّة بشارة إسلاميَّة يصب خيرها في مجرى التقدم الاجتماعي للأمة كان هذا النمط استجابة لقانون اجتماعي ضابط لحركة المجتمع التغييرية المنسجمة مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١).

وبالعكس تماماً تكون الواقعة التاريخية السالبة تعبيراً عن سنة إلهية مضادة، فعندما يصيب الأمة بلاء شديد أو تعصف بها محنة كؤود معناه نتيجة ذنوب مقترفة أو انحرافات من الأمة، فيتم تطبيق الآية التاليّة عليها: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٢).

إذن الوقائع والحوادث الجارية إما:

أ ـ بشائر خير.

ب ـ انحرافات وفتن وابتلاءات.

* * *

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٩٦.

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ٩٦.

**أولاً: أحاديث " البشارة ":**

البشائر عبارة عن حوادث أو وقائع إيجابيَّة تتم في المستقبل القريب أو البعيد من حياة الأمة وتحمل في طياتها بشائر الخير للأمة وللبشريَّة جمعاء، وتتم هذه البشائر بعد صدور النص خاصة في عصر الغيبة وبالذات في آخر مرحلة منه.

إنَّها وقائع تولد في طي الغيب وتعيش في رحم " المستقبل " الإنساني، وقد تولد على إثر حدوث مآسي في الحياة البشريَّة، فتحدث مسارات جديدة تعكس النواحي الإيجابيَّة من سنن الله الاجتماعيَّة، فالبشائر في جملتها تجسيد لتغيرات اجتماعيَّة إيجابيَّة ومرتقبة ومنسجمة مع مضمون هذه السنن الموضوعيَّة.

وبهذا فإنَّ البشائر ليست حديثاً عن ماضي الإنسان وإنَّما هي نزوع نحو المستقبل يحمل في طياته آمالاً للبشريَّة، وهذه الآمال ليست بغرض تحقيق متعة نفسيَّة للمنتظرين وإحلال مشاعر الثقة بالذات والأمل بمستقبل أفضل، وتنميَّة القدرة لديهم على استشراق المستقبل والنظر للتاريخ على أنَّه حركة تقدميَّة، وإنَّما كذلك تعبير عن فهم موضوعي للسنة الإلهيَّة في حركة المجتمعات، وطموحاً إنسانيّاً يجسد إرادة الأفراد والجماعات وأدوارهم في إحداث تغيرات مستقبليَّة إيجابيَّة، فالبشارة تجربة إنسانيَّة خيِّرة تأخذ مساحتها الزمانيَّة والمكانيَّة، وتطوي بين ثناياها معطيات وآثار حاسمة لمستقبل الإنسان، وتحدد رؤية المشرع الإسلامي للواقع، والمستقبل القريب أو البعيد " في تنبؤات تاريخيَّة يحيطها علم الله تعالى المطلق بالصدق الكامل والضمانة النهائيَّة " كما يقول الشيخ الركابي [1].

وقد حدثت بعض التنبؤات في عهد الرسول نفسه، وظلَّ بعضها ينتظر

(١) الشيخ الركابي / السنن التاريخية في القرآن المجيد ٢٠ ـ ٢١.

تنفيذه، إذ لم يحدد له زمن بالذات.

إنَّ البشائر وجه إيجابي للنبوءات الإسلاميّة الصادقة وإنباء بوقائع لم تقع بعد لكنّها ستقع بمقتضى وعد الله الصادق، وبالتالي ليست البشارة الإسلاميَّة ظناً أو تخميناً مؤقتاً لواقع إنساني في المستقبل، وإنَّما هي وعد أكيد من الله عزَّ وجلَّ الذي أحاط بالزمان كله، وعلم بالتاريخ و الفعل الإنساني من بدئه حتى منتهاه.

لكنّ البشائر ـ وإنْ كانت وعداً إلهياً صادقاً ـ لا تلغي الفعل البشري لصياغة وقائع " الحاضر " و " المستقبل معاً " فالمشرع أكد على الالتزام بالتقيد بالأفعال والتكاليف العباديَّة الشرعيَّة، ودعا إلى ضبط النفس، وتربية الذات المسلمة على الجهاد والورع والتقوى والأخلاق الحسنة وممارسة أنماط السلوك العبادي حتّى إذا كانت ظروف الزمان صعبة على الفرد المؤمن، فالتشريع الإسلامي بأكمله موجود بين يديه، جاء في غيبة النعماني النص الكريم التالي:

" من سرّه أن يكون من أصحاب القائم.. فلينتظر وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق و هو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه "[1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: " إنَّ لصاحب الأمر غيبة.. فليتق الله عبد وليتمسك بدينه "[2].

فالبشارة في المفهوم الإسلامي لا تتعارض مع الإرادة البشريَّة، بل يمكن القول إنَّها تمنح هذه الإرادة فرصتها في صياغة البشارة ذاتها.. أي في المشاركة بالفعل الإنساني في صنع وقائع " البشارة " لاحقاً.. إنَّها تمنح الجماعة البشريَّة روحاً لرؤية المستقبل وتخلق في أفرادها قوة منظمة ومتزايدة

---

(١) غيبة النعماني ص ١٣٤.

(٢) غيبة الطوسي ص ٤٥٥.

وهادفة لتحقيق البشارة بكل حيويّة.

كما أنَّ البشارة تهيئ إرادة البشر للعمل عن طريق الشحن النفسي والبناء الثقافي و تنمية مكونات الذات العباديّة في مختلف عناصرها، وجوانبها، وذلك حتّى تكون قادرة على المواجهة وتحمل المسؤولية في فترة الغيبة المليئة في الوقت نفسه بالمحن والصعوبات والانحرافات المختلفة.

ولهذا فإنَّ البشائر بخاصة في فترة الانتظار الطويلة تعتبر قوة دفع نفسي في ميدان الساحة التاريخيّة سواء بفهم أفضل للسنن الاجتماعيّة الموضوعيّة لتحقيق البشائر أو بتكوين خبرات معرفيّة لإدراك شروط الإفادة من البشائر في تنظيم وضبط حركة الذات المسلمة المنتظرة أو غير المنتظرة أيضاً، والحركة في اتجاه بعيد عن التيه والضلال.

إنَّ البشائر كما يفهمها المنتظرون حركة توجيه تقدميّة لمواجهة "واقع" فاسد، ولمساعدة العقل المسلم من الكشف عن حركة المستقبل والتنبؤ به قبل أن تقع حوادثه فيستعد لها بمواقف صائبة.

لقد تنوعت " البشائر " في النصوص والروايات، فهناك أحاديث عديدة عن ظهور مجددين للإسلام على رأس كل قرن هجري[١]، وأحاديث عن حركة " الموطئين " والطائفة التي وصفتها الروايات بأنّها ظاهرة على الحق، وروايات أخرى عن ظهور الرايات السود وتحرير فلسطين، فلا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون[٢]، وتصل البشارة الإسلاميّة ذروتها ببشارة خروج " المهدي " لإعادة سلطان الحق إلى المجتمع الإنساني.

---

(١) جاء في الروايات " أنّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها " المعجم ج١ ص ٦٩ رقم الحديث ٣٩.

(٢) معجم أحاديث المهدي ج١ ص ٣١٢ رقم الحديث ٢٠٤.

ومن نصوص البشارة التي وقع بعضها فعلاً، وما تزال أخرى تنتظر الوقوع، أنّ المجلسي روى في البحار عن الإمام الرضا‌عليه‌السلام قال: " رجل من قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد لا تزلهم الرياح والعواصف، ولا يملون الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين "[1].

وتبشر نصوص أخرى بتحرير فلسطين، فلا " تقوم الساعة حتّى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة، فيسكنهم إيَّاها[2] " ويبني الإمام المهدي‌عليه‌السلام " بيت المقدس بناءً لم يبنَ مثله "[3]، ويقول نص آخر انه " يخرج رجل من أمتي يعمل بسنتي، ينزل الله له البركة من السماء وتخرج له الأرض بركتها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يعمل سبع سنين على هذه الأمة، وينزل بيت المقدس "[4] و " أنه لا تقوم الساعة حتّى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتّى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف ضلال الطريق "[5].

وتصل البشارة ذروتها بقيام دولة الإسلام في عصر الإمام المهدي‌عليه‌السلام بعد غربته الطويلة، إذ يقول الإمام الصادق‌عليه‌السلام مبشراً بدولة أهل البيت في آخر الزمان " لكل أناس دولة يترقبونها، ودولتنا في آخر الدهر تظهر "[6].

وقال الرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله : " إنَّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء "[7].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٠ ص ٢١٦، ٤٤٦.

(٢) المعجم ج١ ص ٢١٧ رقم الحديث ١٢٥.

(٣) المعجم ج١ ص٣٤٦ نقلاً عن مصادر أخرى، رقم الحديث ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق ١٣٤، رقم الحديث ٧٣.

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٥ رقم الحديث ١٧٦.

(٦) المعجم ج٣ ص٤٢٦.

(٧) غيبة النعماني ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

ويصعب ـ رغم ذلك ـ أن نوجه حديث البشارة في واقعة معينة أو حصرها في حادثة بذاتها لمسوغات عديدة منها حتّى لا تفتر النفوس ويقل حماسها، لأن البشائر كوقائع جاريّة في ثنايا المستقبل وحركته لم تحددها النصوص بتاريخ أو وقت محدد، ولهذا تظل البشائر ذات طبيعة مرنة تستوعب الأحداث والوقائع في حياة الإنسان، فإذا جاء في الرواية مثلاً " اختلف بنو فلان فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلاّ في اختلاف بني فلان "[1]. فإنَّ من الصعب حصر مضمونها في خروج رجل محدد أو حدوث واقعة معينة في فترة محددة وإن كان المعنى العام للروايّة قد يسمح بالتنبؤ والافتراض والسعي الجاد لمطابقة علامات الواقعة مع مضمون الرواية، ولعلَّ ذلك أحد الأسباب التي دفعت الناس إلى الحصر والتحديد والتركيز على واقعة معينة أو محددة بأنَّها المعنية بالبشارة التي تحدثت عنها الروايّة، وقد تتكرر المطابقة بين علامات واقعة أخرى مع مضمون الرواية ذاتها في فترة أخرى، فيحاول آخرون فهم هذا التطابق على أنَّه وقوع بشارة أخرى.

إنَّ صعوبة الحصر والتحديد لم تمنع وقوع البشائر من التأثير في النفوس وبعث حيويتها، وإمدادها بدماء جديدة يغمر الجماعة المنتظرة بالنشاط والقوة والأمل، والإحساس بقرب "الفرج".

ومع ذلك قد تؤدي صعوبة الحصر والتحديد إلى استغلال سيئ للبشارة كمحاولة بعض العباسيين مثلاً استغلال الرايات السود لإثبات الولاء لبني هاشم وإقناع الناس بالتعاون مع دعوتهم باعتبارها راية أهل البيت.

بل إنَّ بشارة الإمام المهدي عليه السلام نفسه لما لها من أثر كبير في نفوس المسلمين قد استغلت مراراً من قبل أدعياء " المهدي " حيث يخرج بين فترة وأخرى مهديون كذَّابون[2].

---

(١) غيبة النعماني ص١٧١.

(٢) آخرها ما حدث في الحرم المكي بمحرم الحرام سنة ١٤٠٠هـ.

**ثانياً: أحاديث " الفتنة " والشدائد والانحرافات:**

وللحوادث والوقائع الجاريَة في مجتمع البشريَة خلال عصر الغيبة الكبرى وجه آخر هو ما تعيشه الأمة المسلمة من فتن وابتلاءات وانحرافات عميقة وشديدة تعصف بالأفراد والجماعات، وتؤثر سلباً على نفسيات المنتظرين لدرجة القهر والإهمال وإهدار الكرامة علناً وسراً من قبل المستكبرين و الظالمين الذين يبسطون هيبتهم السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والإعلاميَّة، ويستخدمون كامل قواهم لتعزيز سيطرتهم.

وقد أنبأت النصوص الإسلاميَّة عن انحراف واسع يصيب حالة الناس، وحدوث فتن داخليَّة وخارجيَّة تمزق المجتمع، وعن سلسلة من وقائع البلاء والشدَّة تجري بتفاوت في قوتها خلال مراحل عصر الغيبة الكبرى وتصل قمتها ومداها الكامل في المرحلة الأخيرة من عصر آخر "الزمان" وهي المرحلة التي تسبق حركة الظهور، حيث تفيد الروايات بتدرج البلاء والشر[1]، وحدوث الجزع وصعوبة الزمان خلال هذه المرحلة.

لقد ركَّز هذا النوع من أحاديث " الفتنة " على النبوءات المستقبليَّة للوقائع السلبيَّة ورصد الحوادث المأساويَّة في حياة المسلمين بالذات وفي حياة البشريَّة بأسرها.

لقد أشارت المصادر الإسلاميَّة لدى السنة والشيعة معاً إلى البلاء الشديد، والخوف و جزع الإنسان المؤمن، و تعطيل أحكام الدين[2] لدرجة

---

(١) انظر أحاديث تدرج الشر في كتاب عقد الدرر للسلمي ص٢٦، وكتاب أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل ص٥٧، وكتاب البرهان للمتقي الهندي ص٢٥، ٨٥، ٩٢، ٩٣.

(٢) في دولة مسلمة ألغت المحكمة العليا قانوناً كان يعتبر الزنا جريمة يعاقب عليها بحبس الزانية ـ وليس الزاني ـ بين ستة أشهر وثلاث سنوات، واعتبرت المحكمة العليا أنَّ القانون الذي ألغته كان ينطوي على تمييز بين الرجل والمرأة يناقض المساواة بين الجنسين التي يكفلها الدستور حتّى في الجريمة. =

وصف النصوص حياة الناس "بالجاهليّة" كما جاء عن النبي ﷺ:

يقول النص: " بعثت بين جاهليتين إحداهما أشد من الأخرى "[1].

وأخبرتنا هذه النصوص بمحو شبه كامل لأحكام الدين، ولهذا ركزت نصوص الإسلام على إحياء ما درس من الدين وإعادة العمل بالحدود "المعطلة والأحكام المهملة"[2] على يد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

أمّا أحاديث الظلم وامتلاء الأرض به فقد أخذت مساحة كبيرة في النصوص ولعلّها تصدَّرت الأحاديث والروايات التي تنبأت بواقع الناس ومستقبلهم قبل عصر الظهور، ولا نظن أنَّ النصوص ركزت على مشكلة سلوكيَّة تواجه الناس مثل تركيزها على مشكلة " الظلم " بمختلف أشكاله، بل إن تعملق " الظلم " يجعل المؤمن يتمنى الموت[3] وشيوع أمراض اجتماعية وأخلاقيَّة ودينية.

وتعدد النصوص أنماطاً من الانحرافات، وأصنافاً من الشدائد والابتلاءات المعبرة عن شدة الزمان وصعوبته على الناس، فقد وردت نصوص كثيرة عن الأئمة المضلين وحكام الجور وذم علماء السوء، والفسقة وانتشار حالة " النفاق " كورم خبيث في الكيان النفسي للمجتمع، وتعطيل الجهاد[4] واتهام " المجاهدين " بالمعتدين.

---

= واضطر أحد المحامين في دولة مسلمة أخرى إلى التحايل على القانون بإبلاغ المحكمة بأن "موكله" أقام علاقة " زنا " مع امرأة أجنبية خوفاً من طائلة عقوبة القانون لو ثبت أنَّ هذه المرأة " زوجته " الثانية لأنَّ قانون هذه الدولة يمنع تعدد الزوجات.

(١) معجم أحاديث المهدي ج١ رقم الحديث ٢١.

(٢) كلمة المهدي / للشيرازي ص ٣٥٩.

(٣) انظر علامات يوم القيامة / لابن كثير الدمشقي ص ٢٧ ـ ٢٩، وكذلك عقد الدرر للسلمي ص ٤١٣.

(٤) انظر معجم أحاديث المهدي ج١ ص ١٠٠.

ويستشري الظلم ويغرس أنيابه بقوة فيكفر بالله جهراً[1]، ويقتل الرجل إذا قال " الله "[2]، ويضطره هذا الواقع الظالم إلى إخفاء تدينه أو نزعته إلى التدين، ولا يستطيع الدعوة إلى تطبيق شريعة الله إلاّ خفية أو مستخفياً[3]، كذلك يحرم من حقوقه في الدفاع عن نفسه ومقاضاة الظالم لأنّه لا يستطيع أنْ يقول للظالم: إنك ظالم"[4] سواء في حصار اقتصادي أو اغتصاب كامل لمقدسات وأراضي المسلمين كما حدث للعراق وليبيا وفلسطين ودول أخرى[5].

ولا يسعنا بالتأكيد جرد مظاهر الفساد المتعملق كاخطبوط، ورصد وقائعه وأنماطه لأن الغاية من الإشارة إلى " أحاديث الفتنة " هو التنبيه فقط إلى عامل شديد التأثير في سيكولوجيّة المنتظرين، وما يتركه من آثار ومشكلات كَأداء في حياة المسلمين من يأس وحيرة وقلق وصراع وإحباطات متراكمة ضاغطة قد تؤدي إلى انتكاسة عميقة، وإن كانت الفتن أحياناً تولد اتجاهاً إيجابياً بالصحوة، وحب العودة إلى الدين وأصوله التقيّة، لكن لا ينمو هذا الاتجاه إلاّ بعد حدوث صدمة انفعاليّة شديدة توقظ النائم وتستعيد وعيه المفقود.

وعلى الرغم من حالة الجزع الشديد التي تصيب الناس من هذا الواقع الكئيب إلاّ أنَّ الناس يتفاوتون في كيفيّة الاستجابة لهذا التحدي المر، فمنهم من يستعلي على الواقع المنحرف ويستثمره ما أمكن في تربية ذاته وإعدادها بالتوجيه العبادي السليم وإن كان ضغط الانحراف لا يسمح بأنْ تصل

(١) البرهان ص ١٠٤.
(٢) عقد الدرر ص٩، ١٧٥.
(٣) علامات يوم القيامة ص٨٩، ٩٣، عقد الدرر ص٩٣.
(٤) علامات يوم القيامة ص٣٤.
(٥) عرض د.كامل سليمان في كتابه يوم الخلاص جانباً من الانحرافات في ضوء النصوص والروايات الإسلاميّة.

الشخصيَّة المنتظرة إلى تربية مثلى متكاملة خاليَّة من المتاعب، لكن قد يترتب عن هذا الاستعلاء رغبة في المحافظة على الهويَّة العقائديَّة للشخص والتمسك بأهداف الفضيلة والدين وحكمة العقل.

عبَّرت عن هذا الاستعلاء على القهر والثقة في الذات تعبيرات المنتظرين أنفسهم وإظهار مشاعرهم الوجدانيّة تجاه الإمام الغائب سبق أنْ مرَّت علينا، واتجاههم نحو الولاء لقيادة العلماء، والخروج معهم تحت راية الحق كزبر الحديد لا تزلهم العواصف ولا يجبنون ولا يملون من الحرب، وكذلك اهتمامهم بتربية جيل " الموطئين " وإعداده لتحمل مسؤولية مواجهة الواقع والاستعلاء عليه بإرادة وشموخ العزة وتجديد البيعة للإمام المهدي عليه السلام.

وبعض الناس يضعف في مواجهة هذا التحدي ويجد نفسه كما أنبأت الروايات في براثن انحراف كبير بنفس مستضعفة قد تكون راغبة في الخلاص من الفساد لكنَّها بسبب عجزها الداخلي وقبولها المذل بالطاعة للظالم تبقى أسيرة مستلبة الإرادة.

وقد يَغْرق فريق ثالث في الانحراف ويتحول إلى قوة " مُعِيَنة " على الظلم، ويُبَيِّن الواقع الإحباطي المر ومشكلاته المختلفة هذا النمط المريض من التفاعل مع التحديات أفراد فريق من المسلمين.

* * *

ونود في الأخير الإشارة إلى أنَّ أحاديث " الفتنة " كأحاديث البشارة يصعب حصرها وتحديدها في واقعة معينة، فهناك على سبيل المثال أكثر من رواية ذات مضمون واحد، ومدونة في مصادر الحديث عن إحدى وقائع المستقبل، تقول الرواية: " العجب. . كل العجب بين جمادى ورجب"[1].

---

(١) يوم الخلاص ص ٥٥٧، نقلاً عن مصادر أخرى.

قد تتعدد احتمالات فهم معنى الروايَة . . مع افتراض صحتها في المتن والسند.

فالزمن الفاصل بين شهري جمادى ورجب يكون ليلاً، أي يكون هذا الوقت آخر ساعات شهري جمادى الثانية وبداية ساعات شهر رجب، وفي هذه الليلة الواقعة بين ( ١٦ و ١٧ ) من يناير سنة ١٩٩١م وقع هجوم قوات الحلفاء على العراق، ويحتمل أن يكون ما أحدثته قوات الحلفاء في العراق من الخراب والتدمير هو المراد بقوله: " العجب كل العجب. . بين جمادى ورجب " . . هذا مجرد احتمال.

قد تكون الرواية صادقة لأنَّ الهجوم وقع في هذه الليلة . . أي ليلة الخميس التي فصلت بين آخر ساعات يوم الأربعاء ١٦ يناير سنة ١٩٩١م وبين أول ساعات يوم الخميس الموافق ١٧ يناير ١٩٩١م، خاصة وأنَّ هناك رواية مماثلة للرواية السابقة تقول: " واعجباً كل العجب بين جمادى ورجب من جمع شتات وحصد نبات وأصوات بعد أصوات "[١] . . ومع افتراض صحتها أيضاً.

تحدد الروايَة الثانيَة علامات أوضح قد تنطبق على حرب الحلفاء للعراق بعد هجومه على الكويت، لكن من الصعب قبول هذا الحصر والتحديد بشكل تعسفي يلوي عنق الروايَة في حادثة معينة قد تكون هي وقد تكون واقعة أخرى، وبالتالي يسقط الحصر فعاليتها إذا عرف الإنسان تطابقها مع واقعة في عصر سابق.

يمكن مثلاً أن يفسر " الجمع الشتات " بالدول التسع والعشرين التي اجتمعت ضد النظام البعثي في العراق الذي ارتكب جريمة غزو الكويت بالقوة، وهو تجمع عسكري متحالف لدول مختلفة في الجنس أو العنصر، ومتباينة في الاتجاه السياسي والانتماء القومي، لكنها اجتمعت في مصالح

---

(١) يوم الخلاص ص ٥٦١.

متقاربة لرد عدوان دولة على دولة أخرى.

أمّا المقطع الآخر من نص العبارة وهو " حصد نبات وأصوات بعد أصوات " فقد يشير إلى أجواء الحرب وضجيجها وآثارها التدميريَّة، وصخب آلة الحرب والحرب الكلاميَّة. هذا أيضاً مجرد احتمال.

كل ذلك مجرد محاولة أوليَّة واجتهاد لفهم الإنسان المسلم لأحد النصوص التي تحدث عن نموذج واحد من الأحداث الجاريَّة التي ستقع في الزمان اللاحق لزمن صدور النص.

ومع أنَّ الروايَّة قد توجه في سياق الفتن التي افتعلها نظام صدام، إلاَّ أنَّ من المخاطرة بمكان قبول هذا الاعتساف في فهم الرواية السابقة تفسيرها في سياق أحداث غزو العراق للكويت، لأنَّ الروايَّة لم تحدد بوضوح " العراق " وهو البلد الذي ذكرته كثيراً نصوص النبوءة الإسلاميَّة، باعتباره ميداناً أو ساحة لوقوع أحداث سوف تتم فيه خلال فترة الغيبة الكبرى.

ولو حددت الروايَّة العراق بوضوح لأمكننا قبول هذا التفسير من باب أنَّه احتمال يقبل المناقشة، والأخذ والرد، بيد أنَّ ترك الرواية لهذا التحديد أضعف من دفع الرواية في هذا الاتجاه على نحو الجزم والتأكيد، وبقي التفسير مجرد فرضيَّة أقرب إلى الظن لا إلى اليقين، بخاصة أنَّ الروايات لا تحدد بدقة توقيتاً بعينه للحوادث، وبالتالي يتجاوب العقل الإسلامي مع مضمون الرواية بمنطق " الاحتمالات " . فتقول إنَّ الرواية قد تشير إلى واقعة ما جرت في العراق والكويت والجزيرة العربيَّة من اجتماع دول شتات في حرب ضروس أكلت الأخضر واليابس، وما يزال ضجيجها الإعلامي وآثارها النفسيَّة مستمراً حتّى الآن بعد مضي ثمان سنوات[1].

---

(١) غزا جيش الطاغية صدام الكويت في الثاني من اغسطس سنة ١٩٩٠م، وظلّت تتوالى حتى بدأت قوات الحلفاء الهجوم على الجيش العراقي فجر اليوم ١٧ من يناير سنة ١٩٩١م، وقد أعيدت صياغة هذا الفصل في سنة ١٩٩٩م.

ولهذا تتماثل أحاديث الفتنة والبشارة في صعوبة حصرها وتحديدها في وقائع معينة لإثبات مطابقة نص الرواية مع الواقع، وإثبات صدق النبوءة الإسلاميَّة وتحققها، فالتاريخ ساحة مليئة بالوقائع المتماثلة التي تتكرر فيما بعد، وبالتالي تفسر تفسيراً خاطئاً نصوص النبوءة الإسلاميَّة للوقائع المستقبليَّة.

**العامل الرابع: دور النخبة في التربية العباديَّة للمنتظرين:**

يركز الإسلام قبل وقوع الغيبة وأثناءها وبعدها على التربيَّة العباديَّة للأفراد والجماعات، واعتمد في نظامه التربوي على الجهد الطوعي للأفراد في تربية أنفسهم، وعلى الجهد التنظيمي للمؤسسات التربويَّة كتركيزه مثلاً على فعالية المسجد في عملية التنشئة الاجتماعية.

وحدَّد النظام التربوي في الإسلام أهدافه وآلياته، ووسائله المتنوعة لإنجاز مشروعه في بناء المجتمعات وصوغ النفوس، ثم ترك للإنسان ـ مؤمناً أو غير مؤمن ـ منطقة فراغ في المجال التربوي للإضافة والاجتهاد التربوي والمعاصرة و التكيف مع المستجدات.

وثقافة الانتظار لم يغفل نظامها التربوي عن بناء الشخصيَّة العباديَّة المنتظرة، وسخَّر آليات هذا النظام ومفاهيمه وقيمه وأهدافه الإنسانيَّة النبيلة لصياغة التركيبة الأساسيَّة للمنتظرين وبنائها وفق معايير التربيَّة العباديَّة التي شاء الله أنْ يحفظها على امتداد الزمان كله، وحتّى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد أناط الإمام المهدي عليه السلام مسؤولية التربية والتوجيه للمنتظرين في فترة غيبته بالعلماء والفقهاء باعتبارهم أمناء الرسل وورثة الأنبياء كما جاء في حديث نبوي شريف، لأنَّ العلماء يشكلون إحدى قنوات التوجيه التربوي العبادي للناس في نظر الإسلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام، يقول الإمام المهدي عليه السلام:

"إنَّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنايع ربنا، والخلق بعده صنايعنا"[1].

ومن البداهة أن يدرك الإمام المهدي عليه السلام الدور الكبير للعلماء في حياة المنتظرين ومؤيديه، لذلك أسند في نصوصه مهمة تربية المؤمنين بإمامته إلى العلماء والفقهاء.

يقول في نص متداول بين المنتظرين: "وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنَّهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله على الخلق" وقوله في رواية أخرى: "وأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه".

ويقول الهادي الإمام عليه السلام:

"لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين للضعفاء، من عباد الله من شباك إبليس ومردته، لما بقي أحد إلاّ ارتد عن دين الله، ولكنهم يمسكون أزمة قلوب الشيعة كما يمسك صاحب السفينة، أولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ"[2].

ويقول الإمام المهدي عليه السلام في دعاء الاهتمامات العامة وهو يدعو للمنتظرين علماء ومتعلمين وفئات أخرى إلى تربية أنفسهم، ونقل ثقافة الانتظار وقيمها ومضامينها الإيمانيَّة إلى واقعهم الشخصي والاجتماعي "اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة، واكفف أيدينا عن الظلم

---

(١) غيبة الطوسي ص٢٨٥.

(٢) يوم الخلاص ص ٢٤٨.

والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة " ثم استمر دعاؤه الشريف في توجيه كافة فئات المجتمع.

كما أنَّ الإمام المهدي عليه السلام في أدعيته الأخرى حدَّد الملامح الأساسيَّة لبناء شخصيَّة المنتظر لأنَّه مسؤول عن تربية نفسه كما جاء في نصوص سابقة مثل قوله: " من سره أن يكون من أصحاب القائم.. فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ".

## مسؤوليات النخبة من المنتظرين:

وقد حدَّدت نصوص الإمام السابقة المسؤوليات والأدوار الهامة لفئة "العلماء" و"الفقهاء"[1] باعتبارها نخبة المجتمع المسلم، ومن هذه المسؤوليات:

١ـ ان فئة " العلماء " تقوم بتبليغ الأحكام وتوضيح فقه الإسلام وتعاليمه المختلفة في مجالات الحياة، وبالذات في دائرة " الفقه " المشتمل على العبادات والمعاملات التي يمارسها المنتظرون.

٢ـ تقوم هذه الفئة بعملية " ترشيد " تربوي مستمرة للمنتظرين بوسائل مختلفة يقرها الإسلام.. بالخطابة، والمحاضرات، وكافة اللقاءات الثقافية، وإصدار الكتب، وإنتاج الوسائل التعليميَّة، والتثقيفيَّة التي تخدم أهداف جماعة المنتظرين في الحياة، وبوسائل وآليات الاتصال الثقافي الحديثة.

٣ـ يهتم العلماء بنقل النصوص الإسلاميَّة ونشرها وتداولها بين أفراد

---

(١) لقد ناقشنا الدور التربوي لفئة " العلماء " في عصر الغيبة الكبرى في كتابنا (بناء الشخصيَّة في خطاب الإمام المهدي عليه السلام).

المنتظرين جيلاً بعد جيل، ولولا هذا الجهد العلمي لتأثرت شخصيَّات المنتظرين سلبياً.

٤ـ تمارس فئة العلماء أيضاً وظيفة أخرى هامة لها تأثيرها في عمليات التنشئة الاجتماعيَّة للأفراد المنتظرين، وهي وظيفة دينيَّة اجتماعيَّة واسعة الحدود تمتد لجميع خيوط المجتمع بأسرها.

إنَّ فئة " العلماء " تقوم بأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الفريضة تشبه من الناحيَّة التعلميَّة والتربويَّة ما أسماه علماء النفس التربوي بعمليَّة التغذيَّة الراجعة أو المستفادة، لأنَّها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحدد للمسلمين المنتظرين " ما هو صحيح " شرعاً فيلتزمون به، وما هو غير شرعي " فيتركونه، وهذا هو جوهر عمليَّة التغذيَّة الراجعة، فالأمر بالمعروف معناه معرفة " الصواب " والتقيد به، و"النهي عن المنكر" معناه " العلم بالسلوك الخطأ " وتركه.

٥ـ تعمل هذه النخبة على مساعدة المنتظرين على إشباع الحاجات الأساسيَّة، وفي مقدمتها الحاجة للاستقامة، والحاجة للمعرفة وغيرها، وقد سبق لنا بحث هذه المسألة في كتابنا " بناء الشخصيَّة في دعاء الاهتمامات العامة ".

٦ـ يتصدى العلماء للمشكلات السلوكيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة والتربويَّة التي تواجه مجتمع " المنتظرين " أينما يكونوا، ويحاولون وضع حلول علاجيَّة لها.

فمن المشكلات المتوقعة عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام أن يواجه المنتظرون الشك و الارتياب وحالات الارتداد عن الدين، وظهور نماذج من السلوك الشاذ عن المعايير الإسلاميَّة، وظهور كذَّابين يزعمون أنَّهم "المهدي" المنتظر وحينئذ يتصدى العلماء لمثل هذه المشكلات ومساعدة الضعفاء من المنتظرين والمستضعفين على تجاوزها، ويمسكون بأزمة قلوب

الشيعة كما يمسك صاحب السفينة على حد تعبير الحديث الشريف الذي وصف هؤلاء العلماء بأنهم " الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ " .

٧ـ يمثل العلماء أيضاً قدوة المجتمع " المُنْتَظِر " حيث يتمثل المنتظرون بالاتباع والقدوة الحسنة للعلماء العادات العباديَّة السويَّة، والاندماج في بيئة إيمانيَّة صالحة مربيَّة للذات المنتظرة على القيم والعادات والمعتقدات الإسلاميَّة .

٨ ـ حدَّد الإمام المهدي عليه السلام آليات التوجيه التربوي للشخصيَّة العباديَّة التي تعيش آمال وآلام انتظاره الطويل كما بينا، حيث أسهم في تكوين ثقافة الانتظار وأساليبها قادرة على تربية المنتظرين من خلال ما تركه من نصوص وأدعيَّة، ومراسلات، ومكاتبات، وردود على أسئلة مختلفة ملحة وجعل هذه الآليات عنصراً هاماً لبناء وصياغة الذات المنتظرة العابدة المخلصة لله ولها من " الأجر مثل من أدرك الإمام عليه السلام " بعد ظهوره .

وساعدت هذه الثروة التربوية والفكرية علماء الأمة على دراستها والاستفادة منها في عملية التربية العبادية للمنتظرين أفراداً وجماعات، إذ منحت هذه الثروة جميع المنتظرين ـ نخبة وعاديين ـ فرصة التوجيه والتربية الوقائية والعلاجيّة في آن، بل أصبحت هذه الآليات هدفاً للدراسات العلميَّة الخصبة والفعّالة في البناء الشخصي والاجتماعي للذات المؤمنة مثل شرح أدعية الافتتاح[1]، والاهتمامات العامة[2] شرحاً تحليلياً، لهذا فإنَّ التربية العباديَّة للمنتظرين التي تصدى لها العلماء والفقهاء ظلّت فوق الصعاب مئات السنين، وبقيت شيئاً فشيئاً تنمو في دوائر تحيط بالمركز وتتسع في الأطراف،

---

(١) هناك في حدود علمنا ثلاث دراسات تحليليَّة لشرح دعاء الافتتاح إحداهما للسيد محمد حسين فضل الله، والأخرى كتبها إبراهيم الموحد والثانية للعلامة محمد نقي المدرسي.

(٢) لم نعثر على دراسة تحليليَّة لهذا الدعاء، لهذا قمنا بشرحه ـ باجتهادنا الشخصي ـ وفق المنهج الموضوعي في التفسير، ونأمل أن يكون محاولة مقبولة.

وإن ساعد العلماء في أداء المسؤولية شرائح أخرى من المنتظرين كالمقتدرين منهم على أداء الحقوق الماليَّة، والمثقفين المشتغلين بعلوم أخرى غير العلوم الدينيَّة.

٩ـ توجه جهد " العلماء " في البناء والإعداد صوب ثلاثة نماذج من أجيال المنتظرين وهم:

أ ـ تربية جيل " الموطئين " في عصر الغيبة.. أي قبل الظهور ويتمثل هذا النموذج في الأفراد الذين قبلوا ممارسة مفهوم الانتظار بإيجابيَّة وحركة إيمانيَّة وعباديةً سويَّة وذلك بغرض " التمهيد " لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

ب ـ ونموذج آخر للشخصيَّة المنتظرة يشترك فعلياً في نصرة الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره المبارك وليس في فترة الغيبة، ويمثل هذا النموذج جيل " الأنصار " الذي تحدثت عنه الروايات، وأنبأت عن دوره المرتقب في إحداث تغيير حاسم لواقع البشريَّة بعد هزيمة القوى الظالمة المستكبرة التي تناوئ حركة الإمام المهدي عليه السلام.

ج ـ ونموذج ثالث من المنتظرين يعيش في عصر الغيبة لم يصل وعيه بعد لمستوى "الموطئين" أو " الممهدين " للمهدي، وهذا النموذج أغلب أفراده من عامة المنتظرين المخلصين، و كفاءتهم العلميَّة والروحيَّة أقل من جيل " الموطئين ".

ويدخل في هذا النموذج الأميون من المنتظرين وأصحاب القدرات المعطلة، لكن أصحاب هذا النموذج يحاولون الجد والاجتهاد للوصول إلى وضع " روحي " وإيماني.

١٠ـ وكان لهذا الجهد التربوي العبادي نتائج ملموسة في الكيان النفسي للمنتظرين من المحافظة على استقلال الذات وإبقاء الشعور بالتميز قائماً حتّى الآن، والصمود ومقاومة الخصوم والاستعلاء على القهر وتعميق الإحساس بالانتماء إلى جماعة متميزة أفاضت نصوص المشرع الإسلامي في تمجيدها.

ولولا هذا الجهد لخسر كل منتظر تميزه وهويته، لأن جهد نخبة العلماء تركز على نقل ونشر وتداول نصوص الانتظار، وبالتالي ظلَّ هذا الجهد عنصراً فاعلاً في النفوس سمح بالمحافظة على السمات المميزة لأفراد جماعة الانتظار وإبقاء ارتباطهم بمصادر ثقافة الانتظار موصولاً حتّى اليوم رغم قسوة المحن التي اعترضت التربية العبادية للمنتظرين.

كما أنَّ التربية العبادية التي قادها العلماء ساعدت على بناء الثقة والإحساس بالجدارة في الدفاع عن الذات المسلمة المنتظرة بأساليب منطقية بعيدة عن الالتواء، وإثراء هذه الذات بالمعاني الإنسانيَّة النبيلة التي تضمنتها النصوص.

**أسس مشروع التربية العبادية للمنتظرين:**

وهكذا فإنَّ مشروع التربية العباديَّة للمنتظرين يقوم على أسس هامة هي:

١ـ الولاء لله، ويمر هذا الولاء من خلال الثبات على الولاية لأهل البيت عليهم السلام لاسيما الثبات على ولاية القائم عليه السلام.

٢ـ التربية المتكاملة الشاملة للخصائص الإيمانيَّة والجهاديَّة والعلميَّة.

٣ـ الفعل الحضاري لجماعة المنتظرين.

٤ـ الوعي بالسنن التاريخيَّة للمجتمع في مواجهة الحوادث الجاريَّة.

٥ـ الوعي بثقافة الإسلام الأصيل بما فيها ثقافة الانتظار.

# الفصل الخامس

# الأبعاد النفسية الإيجابية

# في عقيدة المهدي المنتظر عليه السلام

أشرنا في الصفحات السابقة أنَّ عقيدة الإيمان بالمهدي المنتظر تنطوي في داخلها على عدد كبير من الأبعاد النفسية، وأن هذه الأبعاد مؤثرة في النفس المنتظرة تأثيراً إيجابياً، بحيث تحقق للشخصية المسلمة قدراً معقولاً من التوافق النفسي، خلافاً لما ادّعاه خصوم وأعداء هذه العقيدة كما مرّ علينا في الفصل الثالث.

وقد وقفنا في بعض المواضع من دراستنا على بعض هذه الأبعاد، وآثرنا أن نعقد هذا الفصل استكمالاً للأبعاد التي نتطرق إليها في تضاعيف دراستنا، أو طرقناها طرقاً خفيفاً، فاستدعى الأمر الوقوف عندها مرَّة أخرى لتكون الصورة أكثر تكاملاً، وبالرغم من أنَّ هذا الفصل مخصوص للأبعاد النفسيَّة التي انطوت عليها عقيدة المهدي، إلا أن بعض هذه الأبعاد قد أشرنا إليها في مواقع سابقة من البحث. وهذا يثبت أن هذه الأبعاد متشابكة، متداخلة يصعب الفصل فيما بينها فإذا ما تحدثنا عن الواقع النفسي للمسلم وخبراته الإحباطيَّة في فترة الغيبة، لم يكن بالإمكان الفصل بين هذا الواقع وحالاته العصابيَّة، وبين ما انطوت عليه عقيدة الانتظار من أبعاد نفسيَّة سليمة جذابة، وهذه الأبعاد تجعل المسلم المنتظر يقاوم سلبيات الواقع النفسي، ويتحدى مثيراته العصابيَّة كإثارة هذه العقيدة لأحاسيس المظلومين، وتحقيق أمن المستضعفين المضطهدين من خلال أداء المسؤوليَّة الجهادية، وتوظيف هذه الروح في ميدان المواجهة لكافة الإحباطات المستمرة، وفي تحقيق المعادلة بين واقع اليأس، وبشارة الانتصار.

وإذا كنا ـ حتى الآن ـ قد عجزنا عن معرفة جميع الأبعاد النفسيَّة لعقيدة المهدي عليه السلام، ولم يتضح لنا إلا بعضها فإن الزمن كفيل بأن يقيِّض الله من يكشف لنا أبعادها الأخرى، الواحدة تلو الأخرى، فكلّما تتابعت الأيام واتسع محيط الانحراف في عالم الإنسان كانت الحاجة هامة لمعرفة هذه الأبعاد، وفهم سيكولوجي أفضل لحالة الانتظار، ونأمل أن تكون الأبعاد التي حددناها مدخلاً لهذا الوعي السيكولوجي المرجو، فاتساع مساحة هذه الأبعاد في وعي المسلم المنتظر، إنما هو وليد إدراك معطيات الانتظار من باطن النصوص، ونتيجة للتفاعلات الضاغطة التي يعيشها، وسنكتفي ـ هنا ـ بالإشارة إلى بعض هذه الأبعاد التي حددتها النصوص ومنها:

**١. أمل الانتصار:**

تضمنت نصوص البشارة بالمهدي المنتظر (عج) وعداً بازدهار المستقبل، وانتصار المنتظرين المستضعفين على قوى المستكبرين، والتفوق عليهم في نهاية الصراع التاريخي بين الفريقين، فالأرض ستمتلئ عدلاً وأمناً كما أكدَّت النصوص، بعد أن امتلأت ظلماً وجوراً، وقد أطلقت بعض نصوص البشارة على اليوم الموعود "يوم الخلاص" وهي كلمة لها دلالتها السيكولوجية، حيث تنتهي فيه أسطورة الاستعلاء التي مارسها المستكبرون ضد المستضعفين، وبخاصة المؤمنين على مدار تاريخ الإنسانيّة كلّه.

وثمة نصوص كثيرة تطمئن نفسيَّة المنتظر بالنصر، وتحقيق الفرج، وإحياء قيم الحق والعدالة في حياة الإنسان، وتقرر مبدأ الاستخلاف في الأرض للمؤمنين:

ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[١]

---

(١) سورة القصص/ الآية ٥.

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[1].

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2].

ويرى الكنجي الشافعي أنّها نزلت في المهدي[3].

- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾[4].

أما نصوص السنّة فتزيد عن المئات ومنها: " انتظار الفرج من الفرج"[5] و" انتظار الفرج بالصبر عبادة"[6] و" إنما يجيء الفرج بعد اليأس"[7] و" انتظروا الفرج ولا تيأسوا من الله، فإنَّ أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجل انتظار الفرج"[8]

الوعد بالنصر يمر أوّلاً ببوابة التحولات النفسية والاجتماعية والسياسية في المحتوى الداخلي للذات المسلمة خلال فترة الغيبة الكبرى، وهي بشارة نبوية سابقة على الظهور، فإذا تحقّقت هذه التحولات كما هو حال اليقظة الإسلامية اليوم واتسع نطاقها استكمل الوعد الإلهي دورته التاريخية بقيام دولة الحق في عصر المهدي.

وبناء سيكولوجية الانتصار في حياة المنتظرين يقوم على أساس فاعلية

---

(١) سورة النور/ الآية ٥٥.

(٢) سورة التوبة/ الآية ٣٣.

(٣) الكنجي الشافعي / البيان في أخبار صاحب الزمان ص ٥٥.

(٤) سورة الانبياء/ الآية ١٠٥.

(٥) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٤-٢٨٦.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) نفس المصدر السابق.

(٨) نفس المصدر السابق.

النص الإسلامي الذي يجزم بحتميّة النصر، ويقوم كذلك على أساس جهاد وتضحيات كبيرة لهؤلاء المنتظرين الذين تفاعلوا مع النص ومضمونه الإنساني، وبالرغم من سوء الواقع النفسي للمسلمين إلا أنَّ المنتظرين يقاومون كل الإهانات النفسية أو المادية التي توجه لهم، ويثبت النص والواقع معاً أن تحطيم هيبة الواقع الفاسد المسيطر على النفوس الذي فرضه المستكبرون، أمر لا مناص منه، وقد بدأت بشائر الثورة في النفوس المسلمة ضد هذا الواقع، واتسع جهدها من أجل تحطيم كل هيبة للمستكبرين، وما هذا الصراع العنيف الدامي بين المجاهدين والمستكبرين في هذه الفترة إلا علامة على صحوة واعية للعالم الإسلامي، ورغبته في تخليص نفسه من وزر التبعية والانعتاق من أسرها وتقديم نفسه كشخصية حضاريَّة مستقلة متميزة تكره الاستلاب الحضاري، فالأمل بالانتصار أثار في النفس المسلمة حماساً كبيرا وشحذ همتها في المقاومة ضد الظالمين، وتأخذ بين لحظة وأخرى في إحداث تغير سيكولوجي في الكيان الداخلي للأمة، ويساعد على قلب موازين الأحداث لصالح المسلمين، وواقعنا المعاصر الذي نعيشه شاهد على ذلك.

إنه بدلاً من الشعور بالانسحاق الذي يحاول المستكبرون دائماً تعميقه في النفسيات المسلمة، تتبدل المشاعر تدريجياً بوهج هذه البشارة، ويتسع نطاق التغيير النفسي والاجتماعي والسياسي في الأمّة بقيام دولة المهدي عليه السلام، ويتضاءل إحساس المسلمين بالضآلة، ويشعروا بتفاهة الحضارة التي صنعها المستكبر وضآلة منجزاتها حتى لو أعجبت القاصي والداني، فمثل هذا الشعور ضرورة حيوية للتغلب على المستكبرين، ولأنه يتناسب مع حجم التغيير الذي يقوده الإمام بنفسه بعد خروجه الميمون.

ومما لاشك فيه أن سيكولوجية النصر في الشخصية المنتظرة هي القوة الروحية التي تركز عليها عقيدة الانتظار، لأن النفس المهزومة لا تستطيع أبداً

أن تتفاعل مع قضية الصراع التاريخي بين المستضعفين والمستكبرين وتحسمه لصالحها، ما لم تؤسس حركتها على أساس مشاعر الأمل والإحساس بالفرج والاطمئنان النفسي بالنصر المؤزر.

ونعتقد أن أبعاد هذه العقيدة الأخرى مرتبطة إلى حد كبير بهذه البشارة، وهذا الأمل الكبير الذي يغمر القلب المؤمن ـ بازدهار المستقبل للإسلام ـ مهما ادلهمت الخطوب وتكالبت المحن عليه، لكنَّ إشكالاً يثار ضد أثر المبالغة في الاعتماد على هذا الوعد، فمن الممكن كما يحدث فعلاً أن تحبط النفس المسلمة في مواقف جهادها، ويتسرب إلى داخلها تشاؤم نتيجة لهذا الإحباط، ويعلّق أحد علماء المسلمين على ذلك بقوله: " ولا نطيل في الرد على ذلك بالتحليل التاريخي النفسي وما حققته هذه العقيدة من زخم إيجابي في صناعة التاريخ وتصحيحه ولا تزال.. ولكن نستدل بأصل أمر الله عز وجل لرسولهﷺ بتبليغ هذه البشارة.

إنه تعالى يعلم أنَّ بعث الامل بانتصار الاسلام في العالم على يد المهدي عليه السلام، سينتج عنه في المسلمين حالة توقع نفسيّة كثيراً ما تكون مفرطة في التفاؤل، ومع ذلك أمر رسولهﷺ أن يبلغ هذه البشارة ويركزها في نفوس المسلمين، وما ذلك إلا لأنه لا ضرر من حصول هذا التفاؤل، بل هناك ضرورة لتحقيق هدفين أساسيين من تبليغ النبيﷺ للبشارة بالمهدي (عليه السلام) أولهما: تحذير المسلمين من الانحراف مع موجة الانحراف العامة التي ستحدث، وثانيهما: بعث الأمل في نفوس المسلمين بانتصار الإسلام مجدداً، وظهوره على الدين كله[١]، وقد حققا هذان الهدفان " مناعة نفسية " للفرد المسلم على امتداد التاريخ الإسلامي كله، بالرغم من اتساع تدريجي للانحراف يبلغ مداه في آخر الزمان و قبيل الظهور.

---

(١) علي الكوراني/ الممهدون للمهدي ص ١٥.

٢. تحطيم هيبة الواقع الاستكباري:

يكاد ينعقد إجماع مؤرخي الحضارات على أن الواقع الاستكباري حقيقة تاريخية عرفها الإنسان منذ بدء وجوده على الأرض، وأن هذا الواقع غير المتكافئ قد شمل العالم كلّه حتى في عهد الأنبياء، حيث انقسم أفراده إلى مستكبرين ومستضعفين بسبب تصادم المصالح بينهم، وتثبت التجربة الإنسانية الطويلة أن الاستكبار أصبح خطأً مأساوياً يحمل أفراده بين طوايا أنفسهم خصائص سلوكية معينة قسمات نفسية واحدة مكررة منذ بدء حركة الصراع التدريجي بين الجانبين، ولهذا لن نتحدث عن مستكبرين يعيشون في هذا البلد أو ذاك، وإنما عن جماعة مارست سلوكاً عدوانياً ضد فئات أخرى مستضعفة. فما يهمنا هو السمات النفسية المشتركة للاستكبار وليس الأشخاص، فهذه السمات هي التي تجعلنا نميّز بين موسى وفرعون، وإبراهيم والنمرود، ومحمد وأبو لهب، وأبو جهل وغيرهما، وسوف تظل هذه السمات شجرة واحدة من السلوك العدواني، ممتدة حتى يأذن الله بنصره المحتوم لعباده الصالحين المستضعفين في أرضه.

والعالم كله بما فيه ـ المنطقة الإسلاميَّة ـ يشهد انحياز الواقع الإستكباري ضد فئة المستضعفين، ويتحسس فقراء المسلمين ومساكينهم ومغبونيهم تأثيرات هذا الواقع على أنفسهم بنفس القوة ـ أو أكثر ـ التي يتحسس بها مستضعفو الأرض مظالم المستكبرين، ولقد أوقع التفوق التقني الضخم للأمم المستكبرة وبخاصة التفوق الصناعي والعسكري – شعوراً بالنقص لدى مجموعات كبيرة من المستضعفين وأدى هذا الإحساس بالمغلوبيّة والهزيمة إلى اليأس، والحيرة، والنكوص، والتشكك في مقدرتنا كمسلمين على تحطيم الواقع الاستكباري المزيّف الذي يسيطر علينا، وحطَّ كذلك من فاعليتنا في تجاوز مشاعر الهزيمة، ولهذا لفتت النصوص الإسلامية النظر إلى مشكلات الإنسان المؤمن في فترة الغيبة.

لقد نسي الكثير من مسلمي هذا الزمان وعد الله الذي لا يخلف ميعاده، وانبهروا بالإمكانيات والأسلحة المتقدمة التي بيد المستكبرين، وتساءلوا مشككين هل يحقق الإمام المهدي انتصاراته على الطغاة المستكبرين بالسيف؟ وما يفعل سلاح تقليدي عديم الفاعليّة أمام أسلحة مرعبة، وأجهزة تقنية قوية فائقة التقدم؟ أم يكون "السيف" تعبيراً رمزياً عن السلاح الذي سوف يستخدمه الإمام المهدي.

تكمن الإجابة على هذا السؤال في ثلاث نقاط:

**أولاً**: بشارة النصر التي أشرنا إليها سابقاً، ودلالتها النفسيّة في الشخصية المسلمة المنتظرة للإمام المهدي عليه السلام، فهذه البشارة التي وعدت بها النصوص ضمانة مستقبلية ترفع من معنويات المسلم وتمنحه ثقة بمستقبل الصراع بين الاستكبار والإسلام، وهذه البشارة بالنصر وبالتحولات النفسية للأمة كفيلة بتحطيم كل هيبة في نفوسنا من المستكبرين، وفاتحة تربوية لتكوين شعور الثقة بالذات.

**ثانياً**: أثر النصوص الإسلامية في تكوين اتجاه نفسي عام في الشخصية المسلمة المنتظرة بالاستعلاء على المستكبرين، حتى وهم يمتلكون أدوات القوة، وأجهزة التفوق المادي وأساليبه، وهذا ما فعله القرآن مع أهل الكهف حينما صغَّر أمامهم الواقع الإستكباري مهما كبر، وسيحدث في ضوء تنبؤات النصوص الاستعلامية استعلاء للشخصية المسلمة في عصر المهدي على المستكبرين مع ما يملكون من وسائل القوة، إذ جاء في رواية أنه: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون"[1].

**ثالثاً**: التركيز على انهيار البناء الروحي للمستكبرين، فصحيح أن

---

(١) رواه مسلم، انظر معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج١، ص٣١١، رقم الحديث ٢٠٣، ٢٠٤.

الإنسان المستكبر يملك الوسائل المادية المتطورة، لكن ذلك لا ينفع مع الهزيمة النفسية، وانهيار البناء الروحي للاستكبار وأعوانه.

ونظراً لتداخل هذه النقاط الثلاث، فسوف تتداخل عناصرها خلال مناقشتنا لها، لكن قبل أن نبدأ في ذلك، نتوقف عند تشخيص أهم سمة في شخصية المستكبرين الغربيين، على اعتبار أنَّ دفة الاستكبار العالمي المعاصر يقودها الآن مستكبرو أوروبا وأمريكا الذين جعلوا من أنفسهم قادة للنظام الدولي الجديد ولأن جذور هذه الظاهرة موجودة في أعماق الشخصية السياسية الاجتماعية للغربيين، وهي إحدى مكوناتها باعتراف بعض علماء أوروبا، وسوف نسجل شهادة أحد علمائهم، لنقرأ بتمعن هذه الشهادة:

يقول ـ اريك فروم ـ وهو يقسم المثل الأعلى للشخصية الأوروبيّة إلى بطل وثني، وبطل مسيحي: " البطل الوثني كما يتجسد في أبطال الإغريق والجرمان، كانت غاية ما يصبو إليه هذا النوع الأخير من الأبطال هو أن يغزو، وينتصر، أن يدمر وينهب ويسرق، كان تحقيق الحياة عندهم هو الغرور والتكبر والأبّهة والسلطة، والشهرة والتفوق في القدرة على القتل وسفك الدماء، وقد شبّه القديس أوغسطين التاريخ الروماني بتاريخ عصابة من اللصوص، كانت قيمة البطل الوثني كما يقول فروم، هي براعته في الاستيلاء على السلطة والتشبث بها وهو يموت سعيداً في ساحة القتال لحظة الموت"[1].

وبعد أن يشخص فروم خاصية السلوك الاستكباري عند الغربيين في تلك الفترة يكاد يعممها على التاريخ الأوروبي كله، يعود مرة أخرى فيقول: "لو أننا أمعنا النظر في أنفسنا، في سلوك أغلبية الناس، وفي قادتنا السياسيين، لرأينا بيقين أن البطل الوثني هو النموذج الذي نعتبره حسناً، هو

---

(١) اريك فروم/ الإنسان بين الجوهر والمظهر ص ١٥١.

النموذج الذي نعتبر أنّ له قيمة، فالتاريخ الأوروبي -الأمريكي الشمالي، على الرغم من اعتناق المسيحية، ليس إلا تاريخ الغزو والأبّهة، والتكبر والجشع، وأعظم قيمنا هو أن نكون أقوى من الآخرين، وأن نغزوهم ونقهرهم ونستغلهم، وهذه القيم تتطابق مع المثل الأعلى للرجولة، فليس رجلاً إلا من كان قادراً على القتال والقهر، وأي شخص غير قادر على استخدام العنف، إنما هو شخص ضعيف، أي ليس رجلاً.

لسنا بحاجة إلى إثبات أنَّ تاريخ أوروبا هو تاريخ للغزو والاستغلال والقوة والإخضاع والقهر، لا تكاد توجد فترة أو مرحلة من التاريخ الأوروبي إلا كانت هذه سماتها، لا يستثنى من ذلك طبقة ولاجنس، لا توجد جريمة إلا ارتكبت بما في ذلك عمليات الإبادة الجماعية لشعوب بأسرها، مثل ما حدث للهنود الحمر، حتى الحروب الصليبية التي جعلت من الدين ستاراً لهم لم تكن استثناء"[1].

وهذا ما يؤيده الواقع التاريخي للاستكبار الغربي، فتكبره ورغبته في التسلط، وشهوته في الغزو والانتصار!! كما يقول فروم: "جزء أساسي من مكونات الشخصية الاجتماعية"[2] للمستكبر الغربي، وتشهد وقائع التاريخ المعاصر على ذلك والتي تجسدت في حركات الاستعمار والسيطرة الغربية على الأمم الاخرى.

ويلاحظ كذلك من بعض النصوص الإسلامية التي شخصت السلوك الاستكباري عند الناس خلال فترة الغيبة الكبرى، أنها أطلقت لفظ "الترك والروم" لتدل على أن جزءاً كبيراً من المستكبرين في هذا الزمان هم من هاتين الفئتين. ومن أمثلة ذلك: " ليبعثن الله عليكم العجم"[3] وهم كل من هم

(١) اريك فروم/ الإنسان بين الجوهر والمظهر/ ترجمة: سعد زهران ص ١٥١.
(٢) المصدر السابق ص ١٥٢.
(٣) يوم الخلاص ص ٤١٥/ ٤١٩.

غير العرب، و" إذا استثارت عليكم الروم والترك، وجهزّت الجيوش"[١] و"تنزل الترك الجزيرة، وتنزل الروم فلسطين"[٢] وهكذا يثبت النص والواقع استكبار الغربي، وعدوانيته وقهره للأمم والشعوب، واضطهاده غير السوي لها.

ولما كان التكبر عصاب نفسي أكثر مما هو مرض فكري، فإنه ليس بالضرورة أنْ يكون المستكبرون كفاراً ومشركين، فيمكن في ضوء نصوص إسلامية أن يعاني مسلم ينقصه الوعي بدينه من هذا العصاب، وبخاصة إذا تمّلك أدوات القوة، يقول نص مشيراً إلى تكبر بعض الناس العاديين " ما من رجل تكبر أو تجبر الا لذلة وجدها في نفسه "[٣] ويقول نص آخر مشيراً إلى تكبر بعض الحاكمين: "سيأتي بعدي خلفاء، وبعد الخلفاء أمراء، وبعد الأمراء ملوك، وبعد الملوك جبابرة"[٤]

وعلى كل حال فان التكبر سواء صدر عن كافر أو مسلم غير مسؤول، فإنه سمة علنية تنطوي على شعور خفي بالمذلة والمهانة، وحقارة الذّات، بل إن التكبر قد يكون أشد في بعض المستكبرين من المسلمين بمقدار شعورهم بالنقص والضآلة أمام قوى الاستكبار العالمي.

* * *

ونعود مرة أخرى للنقاط الثلاث المشار إليها، فأما بشارة النصر وأثرها في الشخصية المسلمة المنتظرة فتحدثنا عنها مسبقاً، وبقي علينا مناقشة

---

(١) المصدر السابق ( نفس الصفحات ).

(٢) المصدر السابق ( نفس الصفحات ).

(٣) جامع السعادات ج١ ص٣٨٤.

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٨٨/ البيان للكنجي ص ١٤١/ عقد الدرر للسلمي المقدسي ص ٣٩، ٩٣، ٩٥/ البرهان في علامات المهدي آخر الزمان للمتقي الهندي، صاحب كنز العمال ص ٩٢، ٩٤، ١٦٥.

النقطتين الثانية والثالثة، وهما اللتان تخصان تكوين الشعور بالتفوق عند المسلم، وانهيار البناء الروحي للمستكبرين، إن بقيت أيديهم مالكة لأدوات التقدم المادي كما نراه في واقعنا.

إن مناقشة هذه النقاط إجابة على السؤال الذي عرضناه، والذي يخص انتصار المستضعفين بقيادة المهدي على المستكبرين رغم تفوقهم المادي الملحوظ، فهل يجدي سلاحه التقليدي ـ السيف ـ أمام أسلحة متقدمة؟

إذا تأملنا بعض النصوص المنقولة إلينا نجد أنَّ أدوات الانتصار والأسلحة التي يستخدمها في معاركه الحربيّة تكون متوفرة لديه، ومجهولة لدى خصومه من المستكبرين، ويكون هذا السلاح من نوع جديد كما يبدو، أو مشابهة لتقنية السلاح الذي يستعمله خصومه، كما يكون لديه تكتيك عسكري فعّال يعتمد على عنصر المفاجأة والسرعة، والقوة النفسيّة لأعوانه، وضعفها لدى خصومه، وهذا كله يساعده على إرباك العدو قبل أن يتحرك عمليّاً لمواجهته.

ومن هذه النصوص التي تصف سلاحه، وجنده:

ـ " ولهم سيوف من حديد، لا كسيوفكم، إذا ضرب به أحدهم جبلاً قطه ".

ـ "إذا ظهر توقفت الأسلحة، فلم تتحرك في وجهه، ولعله إشارة إلى أنه يظهر سلاح تكون الأسلحة الموجودة في ذلك الوقت رمزية أمامه، ولعلّه إشارة إلى أنّه يستخدم نوعاً من السلاح يعطل كل الأسلحة الموجودة، أو يجمد كل الآليات المتحركة "[1] ولا مانع أبداً إسنادهعليه السلام بمدد عيني.

ـ "يخرج بجيش لو استقبل به الجبال لهدمها، واتخذ فيها طريقاً"[2]

(١) كلمة الامام المهدي/ الشيراوي ص ٣٨.
(٢) يوم الخلاص ص ٢٣٢، البيان للكنجي الشافعي ص ١٣٢/ القول المختصر لابن حجر ص ٤٨.

كإحداث نفق في وسطها، أو اتخاذها مواقع عسكرية، أو تحصينات قتالية، وهذا بالتأكيد لا يتم بسلاح تقليدي كالسيف، بل بأسلحة حديثة متفوقة تقنياً كالمتفجرات واشد، وقد قلنا إن كلمة " السيف " قد تكون رمزاً للسلاح المعروف في عصره.

ولديه جيش كما تقول بعض الروايات يسمى.. جيش الغضب.. ولهذه التسمية دلالتها النفسيّة سنشير إليها، بعد نقل النصوص المعنية بأمر هذا الجيش، فقد ذكر الإمام علي عليه السلام أنَّ الإمام المهدي (ع) " يخرج موتوراً غضباناً أسِفاً لغضب الله على الخلق "[1]، وعندما سئل الإمام الصادق عن قوله تعالى، ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ فقال: هو أمرنا، أمر الله عز وجل ألا نستعجل به، يؤيده الله بثلاثة أحفاد.. بالملائكة، وبالمؤمنين، وبالرعب"[2].

- "ينشر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء، فيسير الرعب قدَامها شهراً وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً"[3]، وربما يعني هذا أن القوى التي تسمع عن حركة المهدي وانتصاراتها يتملكها الخوف من انتقامه حتى لو كانت في أقصى الدنيا. وتنهار نفسيّات القادة ويبدأون في التسليم له قبل المواجهة العسكرية، ومبايعته طوعاً أو كرهاً كما تقول الروايات.

- والقائم منَّا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب"[4]

- "إن الله يُلْقِيْ في قلوب محبينا الرعب من عدونا. فإذا وقع أمرنا

---

(١) يوم الخلاص ص ٢١٠.
(٢) غيبة النعماني ص ١٦٢.
(٣) يوم الخلاص ص ٢١٠.
(٤) المصدر السابق ص ٢١٦.

وخرج مهدينا كان الرجل من شيعتنا أجرأ من ليث"[1] أي أنَّ ظهوره يُحْدِثُ تعديلاً في السلوك بعد ظهور الإمام عليه السلام.

ـ "اذا هزّ رايته أضاءَ لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع الله يده على رؤوس العباد، فلا يبقى مؤمن إلاّ صار قلبه أشد من زبر الحديد"[2].

ـ ونقل القندوزي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: "اعجب الناس إيمانا وأعظمهم يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي صلى الله عليه وآله، وحجبت عنهم الحجة، فآمنوا بسواد على بياض"[3]. ويقصد أحاديث مكتوبة بمداد أسود على ورق أبيض.

وتدلنا هذا النصوص على حقيقتين:

١. أن خوف المؤمن قبل المهدي يتحول إلى ثبات وقوة وجرأة بعد ظهوره.

٢. أن تسلط المستكبرين قبل خروجه، يتحول إلى خوف ورعب بعد أن يسمعوا بتحركاته وانتصاراته الحاسمة، فتخمد عدوانيتهم الظالمة ويظهر خوفهم منه.

كما أن هذه النصوص حدّدت جانباً من الطاقات المادية والمعنوية لجيش الإمام المسمى بجيش الغضب، وكشفت عن الحالة النفسية المتدهورة لبعض المستكبرين كالرعب منه، والتسليم له بدون قتال[4] حتى لو كانت قواته بعيدة عنهم، وتشير هذه النصوص إلى تفوق أسلحته، كما تكشف كذلك عن القوة النفسية للإمام ولجنده الميامين التي تساند طاقاته المادية

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣١/ ينابيع المودة ج٣ ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) يوم الخلاص ص ٢١٠.

(٣) ينابيع المودة ج٣ ص ١٧٠.

(٤) انظر مثلاً كتاب " البرهان في علامات مهدي آخر الزمان " للمتقي الهندي ص١٢٤، وكذلك القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر.

فتحسم الصراع لصالحه في مدة أقل من سنة كاملة كما تدل بعض المرويات، بل إن هذه التسمية لجيشه ترفع بالتأكيد من معنويات مؤيديه خلال فترة الغيبة الكبرى، وتخلق في نفوسهم شعوراً بالتفوق والقوة والشدة على أعداء الله ورغبة حماسية تنتهي بتحطيم كل هيبة للمستكبرين في نفوسهم، فتصبح كل نفس تنتظر الإمام متمنية الانضواء تحت لواء جيشه المظفر . . جيش الغضب الذي لا يقاوم ولا يعرف الهزيمة قط، وهي في ذلك ـ أي النفوس المسلمة المنتظرة ـ متعالية على الواقع الاستكباري، غير عابئة به رغم ضخامة إمكانياته المادّية المتوفرة لديه.

إن التفوق الاستكباري في فترة الغيبة أمر واقع لا ننكره، ولكن غاية هذه الروايات المنقولة إلينا، والتي تحدد نمط المواجهة بين الإمام والمستكبرين هو تغيير المعادلة، وإعادة ميزان التفوق لصالح المسلمين، وذلك بتحطيم هيبتهم أولاً في نفوس المستكبرين وإزالة مخاوفهم من هذا التفوق، وتحطيم كل إحساس بالدونيّة في نفوسنا ازاء المستكبرين، فلن يستطيع المسلم - في أي مكان وزمان - أن يحطم شعوره بالتفوق الاستكباري المزيّف إلا ببناء قوة مادية ضخمة، وبإعداد روحي وعقائدي، وبتعبئة نفسيّة متكاملة بحتمية انتصار الإسلام على القوى الأخرى، وهذه مؤشرات على تغيير المحتوى الداخلي للذات المسلمة المنتظرة في فترة الغيبة.

إن ورود كلمة " جيش الغضب " في النصوص، إنما يستهدف تكوين مشاعر الثقة عند المستضعفين المؤمنين، وتنمية الإحساس بالعزة وروح الاستعلاء على قوة المستكبرين مهما تعاظمت، وللإيحاء لكافة المستضعفين ـ حتى لو كانوا غير مسلمين ـ بأن لهم جيشاً مذخوراً لا يضاهيه في قوتيه الروحية والمادية جيش آخر، وربما تصل هذه التسمية إلى أسماع الطغاة وقت ظهوره، فيسير لهم الرعب مسيرة شهر، وقبل أن يصلهم بشهر، وهي فترة

كفيلة بانهيار روح المقاومة لديهم، وحينئذ لن تنفع المستكبرين أدوات الفتك العسكري والأسلحة المتطورة طالما أن البناء الروحي لهم منهار يأكله الرعب والخوف حتى قبل المواجهة المباشرة.

وبتأمل النصوص نجد أنها تشير إلى احتمال قيام حروب وفتن سابقة لظهور الإمام، وقد يفنى ـ والله اعلم ـ فيها أكثر من ثلثي العالم بالحرب، والمرض، والفقر والجوع، فمن المحتمل جداً أن تدمر الحرب الآلة العسكرية للقوى المستكبرة، ويبلغ انهيار البناء الروحي لها حداً لا تستطيع فيه إعادة بنائها، فإنّ النفوس منهارة، ويكون هذا الظرف عنصراً ينتصر به الإمام، وسلاحاً يستغله في حركته التاريخية، فيأتي جهاده على جراحات المستكبرين فيما بينهم والناتجة من تحالفهم مع بعضهم.. كل هذا مجرد فرضية قابلة أن تكون أو لا تكون.

وليس بمستبعد أبداً أن تقضي هذه الحرب على مكتسبات المدنية والتقنية الحديثة بتدمير هائل للمصانع وموت اكثر العلماء المخترعين، وانهيار رجال السياسة، والاقتصاد، وتراجع في مسيرة الخط الصناعي في الأمم المستكبرة، وليس المقصود من ذلك تخلف في التقدم التقني، فهذا لا نتوقعه، وإنما تراجع الإنتاج الصناعي مؤقتاً بتناقص عدد المبدعين والمخترعين، وتحطم كثير من الأجهزة العلمية المستعملة في السلم والحرب معاً، فتصاب البشرية بعد هذه الحرب بأزمة أو كارثة تقنية.. كل ذلك مجرد احتمال.

وفي ضوء هذا الاحتمال لا يستطيع أحد توقع إيجابي دائم لمصير حضارة الاستكبار من حيث نمو قوتها التصاعدية أو تراجعها، ولا يستطيع كذلك التهوين من نمو حضارات أخرى قادمة أكثر أمناً وعدالة ورقياً، ومنافسة للحضارة الاستكبارية القائمة الآن، وتقوم على أنقاضها، فالحضارة الاستكبارية بسبب تناقضاتها الداخلية تحمل في أحشائها بذور حضارة أخرى

اكثر منها سمّواً، ويثبت التاريخ أن للحضارات أجل محدود مهما عمّرت وامتد بها الزمان.

هل قرأت سورة الكهف؟ وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وواجهوا كيانا وثنيا حاكماً لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وهدة الشرك، فضاقت نفوسهم ودب إليها اليأس وَسُدَّت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بَعْدَ أن أعيتهم الحلول، وكبر في نفوسهم أن يظل الباطل يحكم، ويظلم ويقهر الحق، ويصفّي كل من يخفق قلبه للحق، هل تعلم ماذا صنع الله بهم؟ إنه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف ثم بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه، قد تداعى وسقط، وأصبح تاريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرّك ساكناً، كل ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته، واستمراره، ويروا انتهاء أمره بأعينهم، ويتصاغر الباطل في نفوسهم، ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكل ما تحمل من زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدّ حياتهم ثلاثمائة سنة، فإن الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهو مجرد نسمة[1]، ذلك مثال قرآني من تاريخ البشرية لتعزيز ثقة المستضعفين بأنفسهم بهزيمة المستكبرين. . مثال لتربية المنتظرين على الثقة بالذات.

---

(١) السيد الصدر/ بحث حول المهدي ص ١٥-١٦ ويذكر صاحب كنز العمال في كتابه (البرهان) أن بعض أعوان الإمام المهدي عليه السلام هم من أهل الكهف/ انظر البرهان ص ٨٧، ١٥٠ ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يشهد أهل الكهف مرة أخرى على هزيمة أخرى للواقع الاستكباري، وكذلك معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج١ رقم الحديث٣١٣.

وفي تاريخنا المعاصر القريب شهد المستضعفون بأعينهم سقوط الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، وانهيار حلف وارسو بأسره. . . وهذا مثال آخر شاهد على إمكانية هزيمة المستكبرين وتحطيم هيبتهم بإذن الله تعالى.

**٣. تمجيد المنتظرين وتسفيه المستكبرين:**

ولمواجهة الواقع الاستكباري المريض وتحطيم هيبته في نفوس المستضعفين من المؤمنين، اتجهت بعض النصوص[١] إلى تمجيد الشخصية المسلمة المنتظرة للإمام، وذكر فضائلها خلال فترة الغيبة، واتجهت نصوص أخرى إلى تسفيه المستكبرين والمنحرفين والمنافقين[٢] وبيان عيوبهم، وهذه المقابلة مثال لمعالجة الواقع الإنساني بأسلوب المعالجة بالأضداد الذي تبناه المشرع الإسلامي في تعديل سلوك الشخصيَّة وإعادة صياغتها وفق المعايير العبادية.

وتمجيد المنتظرين وتسفيه المنحرفين يرتبط بعدد من الأهداف النفسية لرفع قدرة المنتظرين على المواجهة، وشحن نفسيّاتهم بالثقة، وتقوية رصيد الإحباط لديهم، والمحافظة على قوة الاستعلاء عندهم خلال تعاملهم مع المستكبرين، وتأصيل روح التميز في نفسيّات المنتظرين وهم يعيشون جاهلية أشد من سابقاتها، ومواجهة الصعاب المختلفة.

وفي مقابل ذلك نجد عدداً كبيراً من النصوص أوضحت جوانب الحقارة في الذّات المنحرفة، وانتقدت تصرفات شأن الظالمين المستكبرين بوجه خاص، فالإشارة إلى مواطن هذه الحطّة والمفاضلة بينها وبين الشخصية الملتزمة، يقصد منها تذكيرها بغربتها عن الأصول الثقافية والروحيّة للإسلام

---

(١) ذكرنا ـ هنا وهناك ـ عدداً من هذه النصوص، ويمكن للقارئ الكريم مراجعتها مرة أخرى في الفصل الرابع ص١٠٧ ـ ١١٥ وفي صفحات أخرى.

(٢) كذلك تفرقت في الكتاب النصوص الإسلاميّة التي انتقدت جماعات المستكبرين والمنحرفين، والمنافقين وأعوانهم.

وللمسلمين، كما يقصد من عملية التسفيه أيضاً تذكير الفئة المستكبرة بحقارة النفس، ولو امتلكت الوسائل التي تغطي هذه المشاعر، فممارسة الاستكبار تعويض علني لحقارة ذليلة تدفن رأسها في داخل النفس، لكن المستكبر ينكر وجودها ليصنع لنفسه مسوغات السلوك الاستكباري الصادر عنه، فالتمجيد والتسفيه يصبان في اتجاه واحد ويحققان هدفاً واحداً هو تحطيم الهيبة التي تكنها النفوس المسلمة الضعيفة إزاء المستكبرين، وهما على اتجاههما المتعاكس يلتقيان في النهاية عند مصب واحد، وهو إبقاء الشخصية المسلمة المنتظرة للإمام في حالة توازن نفسي وعقلي في وسط دائرة انحرافات متراكمة ومقنعة بتفوق تقني هائل لحضارة الاستكبار، فمن جهة يكشف التمجيد عن مواقع القوة في شخصية كل المنتظرين، ومن جهة أخرى تعري نصوص التسفيه نفسية المنحرفين وسلوكهم غير السوي فيتعادل الميزان النفسي لصالح المسلم المنتظر.

وإذا لم يحس المستكبرون بمثل هذه الحقارة في أنفسهم، فإنه يكفي للمنتظرين أن يشعروا بالثقة الكاملة، ويتمرسوا على الشعور بالقوة، وهم يواجهون يومياً إحباطات المستكبرين وسقوطهم، ولا يثمر هذا الإحساس إلا عن نمو متزايد لمقدرة المنتظرين على تحطيم هيبة المستكبرين المفتعلة، وبناء عبادي لذواتهم من أجل حماية أنفسهم من تأثيرات الانحراف وضغوطاته الشديدة.

ومما لا شك فيه أن للمفاضلة أثرها النفسي في إمداد الشخصية المنتظرة بحالة من التوافق النفسي، كما من شأن عملية الحط من الذات المنحرفة أن تصنع شعوراً بالعار، والتفاهة وكره خفي للذات، والرغبة في الانتقام، والتستر بالاستكبار لإخفاء مثل هذه المشاعر، إذن ـ للتمجيد والتسفيه ـ أثرهما النفسي على شخصية المنتظر والمستكبر.

إن النصوص التي مجدت المنتظرين تستهدف تنمية إمكانياتهم في

مواجهة أنماط العصاب وحالاته بمختلف مواقف واستجابات السلوك العبادي السوي، وأن يتعاملوا معها دون أن يقعوا في السقوط فيه، فيمنعوا أنفسهم، من التبعية للآخرين، ويحرروها من وهدة الارتياب والحيرة وتقلب المزاج، ويحيطونها بأسوار العزة وسياج الكرامة، وهذا مما يحقق للشخصية المؤمنة المنتظرة قدراً معقولاً من التوازن الداخلي، ويزيغ عنها توتراً تعززه عادة حالات العصاب النفسي كالشعور بالمذلة، وعدم الثقة بكفاءة الذات.

أما الأثر النفسي للتسفيه، فيكوّن حالة نفور داخلي في شخصية المستكبر وكره لها ويؤدي إلى محق شعوره بالثقة لكنه مع ذلك يظل متكبراً بغير حق، مستعلياً على الآخرين مفسداً في الأرض، تأخذه العزة بالإثم إذا قيل له اتق الله، مما يزيد من قلقه، وتوتره، وعدوانيته على الغير، ويختل توازنه وتضعف معنوياته. . وهذا يساعد على تنمية أفضل لقدرات المنتظرين وقوة لهم.

كما أن السلوك الاستكباري الذي استهدفته النصوص الإسلامية بالنقد والتسفيه قد يؤدي إلى تدهور قاتل في العلاقات العامة بين الناس، فتقسوا القلوب، وتمتلئ الأرض جوراً، ويكثر القتل، حتى تحزن ذوات الأولاد، وتفرح العواقر[1]، وتبقر البطون، لأن القتل الذي يمارسه المستكبرون في الأرض يجعل العواقر وذوات الأولاد متساويات من حيث حرمانهن للولْد، فالعواقر حرمن أصلاً من الإنجاب والذرية أما ذوات الحمل والولد فحرمن من أولادهم بموتهم، فيؤدي هذا الوضع المأساوي إلى فرح مريض من العاقرات، لأنهن يشعرن بالتساوي مع الأمهات[2].

وهكذا نجد لتمجيد الذات وتحقيرها فاعلية نفسيّة واضحة في المحافظة

---

(١) يوم الخلاص ص ٤٣٨، وكذلك عقد الدرر ص ١٠٨.
(٢) راجع المصدر السابق فصول: الأنصار والبيعة، المؤمنون المنتظرون، أهل آخر الزمان.

على توازن الشخصية المنتظرة وهي تواجه استكبار أعداء الحق، ولها فاعليّة كذلك في التنفير من السلوك الاستكباري المنحط وتحطيم الإحساس بالهيبة من المستكبرين، واقتلاع هذا الإحساس المرضي من سيكولوجية المنتظرين.

### ٤. مقاومة الخبرات الإحباطية:

ومن ثمرات هذه العقيدة تمتع الشخص المسلم المنتظر بقدرته على مواجهة التحديّات، والصبر الواعي على تحمل آلام المواقف الإحباطيّة التي تصنعها دائماً حياة الانحراف. ومن سمات المنتظرين كما تذكر النصوص هو نجاحهم في التمتع بقدر كبير من وصيد الإحباط[١] بعد أن يفشل الكثير من الناس في مختلف الابتلاءات، فالإيمان بالنصر التاريخي والتيقن من حتمّية وقوعه يمكّن شخصية المسلم المنتظر من اكتساب خبرات جهادية تقاوم المواقف الإحباطية المتنوعة التي يواجهها باستمرار، كما أن وجود هذا الوصيد في شخصيته يعود لعملية الإعداد التربوي والتثقيف العقائدي المستمر، ويعود كذلك لفاعلية بعض المفاهيم الإسلامية كالإثابة، والتعويض عن آلام هذا الصمود، وضغوط سلسلة الإحباطات المستمرة بإثابة أخروية عظيمة الشأن " فمن ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد"[٢] و"سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد فيهم له أجر خمسين منكم، فقالوا: " يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن؟ فقال: " إنكم لو تحملون ما حملوا، لم تصبروا صبرهم"[٣].

---

(١) مصطلح نفسي يراد به قدرة الفرد على الصبر، وعلى الثبات العاطفي وتحمل الشدائد ومقاومة الإحباط والحرمان والصدمات الانفعاليّة بطريقة توافقية بالمعيار العبادي والوضعي معاً، انظر كتاب أصول علم النفس ص٤٩٨.

(٢) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق ج١ ص ٢٨١.

إن فترة انتظار الإمام المهدي عليه السلام قد تطول وقد تكون بعيدة، وينبغي للمسلم المنتظر أن يهيىء نفسه لذلك، إن هذا الانتظار تراه النفس بعيداً " إذا نظرنا إليه بمنظار آمال الأفراد ـ كل واحد بخصوصه ـ فقد يمضي الموت بالأفراد دون أن تكتحل عيونهم بفجر هذا الأمل " إنه بالنسبة إليهم بعيد.. بعيد.. كذلك هو أمل بعيد بالنسبة إلى كل مجتمع بمفرده وخصوصه فقد تمضي القرون على مجتمع دون أن يحقق في نظامه ومؤسساته هذا الأمل العظيم. ولكن هذا الأمل على مستوى النوع البشري كله أمل قريب، لأن الأحداث التي تغيّر مسار الجنس البشري كله لا تقاس بأعمار الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات، ولا بالحركة التاريخية في هذا النطاق أو ذاك أو ذيّاك، وإنما تقاس بما يتناسب مع حجم النوع الإنساني كلّه، ومع حركة التاريخ العالم كلها،.. إن ألف سنة مثلاً في عمر فرد زمن كبير طويل،... كذلك الحال بالنسبة إلى عمر حركة تاريخية في مجتمع من المجتمعات، ولكن ألف سنة في عمر البشرية كلها زمن قصير بالنسبة إلى فترات التحول التاريخية الكبرى التي أدخلت تغييراً شاسعاً على المسار التاريخي للجنس البشري كله، فنقلته من مستوى معين إلى مستوى أعلى منه مرتبة ونوعية. إن فترات التحول التاريخية الكبرى ـ كما نعلم ـ تستغرق ألوف السنين، أو بالأحرى عشرات الألوف من السنين.. إنها حركة التاريخ الكبرى[1].

ولعل هذا الانتظار البعيد بهذا المعيار – عمر الفرد أمام المجتمع الواحد – قد سبب لبعض النفوس التي لم تستوعب المفهوم ولا حركة التاريخ.. سببَ إحباطاً، وقد عايشنا نماذجاً من هذه النفوس التي إذا ادلهمت بها الخطوب، وازدحمت عليها الضغوط، وحاولنا الموازنة بين هذا اليأس والإحباط بالإشارة إلى فرج الله تعالى، ردّوا علينا بنفس محبطة، مقبوضة، حزينة من

(١) حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام / محمد مهدي شمس الدين ص ٢١٨.

المستقبل . . متى يكون هذا الفرج!!! وكأن عقولهم ليست واثقة من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[1].

ولهذا السبب نجد أن مجاهدي العالم الإسلامي الذين فهموا عقيدة الانتظار لم يعرفوا في حياتهم يأساً رغم استمرار ضغوط الواقع الإحباطي، إنهم نذروا أنفسهم لرضا الله، وتحقيق هدفهم الكبير لبناء مجتمع إسلامي يمهد لدولة الحق في إطار هذا الأمل، وفي نطاق هذه البشارة بالنصر، لكن الكفر واتباعه من منافقي العالم ومستكبريه، ومنحرفيه يجمعون كافة قواهم لإعاقة سلوك المؤمنين عن بلوغ أمنيتهم الإنسانية الكبرى.

ولكن ما أثر هذه المقاومة للخبرات الإحباطيّة في التوازن النفسي للشخص المسلم المنتظر؟

إذا تمكن المجاهدون من الصمود والمقاومة ـ وهذا ما أنبأت عنه نصوص البشارة ـ فإنّ خطراً حقيقياً يتهدد أمن المستكبرين ويقلق مضاجعهم، ويحطم كل هيبة لهم في نفوس المستضعفين، وسيعلي من شأن المغبونين والمضطهدين وتعزيز الثقة في أنفسهم، وأنَّ قدرة المجاهدين سوف تتنامى على حساب دعاة الواقع المنحرف، وسوف يتم التمهيد لأرضية جديدة ينبت فيه مستقبلاً مجتمع العدل الإلهي الموعود، ولا يعني نهاية التناقضات التاريخية بالمرة، بل العكس من ذلك تماماً، فالمعركة الحضارية الشاملة سوف تظل ملتهبة بين الجانبين حتى اليوم الموعود، وستظل التناقضات مستمرة حتى ذلك الموعد، بل ما يعنيه هذا الأمر هو تغير ملحوظ في ميزان القوى لصالح المسلمين يحسم نهائياً في يوم الخلاص (أي فترة الظهور).

ولما كان المؤمنون بعقيدة الانتظار ليسوا متساوين تماماً في ملكاتهم الروحية، ومتفاوتون في مؤهلاتهم العلمية والفكرية، ودرجات الكفاءة

---

(١) سورة المعراج، الآية ٧.

الإدارية والسياسية لديهم، فإن بعض النفوس قد تمرض وتنهار وترتكس، وتسمح لبعض من اليأس أن يتسرب إلى داخلها وبخاصة إذا ادلهمت الأزمات، وأوهم المستكبرون هذه الشريحة باستحالة تحقيق نصر قريب أو بعيد، وقد رأينا كما قلنا من خلال معايشاتنا اليوميّة أن بعض المواقف الإحباطية قد حجبت وضوح الرؤية عند بعض المسلمين المنتظرين، إثر هزائم ونكسات أصابتهم نتيجة سوء تخطيط، أو ضعف وعي أو بطء في العمل أو ازدياد قوة خصومهم.

ولكن هذا الإحباط سرعان ما يتلاشى أثره إذا ما أحرز المسلمون ـ هنا وهناك ـ بعض الانتصارات، ويمكن أن نسجل بفخر واعتزاز أن وصيد الإحباط في الشخصية المسلمة المعاصرة قد بلغ نضجاً يجعله يقاوم كل استعداء، وكل مؤامرة لتحطيم شعورنا الداخلي بانتصار الإسلام والأمل بحتمية انتصاره.

ويبدو لنا أن وصيد الإحباط وقدرة المؤمنين المنتظرين على مقاومة هذا التحطيم هو السبب ـ اليوم ـ في نمو بوادر اتجاه جديد للإسلام بين الشباب، فلولا هذه المقاومة لكل الإحباطات الظالمة لتأخرت كثير من الانتصارات التي غيّرت جزءاً من المعادلة الدولية الظالمة، وقلبت بعض موازين المواجهة لصالح المسلمين، وبخاصة في السنوات الأخيرة من قرننا العشرين، فمثل هذه التحولات ـ برغم محدوديتها ـ حاصرت الشعور بالضآلة في النفس المسلمة، وأعادت روح الثقة إلى جنباتها، وأنجبت لنا صحوة إسلامية، أجبرت العالم على الاعتراف بالمد الحضاري للإسلام، وتأثيراته الروحية والسياسية[1].

---

(١) ولوقف هذا المد تصدى أعداء الإسلام له بمختلف أشكال التشويه مستغلين بالتأكيد أخطاء السلوك عند بعض المتدينين كاستخدام القوة ضد غيرهم.

ومن أعظم الدلالات النفسية لمفهوم الانتظار هو تصعيد القدرة مع مقاومة كل سعي عدائي لإعاقة حركة الأمة في اتجاه الإسلام، والتفاعل مع قضيته الأولى.. قضية إثبات الذات وتأكيد تميّز الوجود الحضاري للأمّة، وتخليص روحها من مخالب التبعية والاستلاب والسقوط الحضاري في أحضان قوى الاستكبار.

**٥. التفريغ الإيجابي لشحنات القهر:**

ذكرنا من قبل أنَّ الإنسان وبخاصة المؤمن الذي ينتظر الإمام المهدي عليه السلام، يواجه في فترة الغيبة الكبرى، الطويلة الأمد أنماطاً مختلفة من الضغوط والمآسي والمحن القاسية، ويتعرض على أثر هذه الأزمات لحالات العصاب النفسي وربما الفكري، كالقلق والحيرة، والبلبلة والتشكيك والحزن، والقهر والخوف، وهي جميعاً من ثمرات الواقع الاجتماعي والسياسي الفاسد المحيط به من كل حدب وصوب.

وتقرر نصوص إسلامية كثيرة أن الناس يعيشون مثل هذه الأزمات، ومثل هذه الحالات النفسية، وبالذات قبل اليوم الموعود بسنوات قليلة، فانفعالات الحزن والقهر والفزع الشديد تقتل إنسانية الإنسان، ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة الحزينة التي تسود العالم كله ترتبط إلى حد كبير بمظالم المستكبرين ومآسيهم ضد الفقراء، والضعفاء، والمغبونين في كل أرجاء العالم، لكنها في الوقت نفسه تهيئ النفوس المظلومة للتعاطف مع حركة التغيير الكبرى المرتقبة في عصر الظهور المبارك.

وعلى الرغم من أن النصيب الأكبر من عمليات القهر قد وجّهه المستكبرون للجماعات المؤمنة في كل أرض، إلا أن الظلم قد وجه - وبقوة شديدة - لجميع الفئات المستضعفة الثائرة بلا استثناء لأن نفوس المستكبرين لا تهدأ ولا ترتاح إلاّ بإفراغ نوازعهم العدوانية، والتعويض عن كل إهانة نفسية توجه ضدهم، بالانتقام من الآخرين، وقهرهم، والاستكبار عليهم

سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فالمستكبر وهو يمارس عدوانيته لا يعرف ديناً ولا نوازع إنسانية.

إن نزعات قهر المستضعفين وبخاصة المؤمنين الصابرين المنتظرين لأمره تعالى، تتسع حدّة بمرور الزمن، وتزداد شدتها كلما ازدادت هوّة التناقض التاريخي بينهم وبين قوى الاستكبار، وخاصة بعد أن تطورت فعلياً أدوات القمع تقنياً، وهي أدوات يمتلكها عادة المستكبرون لا المستضعفين، ولا يملك الاستكبار لرد اعتباره والمحافظة على مصالحه سوى استخدام هذه الأجهزة القمعية المتقدمة تقنياً طالما أن جهاد المستضعفين يهدد فعلياً أمنه، ويعرّي للتاريخ وللبشرية فضائح المستكبرين الظالمين.

وبتأمل ظاهرة القهر النفسي والاجتماعي والسياسي في السلوك الاستكباري نجد أنها تنطوي على أمرين يتصل كل منها بالآخر وهما:

أ ـ أن حقد المستكبرين إذا وضعناه تحت المجهر النفسي نجده تعبيراً عن رغبة هذه الفئة الظالمة في الانتقام من الآخرين، وممارسة سياسة السلوك الأبوي ضدهم، فإذا أبى الناس هذه النزعة المريضة صبّ المستكبرون غضبهم الشديد ضد المظلومين، وأصبحوا هدفاً للظلم والإيذاء، لا لسبب إلاّ لأنهم أرادوا أن يكونوا عبيداً لله وحده، ورفضوا أن يلبس هذه العبوديّة آخرون مثلهم.

ومن الجدير بالذكر أن مجرد الحقد - وحده - لا يكفي لإشباع رغبة المستكبرين في قهر الآخرين، فإذا لم تتوفر لدى هؤلاء قوة تمكنهم من فرض القهر فإن حقدهم يظل محبوساً بين جنبات النفس يتحين الفرصة المناسبة للانفلات ويبقى حالة وجدانية سالبة تأكل ذوات المستكبرين من الداخل، ولكن هذا الحقد المقيت ينطلق بقوة عندما تتوفر للمستكبر قوة القهر، وأدوات القهر.

ب ـ إنّ شعور المستكبرين (بالاستعلاء) ينبع أصلاً من شعور مرضى

طرفاه متناقضان هما الإحساس بحقارة الذات والزهو بالقوة، لهذا يلجأ الظالمون إلى التعويض عن هذا التناقض الوجداني بإثبات القوة وممارسة سلوك الاستكبار، وبخاصة إذا توفرت - فعلياً - أدوات القمع التي تساعدهم على اتباع سياستهم الظالمة ضد الآخرين، وقد نصت بعض الأقوال الإسلامية بشأن ظاهرة الاستكبار، حيث نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: " ما من أحد يتيه إلا لذلة وجدها في نفسه " وفي نص آخر: " ما من رجل تكبر أو تجبر إلاّ لذلة وجدها في نفسه ".

وبمقتضى هذين النصين نجد أن الجذر النفسي للسلوك الاستكباري هو الإحساس بالحقارة، فإذا ما شعر المستكبرون بحقارة أنفسهم، وأقلقهم هذا الإحساس كثيراً، حاولوا أن يجدوا في قهر الآخرين وسيلة لإخفاء حقارتهم الداخلية بالتظاهر بالعظمة، والاستعلاء الذي لا مسوغ له، وبهذه الحيلة، وهذه الطريقة يحاولون تخفيف حدّة القلق، والفشل المؤلم، والتقليل من مشاعر الإحباط.

ويزداد هذا الإحساس حدّة، ويتبعه بالتأكيد استكبار محموم، حينما لا يسمح المستضعفون بقبول العلاقة القهرية التي يحاول المستكبرون فرضها فتنشط محاولات القمع، وبخاصة أن المستكبر لم يتقبل ذاته تقبلاً واقعياً، وأغرته بعض القدرات والإمكانيات التي بيده على الاستمرار في ممارسة سلوك التكبر ضد الآخرين والعدوان عليهم.

إن الذي يوغر صدور هؤلاء المستكبرين ويثير حفيظتهم من الأحقاد ضد المؤمنين المنتظرين هو رغبة الجماعات المؤمنة في التطهر والتسامي، ونزع كل كبرياء من عقول الطغاة الجبابرة، لأن الكبرياء والعظمة في تفكير المسلم من حق الله وحده وأن الطغاة ليسوا إلا عبيداً له ولا يتميزون عن أحد بشيء ما، لكن المستكبرين لم يقبلوا هذه التركيبة النفسية، وأوهمتهم نفوسهم المريضة منازعة الله في ردائه، لا لتغطية شعورهم بالحقارة، وتخفيف حدة

القلق فحسب، بل لإشباع رغباتهم في تعذيب ذواتهم لأنهم يعلمون أن الثمرة الطبيعية لهذا الاستكبار هو عداء الآخرين لهم، والإصرار على ممارسته لا يعني فقط تعويض الشعور بالحقارة، أو حفظ الامتيازات، بل القبول بعداء الناس وكرههم، وهو نمط مرضي تأنس فيه النفس تعذيب الآخرين لها، وترتضي السلوك المنحط، وفي ضوء ذلك يفهم النص التالي: "الكبر رداء الله، فمن نازع الله عزّ وجل رداءه لم يزده الله إلاً سفالاً "[1].

وثمة نصوص كثيرة ـ كما قلنا مسبقاً ـ تبين حالات الحزن، والقهر، وتحقير المؤمنين، وإهانتهم نفسيّاً، وبالذات في الفترة التي تسبق الظهور، وعلى امتداد فترة الغيبة الكبرى كلها وهي نصوص تكشف العلاقة القهرية بين المستكبر والمستضعف، ويمكن للقارئ الكريم أن يتأمل هذه النصوص[2] ويطابقها بواقعنا الإنساني المعذب.

ـ "المؤمن يمشي بينهم بالمخافة، فإن تكلم أكلوه، وإن سكت مات بغيظه".

ـ "يأتي على الناس زمان، المؤمن فيه أذل من شأنه".

يكون المؤمن محزوناً محتقراً لا يستطيع أن ينكر إلا بقلبه. يبلغ عندهم كل هوان، فلا يجرؤ على نقد السلوك الاجتماعي العام، وإذا سمح له بالنقد لا يستمع إليه أحد، وإذا أصغى إليه بعضهم لا يتغيّر من واقع الفساد شيء.

ويبلغ الجزع، والشعور بالمذلة درجة يتمنى فيها المؤمن أن يكون ميتاً.. لقد أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن النبي قوله: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه"[3] وأخرجه مسلم بنصه تقريباً.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ج٢ ص ٣٧٤.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى/ محمد الصدر ص ٢٤٠-٢٥٠.

(٣) انظر مثلاً علامات يوم القيامة لابن كثير ص ٢٧، ٢٩، ٨٩/ عقد الدرر ص ٤١٣.

كذلك أخرج مسلم أيضاً عنهﷺ قوله: " والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب القبر ".

وروى الصدوق في إكماله عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: " انه يعاني المؤمنون في زمن الغيبة من ضنك شديد وبلاء طويل وجزع وخوف"[1].

وبالتأكيد فإن تمني الموت بهذه الدرجة من الشدة تدل على صعوبة الزمان وشدة الجزع من ضغوطات الواقع ومضايقات أهله التي لا حصر لها ضد المؤمن المغلوب على أمره، ويكون هذا التمني نتيجة لسيطرة الواقع المنحرف الذي يحيط بالمؤمن من كل حدب وصوب، ونتيجة للفساد والطغيان، واليأس من أمر إصلاح الحياة بقوانين ظالمة موضوعة شرّعها الإنسان من وحي خيالاته وأوهامه، وصنع منها سياسة استكباريّة ضد أخيه.. ضد المؤمن وغير المؤمن.

ومما لا شك في أن هذه الضغوط المتراكمة على امتداد زمن الغيبة تؤثر في سيكولوجية الفرد المسلم المنتظر، وتعرضه للأمراض النفسية إذا لم يكن لديه قدر معقول من وصيد الإحباط، وخطورة بعض هذه الحالات العصبية أنها تنقل المسلم أحياناً إلى عصاب فكري أشد من العصاب النفسي هو عصاب الكفر، كما تؤدي إلى إعاقة السلوك الإسلامي كلّه عن إنجاز الهدف الكبير.. قيام دولة الحق والتمهيد لها. ومن هنا أنبأت بعض النصوص عن سوء الواقع النفسي للمسلم في فترة الغيبة كالحيرة، والنكوص بعد عملية التمحيص والابتلاء والغربلة، مثل قوله (عج) المهدي نفسه: " قد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد

---

(١) البرهان/ للمتقي الهندي ص ٨٥، ٩٢، ٩٤.

وقسوة القلوب"[1]. و" ستطول غيبته حتى يرجع عن أكثر القائلين به"[2].

وعلى الرغم من هذا الحال، فإن الحزن عند الفرد المنتظر ذو طابع إيجابي يخلو من الحقد الأعمى، كما هو حال المستكبر، فلا يرد المؤمنون على (الحقد) بحقد آخر، بل إنّ المنتظرين المضطهدين الذي تملّكهم الحزن لا يتوقفون أبداً عن المجاهدة.. مجاهدة أنفسهم حتى وهم يتعرضون لمواقف الحقد كيلا يتعاملوا مع الحاقدين بتفجير مشاعر حقد أخرى، ومجاهدة الآخرين لرفع الظلم وتحقيق مبدأ العدل، وبلغة علم النفس اليوم يمكن القول بأن الشحنات الانفعالية السالبة تحولها الروح الطيبة عند المؤمن إلى صفح وإعلاء وسمو في سلوك الذات، فحتى الرد على (المستكبرين) يوجه ضد شخص قد آذى المؤمنين فقط، ولا يوجه ضد شخص عاش مستكبراً ولكنه لم يُؤذِ أحداً لعجز فيه أو لجبن منه أو لسبب آخر منعه عن إيذائهم.

ولكي تعيش الشخصية المنتظرة حياتها متوافقة، خالية ما أمكن من الصراع النفسي المرضي ومن متاعب الإحباطات المستمرة المؤدية عادة إلى العصاب الذي يشل قدرة الذات على أداء تكاليفها العبادية، فإن النصوص الإسلامية كأدعية الإمام المهدي والأئمة الآخرين(ع)، وزياراتهم، والاستغاثات المتكررة توجه الإنسان المؤمن المقهور إلى طريق إفراغ شحناته الانفعالية الضارة، وتمكينه من مواصلة تعديل سلوكه باستمرار حتى يكون قادراً على اكتساب القيم والمعايير الإيمانية السليمة التي تخفف عنه وطأة التناقض بين الواقع المنحرف، وآماله بتغييره حسب الوعد بالنصر المحتوم وتخفيف حدة الصراع لديه.

---

(١) كلمة الإمام المهدي/ الشيرازي ص ٢١٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩.

وكما مرّ عليك أيضاً أن الأدعية التي مارسها الأئمة المعصومون بما فيهم المهدي عليه السلام تسعى دائما إلى المعادلة بين اليأس من عدل الطغاة، والأمل بتحقق البشارة والثقة بالنصر المأمول، وبقدرة المؤمنين على تغيير الواقع، وبهذه المعادلة تتوازن الذات المسلمة المنتظرة إلى حد كبير.

وقد ذكرنا مثلاً أهمية الإكثار من الدعاء بتعجيل الفرج لأن فيه فرجاً واطمئناناً وشعوراً بالأمان، وذكرنا كذلك أهميّة الجهاد في الرد على المعتدي، وأشرنا إلى ضرورة الاستغاثة بالله واللجوء إليه، قال الإمام المهدي عليه السلام: " أكثروا من الدعاء، بتعجيل الفرج" و" أن تعطيني أماناً لنفسي وأهلي وولدي وسائر ما أنعمت به عليّ حتى لا أخاف أحداً "[1] و"أنت كهفي حين تعييني المذاهب، وتضيق علي الأرض بما رحبت"[2] و"استغثت وأغثني، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، واصلح لي شأني كله"[3].

**٦. المعادلة بين اليأس والأمل:**

كما تحدثت نصوص الحوادث المستقبلية عن بشارة الانتصار وحتميته، فإنها كذلك تحدثت ـ إجمالا وتفصيلاً ـ عن خط الانحراف الواسع في حياة الأمة خلال فترة الغيبة الكبرى[4]، وتؤكد الشواهد التي نعيشها أن وقائع كليهما يقع بالفعل، فخط الانحراف موجود يدركه كل فرد مسلم، وخط حفظ الإسلام وثباته، وصموده وقدرته على مواجهة التحديات، وبشائر انتصاراته موجود أيضاً.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٢٥.

(٤) انظر معجم أحاديث المهدي ج١، ج٢، حيث وردت أحاديث كثيرة عن مظاهر الانحراف في المجتمع البشري.

إن الانحراف قد اتسعت رقعته تدريجياً، وما تزال الساحة التاريخية مليئة بآثاره ومظاهره فكما أنبأت النصوص الإسلاميّة بأنه سوف تتعمق هوة التناقض التاريخي بين الخطين. . خط الانحراف وخط الإسلام، لكنَّ الأمل بتغيير الحال من أهم بشائر عقيدة المهدي(ع) وكل مؤمن بهذه العقيدة يطوي بين حناياه الإيمان بهذه البشارة، وحتى النصوص التي شخصت واقع الانحراف أنبأتنا عن ازدهار المستقبل، فعلى الرغم من المخاوف وخيبات الواقع المنحرف المرير، وضغوط القوى غير الإسلامية إلاّ أنَّ هذه النصوص تحاول أن تعادل بين الشعور الناجم عن هذه الخيبات وبين مشاعر الأمل، وكما أن النصوص قد ملأت عقل المسلم وروحه ببشائر المستقبل الأفضل، فإن حركة التاريخ نفسها تقضي بذلك - فليس بعد اليأس إلاّ فرج، وليس بعد الظلم إلاّ عدل.

وهذه المعادلة ذاتها تنطوي على شعور فيّاض بالأمن النفسي إن لم يكن دنيويّاً فبعالم الآخرة، لأن أجر المعاناة مأمون في اليوم الآخر، وتفريج الهم والغم، وتحقيق الانتصار وتسيير مبدأ العدل في الدولة الحق، أمر لا يستطيع المستكبرون أن يمنعوه، حتى وإن استطاعوا تأخيره مئات السنين، إنها سنّة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

ونتوقف قليلاً عند بعض النصوص التي شخّصت الصورة العامة للمسيرة البشرية في نطاق خطين واتجاهين متقابلين، يقول الإمام علي: "لتملأن الأرض ظلماً وجوراً، حتى لا يقول أحد الله إلا متخفياً، ثم يأتي الله عزّ وجل بقوم صالحين يملأونها قسطاً وعدلاً"[١].

وفي حديث آخر: " لا يأتي عليكم زمان إلاّ الذي بعده شر منه"[٢]

(١) يوم الخلاص نقلاً عن مصادر أخرى ص ٤٩٤.

(٢) يوم الخلاص ص ٤٢١، ٤٦٩، وهناك نصوص كثيرة عن تدرج الشر وانتشاره شيئاً فشيئاً في الأمة/ انظر علامات يوم القيامة لابن كثير ص ٢٦، وأحاديث المهدي مسند ابن حنبل ص٥٧.

وقوله: " إذا رأيت كل عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر "[1] وفي رواية أخرى أضافت " مما كان "[2].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: " يتغير أهل الزمان حتى يعبدوا الأوثان، ويبتلي المؤمنون، وتولد الشكوك في القرآن، وتخلع ربقة الدين من الأعناق "[3].

والنصوص التي تتحدث عن أدق تفاصيل الواقع المنحرف كثيرة جداً، ولسنا في معرض هذا التفصيل كما ذكرنا مراراً، ولكننا نشير إلى ذلك الانحراف الذي يشمل أنماطاً واسعة من حياتنا العامة حتى يصل كما تثبت الوقائع إلى أستر جزء منها.

ولا مناص أن يمتد الانحراف في أكبر دائرة من حياة الناس ـ ومنهم المسلمين ـ حتى ليكاد يشمل العالم كلّه، وهذا الامتداد وفق منطق النصوص الإسلامية متدرجاً من سيئ إلى أسوأ، وينتهي الأمر كما ذكرت نصوص عديدة بذكر الله خفية لخوف الناس المؤمنين من ظلم المستكبرين، ولا يقصد من ذلك عدم قبول الناس للفظ الجلالة، وإنّما عدم قبولهم بالدعوة إلى الله والتمكين لجنده في الأرض بالسيطرة والظهور العلني لقوتهم.

ولعلّه من الطبيعي أن ينتاب النفس الإنسانية ـ مسلمة أو غير مسلمة ـ يأس من تغيير هذا الواقع، وهو يأس يتفاوت حسب درجات الوعي والمقاومة الداخلية لدى الفرد، وليس لسوء الحال الذي نعيشه سوى نتيجة واحدة هي الشعور بالضيق، والضنك، وظلمة الدنيا، وتمني الموت، وقد مرّ علينا من قبل كيف أن المرء يمر على قبر غيره فيمرّغ نفسه على تراب قبره متمنيّاً أن

(١) المصدر السابق.
(٢) يوم الخلاص ص ٤٣٣.
(٣) المصدر السابق ص٤٩٥.

يكون هو صاحب القبر، ولكن كيف تستعيد الذات المسلمة المنتظرة في فترة الغيبة توازنها الداخلي وتسترد وعيها، وثقتها، وأملها بازدهار المستقبل؟

إنَّ النصوص كما أسلفنا أشارت إلى بعض البشائر بصورة خط الإسلام وصموده، وقدرته على الاستمرار حتى في وسط بيئات يسود فيها الظلام، وقد مرّ علينا قبل قليل النص: لتملأنّ الأرض ظلماً وجوراً حتى لا يقول أحد الله إلا متخفياً... ثم يأتي الله بقوم صالحين يملأونها قسطاً وعدلاً.. ويبدو أن هؤلاء القوم كما يذكر نص آخر يأتون من المشرق فيوطئون للمهدي عليه السلام:

- " يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي "[1].

- وفي نص آخر: " إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء "[2].

ونذكر مرة أخرى أن البشائر لما تنطوي عليه من جوانب نفسيّة إيجابيّة تجدد آمالنا، وتبعث في نفوس المسلمين الشعور بالثقة مهما صعبت المعاناة بل إنَّ الأحداث التي تضمنت جانباً من البشائر قد تمت، حيث قلبت هذه البشائر بعض الأحداث المؤلمة إلى آمال منتظرة، أنعشت النفس المسلمة بعد أن بلغت أدنى مستويات يأسها، ويعني ذلك كله أن تلك البشائر أسبغت عليها نعمة التفاؤل بمستقبل الإسلام - رغم مرارة الألم وقسوة الظلم.

إن اليأس والأمل اللذان يتجاذبان النفس المسلمة في عصر الغيبة الكبرى هما في واقع الأمر نتاج خطي الانحراف.. والعودة إلى خط الإسلام.

---

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان/ الكنجي الشافعي ص ٩٩، ١٠٥ / علامات يوم القيامة ص ٢٢/ الصواعق المحرقة ص ١٦٤/ عقد الدرر ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢/ القول المختصر لابن حجر ٣٠، ٣٣، ٥٧ / البرهان للمتقي الهندي ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩ وغيرها من المصادر.

(٢) غيبة النعماني ص ١٢٨، ١٣٣.

فالانحراف الشامل الذي يلف حياتنا، ويصل إلى أستر جزء منها، يولد في النفس المسلمة شعوراً بالخطر، ويفرز حالة يأس من تغيير واقعنا المنحرف، وشؤماً من إصلاح أوضاعنا، وما أن ينفذ هذا الإحساس إلى نفوسنا حتى يتذكر المؤمن تلك البشائر الموعودة، فيتجدد أمله، وقد يصل إلى درجة مفرطة من الحماس، والشعور بازدهار مستقبله، ومستقبل دينه حينما يتحقق أمام الأذهان بعض من هذه البشائر، لأن البشارة حينئذ لم تعد وعداً بل أصبحت واقعاً يفخر به التاريخ، وتوجه حركة الأحداث فيه نحو الخير، وتجعل المسلم يستعيد المبادرة الحضارية من جديد في دورة تاريخية أخرى.

وإذا تقابل في نفسية الشخص المسلم المنتظر الضغط الناجم عن خط الانحراف، والأمل بعودة خط الإسلام فإن النتيجة الطبيعية لهذا التقابل هي التوازن بين التشاؤم من سوء الحال، والتفاؤل بازدهار مستقبل العالم الإسلامي والإنساني معاً، فالفعالية النفسية للبشارة تمتص الضغط النفسي وتوجهه في طريق التفاؤل.

إن اليأس وهو عامل سلبي يواجه عند الفرد المسلم المنتظر بأكثر من عامل إيجابي، فهناك عاملان إيجابيان يشاركان في بناء سيكولوجية المؤمن- بالإضافة إلى عامل ثالث هو البشارة الذي أشرنا إلى تأثيره في سيكولوجية المنتظرين في فصل سابق، أما العاملان فهما:

أولاً: عقيدة التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى، وأنه القوة المطلقة التي تهيمن على حركة الوجود كله، فإذا أدّى المسلم ما عليه من مسؤوليات وواجبات، وحقوق حددها المشرع الإسلامي، فلا عليه أن يجري التاريخ في أي اتجاه، ولا يهمه أن تتوجه الأحداث في أي طريق وفق إرادة الله عز وجل.

ثانياً: عقيدة النصر.. والفوز المؤكد في الآخرة، وهما إحدى

الحسنيين التي يتطلع إليهما الإنسان المسلم، ففي الانتصار الدنيوي إثابة دنيوية مباشرة تجعل الإنسان المؤمن متسيداً، مستخلفاً لله في أرضه، وفي الشهادة ضمان للإثابة الأخروية الموعودة وعداً إلهياً.

إذن ثمة عوامل إيجابية ثلاثة[١] تواجه مؤشراً سلبياً، وقد أسهمت هذه العناصر في إمداد شخصية الفرد المسلم بعناصر القوة، وهي قادرة في فترة الغيبة الكبرى ـ إذا اجتمعت مع البشائر ـ على مواجهة اليأس، وإيصال شعور المؤمن إلى حالة الاطمئنان النفسي بفرج الله تعالى، وبتحقيق الانتصار المؤزر، ولا تكون فرصة لنمو صراع نفسي مرضي يؤثر على مسيرة الشخصية وتوازنها الداخلي.

وأيضاً يوجد عامل رابع هو وجود الإمام نفسه حيّاً وتحسس المنتظرين لحيوية هذا الوجود كما رأينا سابقاً في الشعور بالأمان.

كذلك قدرة الفرد المسلم المنتظر على الفهم الإيجابي لحالة اليأس والتعامل معها بثقة تحت وهج المفاهيم والعوامل السابقة الباعثة على الأمل وتجديد القوة والنشاط في الذات المؤمنة بالانتظار.

أما الأشخاص الذين لا يتفاعلون مع هذا العوامل مجتمعة، وتتأثر نفوسهم بها فإنهم يواجهون إحباطاً نفسياً مريراً قد يتحول إلى حالة يأس قاتلة، وتكون نفوسهم مسرحاً لصراع عنيف بين رغبتهم في إصلاح الواقع، والعجز عن مواجهة ضغوطاته، وبالتدريج يتحول ذلك الصراع إلى إحباط مدمّر، وخيبات أمل مريرة ومعقدة، تثبط النفس عن المقاومة والنشاط الثوري والجهادي حتى على مستوى البناء الداخلي للذّات.

وإن نصوص المشرع الإسلامي في مسألة الانتظار تحقق التعادل في الشخصية المسلمة المنتظرة، بين يأس الانحرافات وأمل البشائر، بين

---

(١) علي الكوراني، الممهدون للمهدي/ ص ١٥.

الإحباطات المستمرة وبين القدرة على تحمل الشدائد والمحن، بين ضغوطات قوى الظلم، والإيمان برفع هذه المظالم عن كاهل البشرية المنكوبة بجراحاتها، وآلامها، وعندما يتعادل اليأس والأمل في نفسيّة الشخص المنتظر، تخف ظاهرة الصراع النفي لديه، وربما تتقدم تماماً، فلا ينشأ توتر نفسي حاد، ولا تنمو عقد وأمراض تمنع المؤمنين خلال هذه الفترة عن أداء مسؤولياتهم، وهذا خلاف حال الأفراد والذين لا ينتظرون إلاّ خيبات أمل، فهم يتألمون من سوء الحال كتألم المنتظرين ـ وربما أشد ـ ولكنَّ أملهم بانتصار الحق محدود، فنفوسهم تكتوي بمرارة الواقع المنحرف المسيطر، ولا تثق بتغييره للأفضل. . . إنهم يائسون حتى من بصيص " أمل " بتغيير محدود.

ومما هو جدير بالذكر أن عقيدة المهدي تحد من الانحراف، وتشحن كذلك نفوس المنحرفين، والظالمين بهزيمة النهج الذي اتبعوه مهما امتد خط الانحراف وقويت شوكته في تاريخ البشرية، إنهم ـ وهم يسمعون بفكرة المهدي ـ يتوجسون خيفة، ويرتقبون غداً مظلماً بين كل لحظة، وحتى لو غفلوا حيناً عن أجراس هذا الخطر باعتباره خطراً بعيداً، فإنّه يداهم نفوسهم في لحظات الاسترخاء، ومراجعة النفس، وعند الخلوة مع الذات.

ويكفي هذا العقيدة أنّها تدخل الرعب في قلوب الظالمين، وتجعل اليأس يدب في نفوسهم، وبخاصة أنّها حركة مباغتة تقع فجأة وبدون توقيت محدد لها، وهذا كما يجعل المؤمن في ترقب أمل لا يهدأ عن التفاعل معه، يجعل المنحرفين أيضاً في حالة قلق نفسي مستمر لأن عدم التوقيت للظهور يشعر الظالمين في أية فترة من عصر الغيبة بأنهم معنيون بالوعد الإلهي على يد وليّه في الأرض، فتظل نفوسهم في رعب مرتقب، ويأس من ديمومة سيطرة الانحراف على المظلومين والمعذبين، فمثل ما يتوقع الفرد المنتظر أملاً ببعث الإسلام من جديد يتوقع الظالمون والمنحرفون شرّاً ونهاية لتسلطهم، ولنفوذهم.

### ٧. إثارة الإحساس بالمظلومية:

تؤكد النصوص الإسلامية، وكذلك تجربة الحياة أن الظلم هو أبرز علامات الفساد الذي يسود العلم كلّه في فترة الغيبة، حيث تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، وبالرغم من سرعة الانتشار المذهل لأنماط السلوك المنحرف، إلا أن الظلم هو أقبح صورة للفساد الذي يعم البشرية، بل إنه الوباء التاريخي الكبير الذي يصيب البشرية فيدمر العلاقات بين أفرادها، ويؤجج الصراع فيما بينهم على مصالح زائلة، وهذا يجعل البشرية تخسر كثيراً من قدرتها في عمليات البناء والتعمير.

وإذا تأملنا هذه الظاهرة نجد أن البشرية لم تخلو قط منها في أية فترة من تاريخها الطويل باستثناء بعض الفترات القصيرة التي يقيم فيها الأنبياء، والنخبة المؤمنة حكم العدل الإلهي، لكن وباء هذه الظاهرة ظل يمتد مع الزمن ويتشعب حتى غطّى اليوم مساحة كبيرة، ويبدو أنه ستفاقم الظلم بالرغم من المقاومة للظالمين والمنحرفين حتى يصل إلى حده الأقصى عند بدء الظهور.

ومما يثير الحزن فعلاً أنّ الظلم كسلوك عدواني منحرف عن جادة الحق يوقفه المرء ضد أخيه، بل ضد نفسه أحياناً، لدرجة أن يبلغ الأمر باعتقاد الناس فيما بينهم، أنهم ما لم يظلموا الآخرين ظلموهم " فمن لم يكن ذئباً أكلته الذئاب "[١]، وكما أكدنا مسبقا فإنَّ للمستكبرين دوراً كبيراً في تأسيس الظلم واستمراريته، فهم دائماً مصدر الظلم ضد الناس سواء قبلوه طواعيّة أو قاوموا المهانة النفسية، غير أن القاسم المشترك بين فئات المظلومين هو الإحساس بالمظلوميّة، ولا اختلاف بينها إلا قبول بعضهم للمذّلة قبولاً اختيارياً جباناً لحفظ مصالح دونية زائلة أو مقاومة الإذلال بمشاعر العزة، وسواء كان المظلومون أعواناً أو معارضة فإن أذى الطغاة يلحق الضرر

(١) جاء حديث شريف بهذا المعنى، ونقله ابن شعبة الحراني في كتابه (تحف العقول) ص ٤٤.

بالفئتين.. فالأذلاء طوعاً يتذوقون طعم " الاستعباد " والمهنة الداخلية في نفوسهم وإن حسبوا أنفسهم أحراراً، والمعارضون المغضوب عليهم يتذوقون طعم " الضغط والتهديد"، والنفي والسجن، وقطع الأرزاق، والملاحقة، ومع ذلك يشعرون بالانتصار الداخلي وإن كانت أدوات الظلم بين الظالمين تحصد فيهم ما تحصد.. فكلا الفئتين تتذوق ضغط الظلم، ولكن لكل منهما طعم نفسي آخر.. طعم المهانة أو طعم العزة والشعور بالكرامة.

والإحساس بالمظلومية هو أول ثمار العلاقة القهرية بين المستكبرين والمستضعفين، غير أن بعض الفئات التي تحسست مظلوميتها لا تستثمره في استغلال " الذات " والمحافظة على كرامتها، ولكن في عقيدة الانتظار إثارة واضحة لهذا الإحساس، وتأكيد على أهميته في تحقيق التوازن النفسي للفرد. بل إن هذه العقيدة تدين من يتحسس المظلومية ثم يحبسها في نفسه، فإن الله عز وجل فوّض للمؤمن كل شيء إلا أن يذل نفسه[1] - ويقصد من ذلك الإحساس بالمظلوميّة ينبغي أن يكون باعثاً على الشعور بالكرامة وحافزاً على الجهاد في سبيل الله خلال فترة " الغيبة " ولو بإعداد " سهم "[2].

إنَّ كل سلوك يقترن عادة بدافع معيّن، فهو القوة المحركة التي تستثير الفرد فتصدر عنه استجابات سلوكية، ومما لاشك فيه أن الإحساس الداخلي بالمظلومية يمثل قوة نفسية للمقاومة والجهاد، والمحافظة على الذّات من كل جهد يسعى لاستلاب عزّها بمغريات مادية زائلة، لهذا نجد أن المقاومة التي تبديها الجماهير المسلمة المنتظرة في عصر الغيبة شديدة الارتباط بمدى تحسسها للمظلومية، فهذا الإحساس يحرك في هذه الجماهير شعورها

---

(١) ميزان الحكمة ج٣ ص٤٤١

(٢) جاء في أحد النصوص أن استعداد " المنتظرين " يمكن أن يتم بإعداد سهم، وهو أحد أنواع السلاح التقليدي السائد في البيئة العربية، قال النص: " ليعدن أحدكم لخروج القائم ولو سهماً " غيبة النعماني ص٢١٩.

بالكرامة وشعورها بتحمل مسؤولية رفض الظلم بمختلف أشكاله، بل إن الجيش الذي يزحف به الإمام المهدي عليه السلام يوماً من الأيام معبأ بهذا الإحساس، ويحقق انتصاراته التاريخية الحاسمة بتأثير مجموعة عوامل يكون تحسس المظلومية في صدارتها، وفي ضوء هذا الفهم يكون الإحساس بالمظلومية هو مصدر كل سلوك جهادي في سبيل الله تعالى، فيحشد طاقات المؤمنين لتصب في مجرى الخير وكي يبلغ هذا الإحساس مداه، يحاول النص الإسلامي بناء سيكولوجية شجاعة عند المسلم، تأبه بالحق وحده ولا تخشى الباطل، فالمظلوميّة ليس غبناً ميتاً لا جدوى منه، بل هو روح الرفض الذي يعلم صاحبه الشجاعة وصلابة الموقف في مقاومة الظلم.

ومن المؤكد أن قدرة النص على إثارة إحساس المنتظرين بالمظلومية يترتب عليه مجموعة أخرى من الأحاسيس التي سبق أن أشرنا لها، كمقاومة اليأس، والأمل بتحقيق الغلبة على أعداء الحق، وتكوين شعور بالتفوق على المستكبرين، والرغبة في تحطيم هيبة الواقع المنحرف الظالم الذي أقاموه إلى أنقاض العدالة، فهذه المشاعر الحيوية ليست سوى ناتج طبيعي، لرفض الظلم وتحسس المظلومية بمفهوم إيجابي يحقق للذات المنتظرة توافقاً سوياً.

وإذا ما استطاع النص كما تثبت الوقائع دائماً، إثارة أحاسيس المظلومين، فإن طاقات خامدة سوف تتحرك لتغيير الواقع الفاسد، فليست وظيفة النص مجرد إثارة الإحساس فحسب، بل تجميع هذه الطاقات وتوظيفها من أجل إنجاز الهدف الرسالي المحدد في عصر الغيبة، وبالتالي يكون الترقب إيجابياً يفجر طاقات الفرد المسلم المنتظر.

ونجد في أحاديث الإمام المهدي استثارة للأحاسيس بالمظلومية عند المسلم المنتظر، جاء في أحد الأدعية " اللهم اجعله مفزعاً لمظلوم عبادك، وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك " أي أن الإيمان بالمهدي يمثل في حقيقته دافعاً لتحسس المظلوميّة، وطلب الأمان، وكان الإمام نفسه يدعو على

الظالمين وهو بهذا يستثير هذا الإحساس، فيحرم على قواعده ومؤيديه مبايعة المستكبرين والإذعان لسلطتهم، ويذكرهم بأن لا بيعة لظالم في أعناقهم.

وللإحساس بالمظلومية أثر فعال في تحقيق التوافق النفسي للشخصية المنتظرة، وقد تعرفنا على بعض جوانبها فيما مضى، وسوف نتابع بعضاً آخر.

فاستثارة هذا الإحساس يحقق للمظلومين هدوءاً نفسياً، ويشعرهم براحة البال، فهذه الاستثارة استفراغ لشحنات القهر والغبن، وهي من جهة أخرى رد واقعي يؤرق الظالمين ويرد للذات اعتبارها المعنوي المفقود.

إن المظلوم بحاجة لتفريغ شحنات القهر وتفريج الهم المدمر عن ذاته وتنظيفها من آثاره كي تظل نفسه متوازنة غير أن تفريغ هذا الإحساس يكون سلوكاً سوياً إذا صرف في عمل جهادي مشروع يحقق للنفس توازناً، ويحميها من خطر صراع متوقع بين رغبته في التعبير عن هذا الإحساس برد مناسب، وبين عجزه العملي عن الرد، لهذا يمكن القول بأن الإحساس بالمظلومية قد يكون منبعاً لنشأة بعض الأمراض النفسية كالشعور بالمذّلة، والتبعية للآخرين إذا ظل هذا الشعور حبيساً بين أسوار النفس، وإذا لم يفرغ في سلوك دفاعي معقول عن الذات، فالمظلوم العاجز لا يملك سوى اجترار الحزن، وتقبل الضعف والهزيمة في كيانه النفسي، والشعور بالضآلة أمام القوى الظالمة والإذعان لها.

غير أن التفريغ إذا لم يتحقق في مسلك جهادي[1] يمكن أن يتم في صورة استغاثة صادقة بالله، استغاثة يشعر فيها بالأمن بين يدي ربّه، وتتحول فيها ذاته بعد إفراغ مغبونيتها بين يدي الله إلى قوة تقاوم الضغط، وتبني في

(١) مثلاً يفرغ المسلم طاقته النفسية في جهاد ضد المشركين أو يستثمر حماسه لخدمة مبدأ عبادي، ويسخر مشاعر الحزن في الدفاع عن عقيدة إسلامية، هذا التفريغ يأخذ طابعاً إيجابياً.

داخلها حصوناً للمناعة النفسيّة ضد نهج الاستكبار، فإنْ لم يكن الإفراغ للشحنات الانفعالية إيجابياً، فليكن على أقل تقدير إفراغاً سلبياً يحمي الذّات المسلمة من براثن المرض النفسي، والسقوط تحت مظلة التبعية والإذعان، وإفراغاً يمنع تحولّ الانفعالات إلى قوة تدمير للذات من داخلها.

وهذا الإحساس أيضاً يجعلنا نتحسس الخطر الذي يطرحه علينا الأعداء، فيدفعنا إلى المقاومة دفاعاً عن أنفسنا، فالظالمون ـ عادة ـ يتصورون أنهم وحدهم الذين لهم الحق في السيطرة على الناس، لكن الإحساس بالمظلومية يمنع إشباع هذه الشهوة المريضة إذا ما تحول الإحساس إلى قوة ردع قادرة على عقاب الظالمين عقاباً عادلاً، وبسواعد المظلومين أنفسهم، وبالتأكيد يرسم هذا الرد علامة تعجب في وجوه الظالمين، لأنهم تعودوا أن تمتد أيديهم الغاشمة إلى رؤوس الآخرين دونما تمييز، لا أن تمتد قبضات الآخرين إليهم فتهشم رؤوسهم. إنهم تعودوا الظلم ولم يتعودوا على رد كيدهم إلى نحورهم.

وتثبت الشواهد المعاشة أنه عندما يتحول الإحساس بالمظلومية إلى جهاد ومقاومة يكون له فاعلية في تعرية النفس الظالمة وأحوالها، واكتشاف مدى خوفها وجبنها، فمجرد أن يرتد كيد الظالم إلى نحره يولي هارباً، حتى لو كان مسلحاً بأدوات القوة المادية، وبخاصة أن الظالم يدرك أن الخطر الذي يواجه المظلومين يستشير همتهم ويضاعف طاقاتهم للدفاع عن وجودهم في مواقع المواجهة، وإذا ما نجح المظلومون في ذلك، فإنَ هذا الإحساس يساعدهم على تهديد أمن الظالمين.

وخلاصة القول بأن استثارة النص لهذا الإحساس اكتشاف لفعاليته في مواقع الجهاد مع الظالمين، وهو كذلك تقدير لحقيقة الذات، ومعرفة قدراتها، وبخاصة أن هؤلاء المظلومين الماضين على هدي القرآن و السنّة والمؤمنين بعقيدة الانتظار يتطلعون إلى أن يكونوا هم القوم الصالحين الذين

بشر بهم النص السابق ذكره:

" لتملأن الأرض ظلماً وجوراً حتى لا يقول أحد الله إلا متخفياً. . . ثم يأتي الله بقوم صالحين يملأونها قسطاً وعدلاً "[1].

وحينئذ يتذوق هؤلاء القوم ثمار المظلومية التاريخية التي أحس بحرارتها المؤمنون دائماً.

**٨. الأمن النفسي للمظلومين:**

ونلاحظ أيضا أن مفهوم الانتظار لا يكتفي بإثارة الإحساس بالمظلومية عند المؤمنين المظلومين الذين وقع عليهم الاضطهاد والظلم، وإنما يسعى كذلك إلى تحقيق الأمن النفسي في القلوب المضطهدة بالرغم أن كل المثيرات العدائية حولهم تضاد هذا المسعى، ومن المؤكد أن مجرّد إثارة الشعور بالمظلومية ليس إلا خطوة ممهدة كي ترسو النفوس المثقلة بهموم الزمان وأهله عند حالة معقولة من الأمن النفسي.

فالشعور بالأمن ضرورة أساسية من ضرورات الحياة التي أكد عليها المشروع الإسلامي، وهو دافع حيوي لتحقيق توافق الشخص المسلم، وأن أهمية هذا الأمن تكمن في تأمين مستوى عال من الثبات العاطفي والعقائدي في مواجهة صعاب الحياة وتحدياتها الظالمة، وأن الإحساس بالأمن يعتبر مناخاً صالحاً لبناء الذات المسلمة المنتظرة وتتخذه جسراً وقاعدة لإنجاز هدفها الرسالي بالدنيا، أو الاطمئنان على مصيرها بالآخرة.

وطالما أن مثيرات الظلم قائمة، وأدوات القوة متوفرة بأيدي المستكبرين، فإن أمن الذات المنتظرة أمر غير ممكن إذا ما تعاملنا مع المسألة بمقاييسها الدنيوية المباشرة: وهذه مجرد ملحوظة قد يثيرها بعض الناس.

لكن إذا نظرنا إلى مقاييس أخرى، تكون النفس المظلومة المجاهدة

---

(١) يوم الخلاص ص ٤٩٤ ومصادر أخرى.

على هدى الله، آمنة رغم الظلم الذي يسود الدنيا، فهي بصبرها واستقامتها واثقة من مستقبلها، سعيدة بآلام المعاناة، مستأنسة، ومنتظرة للثواب الإلهي، فالأمن الذي تسعى إليه الذات المسلمة المنتظرة ليس بالمحافظة على وجودها الزائل في الدنيا، وإنما بضمان مستقبلها في اليوم الآخر ولا نقصد من ذلك بالتأكيد أن تتخلى الذات المسلمة عن تحقيق أمنها النفسي دنيوياً والمحافظة على وجودها، فما الجهاد الذي كلفت به النفس المسلمة إلا لتأكيد هذا الأمن في عالمها الدنيوي ولكن كون الدنيا قصيرة الأجل، فحتى لو عانت من الضغوط المخالفة لأمنها النفسي الدنيوي فإنها لم تخسر بعد أمنها النفسي الحقيقي طالما أن جهادها، وتحملها للمشقة في سبيل الله يحقق الأهداف العبادية، فمن ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا . . أعطاه الله أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد"[1].

والأمان الذي يعنيه الإمام المهدي عليه السلام من نصه اللاحق: " وإني لأمان لأهل الأرض"[2] ليس التشبث بحطام دنيوي زائل، وإنما هو أمن على مستقبل الذات يمر بالإيمان الكامل بولايته عليه السلام باعتباره حجة الله في أرضه، والاعتراف بقيادته ضرورة لضمان أمن المسلم دنيوياً وأخروياً، فمثل هذا النص لا يقصد الأمن من آلام الدنيا، وعذاباتها[3]، وإنما السلامة من الانحراف وبراءة الذات المسلمة من الوقوع في شراكها، فيخرج من دنياه ظافراً، مطمئناً على نفسه في غده، وفي آخرته حتى لو اكتوت نفسه بمعاناة شديدة منها، لهذا كان الإمام عليه السلام يدعو دائماً: " واعطنا منك الأمان

---

(١) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٢.

(٢) الاحتجاج ج٢ ص ٤٧١.

(٣) إلا إذا تم الظهور المبارك وحقق الإمام عليه السلام انتصاراته التاريخية على الظالمين وانتزع منهم القوة والسيطرة على الآخرين، حينئذ تحقق الذات المؤمنة أقصى مستويات الأمن، أمن على حفظ الذات، وأمن تحقيق الإشباع المادي، وأمن اجتماعي يحميها من أذى الآخرين وهكذا.

واستعملنا بحسن الإيمان "[1] ليربط بين تحقيق الإمامة وبين أداء التكاليف العبادية المعبر عنها بـ" حسن الإيمان " .

فالثبات على مبادئ الإيمان في ظل ولاية الإمام المهدي عليه السلام هو الصرح الذي يؤسس عليه الفرد المسلم المنتظر أمنه في اليوم الآخر.

وحتى المصدر الدنيوي للطمأنينة الذي يأتي من الإيمان بالنصر التاريخي للمظلومين، بقيادة المهدي، مرتبط بالأمن الأخروي للنفس المسلمة المنتظرة، فالمفروض أن يعزز النصر التاريخي بقيادة الإمام أمنها النفسي في فترة محدودة ثم يموت الإنسان المسلم ليشعر بحلاوة الأمن الحقيقي، لكن مِنَ المظلومين لا تشاء له قوانين الحياة أن يدرك الإمام، ويموت متنغصاً آلامها، ومع ذلك يعوّض عن ذلك بأمن نفسي يسعى إليه في عالمه الآخر، إذ جاء في النص التالي: "فإن مات ـ يقصد المنتظر ـ وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه"[2].

وهكذا يكون أمن الذات المسلمة المنتظرة للإمام المهدي عليه السلام مزدوجاً . . في الدنيا والآخرة.

**٩. تدفق الحماس وتجدده:**

تثمر الأبعاد النفسية السابقة عن حماس شديد يدب في النفس المسلمة المنتظرة ويتدفق بحرارة في دمائها، فهذه النفس تظل في حال لا يعرف الفتور حتى وهي تتعرض للعوامل الضاغطة التي تضعف الهمة وتمحق العزيمة.

ويظل هذا الحماس وهجاً ينير الدرب للمؤمنين، ويقلق المستكبرين، فلا هو حماس مؤقت، عابر ينفذ بسرعة، لأنه رغبة نزوية في تحقيق بعض

---

(١) كلمة الإمام المهدي/ ص ٢٦٣.
(٢) غيبة النعماني ١٣٥.

المصالح العاجلة المادية، ولا هو رد فعل عشوائي ينتهي بزوال الإثارة، بل هو وعي ناضج مكتمل يجعل.. المتحمس.. يقاوم رغم الضربات الموجعة، ويذوب في إسلامه بوعي عميق، ويدافع عن ذاته بوهج الواجب الديني.

ولما كانت أحاسيس المنتظرين ـ لفئة مستضعفة متميزة ـ تمثل في مجموعها سلسلة متداخلة من المشاعر والانفعالات والمواقف الإيجابية التي تنتهي عند مصب واحد هو إقامة مجتمع العدل - وضمان الأمن النفسي لهم في الآخرة، فإن هذا الحماس متأثر بعدد من العوامل يمكن تلخيصها بإيجاز:

**أولاً: البشائر:**

وهذا العامل أقواها، وأكثرها إثارة للحماس وتدفقاً في نفوس المنتظرين، وقد مرّ عليك أنه ما أن تسترخي النفس أو يداهمها شعور بالظلمة[1]، حتى يتجدد الأمل مرّة أخرى بتأثير إحدى البشائر التي أشارت إليها مجموعة نصوص إسلامية، فحينئذ يبدأ الحماس يتدفق في النفوس، وبقوة انفعال انتقال هذه النفوس ووعيها بمضمون نصوص البشارة، فالحماس يتناسب دائماً مع حجم البشارة وقوة الإثارة فيها، وتثبت الأحداث التي نعيشها أثر البشارة في نفوسنا كانبعاث قوي للإسلام في عصرنا، وظهور بوادر حركة جديدة للموطئين.

فنصوص البشارة ترفع رصيدنا النفسي في مواجهة الواقع المنحرف، وتشحذ الهمم لتحطيم هيبة الاستكبار، وتعزز الثقة بذاتنا الحضارية الأصيلة، لذلك يستمر الحماس متأججاً تحت وهج البشارة الإسلامية.

---

(١) ربما يضعف حماس البعض من المنتظرين الذي ينقصهم الوعي لكنه لا يموت نهائياً إلا إذا ارتبك تفكير هؤلاء تماماً، فنكصوا عن الإيمان بعقيدة المهدي أو تسرب إليهم الشك والحيرة والتردد في أمر وجوده أو قيادته. وتؤكد الروايات توقع حدوث حالات لهذا الضعف.

**ثانياً: التحدي والاستجابة:**

إنَّ واقع الانحراف نفسه في البيئات التي تحاصر المؤمنين، يكفي لإثارة التحدي، ويستوجب الرد على هذا الواقع ومواجهته، فبدلاً من أن ينكفئ الفرد المسلم المنتظر على نفسه، ويعزلها عن الأحداث تجنباً لمخاطر هذه الضغوط، فإن تحركه في ميدان المواجهة للرد عليها هو أفضل طريقة للدفاع عن وجوده، وهذا يتطلب مخزوناً كبيراً من الحماس يهيئه للصمود ومخزوناً من المبادئ الإيمانيّة لمواجهة الضغوط، بل إنَّ قوَّة الحماس لديه تبلغ درجة لا يتراجع فيها المؤمن عن أهدافه حتى لو كسى القهر كل جزء من كيانه النفسي.

فالتحدي الكبير في حياة كل منتظر يحتاج إلى درجة عالية من القدرة الروحية التي تعينه على اختراق حواجز الخوف والجزع من صعوبة الزمان، غير أن ردم الهوة بين التحدي والاستجابة يرتكز على حماس دائم ينبع من وعي إسلامي ناضج بقضية الانتظار، فإذا انعدم هذا الحماس في النفوس الموقنة بهذه القضية فشلوا في التجربة.. وهما عنصران مهمان في صياغة حضارة المستقبل.. أليس كذلك؟

**ثالثاً: البعد التربوي لعدم التوقيت:**

لا يجد قارئو قضية الانتظار وأحداثها تحديداً زمنياً دقيقاً، أو توقيتاً معيناً للحوادث المستقبلية المرتبطة بها، بما فيها مسألة الظهور نفسها، فقد أكّدت النصوص جميعها على عدم تحديد زمن بعينه لوقوع الحوادث المستقبلية.

"كذب الوقاتون.. كذب الوقاتون.. كذب الوقاتون".

"كذب الموقتون، ما وقتنا فيما مضى، ولا نُوَقِّتُ فيما يستقبل"[1].

وفي هذه النصوص بعد تربوي واضح له علاقة بمسألة استمرار

---

(١) المصدر ذاته ص ١٩٤.

الحماس وتدفقه في النفوس المنتظرة خلال فترة الغيبة الكبرى، فالإسلام جعل قضية الانتظار أمراً حيوياً يشغل القلوب المؤمنة حتى يوم الخلاص أو "يوم الفتح" كما جاء في دعاء الندبة، فلا يفتر حماسها في الاستعداد والإعداد، لأنَّ كل جيل يمر ببعض الحوادث المرتبطة بهذه المسألة يحسب نفسه معنياً بالأمر، ويهمه تحديد الموقف الشرعي اللازم الإيجابي والعبادي، لهذا يظل دائم التربيّة لنفسه استعداداً لمواجهة الأحداث كي يُحدد لذاته الحركة الإيجابية المطلوبة، ويؤمن لها المصير الصحيح.. دنيا وآخرة.

أما لو عرف الناس أنَّ موعد الظهور مثلاً بعد ألف عام من الغيبة، وقد مرَّ هذا الزمن عليهم فإنَّ اليأس سوف يقتل الحماس في النفوس التي تأتي قبل الظهور بتسعمائة عام لأنها لن تعيش هذه المدة بالتأكيد، وسوف لن تحظى بلقاء الإمام عليه السلام، كما أن النفوس التي تأتي بعد وقوع بعض الحوادث الهامة والمعينة زمنها بدقة، لن تتفاعل مع هذه الحوادث إلا كعبر طالما أنها أصبحت تاريخاً، ولن يعنيها الأمر، فلا ترقب، ولا استعداد ولن تؤدي مسؤوليات فترة الانتظار، فلو " عيّن لهذا الأمر وقت لقست القلوب ولتراجع عامة الناس "[1] عن الإيمان ليس بالإمام المهدي عليه السلام وحده، بل عن الإسلام كلّه، ويذوب معه أمل الخلاص من الظلم.

وفي نص آخر يبيّن أثر التوقيت في إضعاف الحماس وإماتة القلوب المتفاعلة مع أمر الظهور: " ولو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة وثلاثمائة سنة ليأست القلوب وقست، ورجعت عامة الناس عن الإيمان "[2].

ومن المؤكد انه بدون التوقيت لمسألة ظهور الإمام على المسرح العام

---

(١) يوم الخلاص، ص ٢١٥ نقلاً عن غيبة النعماني.

(٢) غيبة النعماني ص ١٩٨.

للأحداث، يظل الوجدان حيّاً، مترقباً، مشغولاً بحماس شديد بمسألة الانتظار، مهموماً بأمورها، ويحس كذلك بأن ما ينجيه هو العمل لله مع الاعتراف بعقيدة المهدي والإقرار بولايته على المؤمنين والتفاعل مع هذا المبدأ العقائدي بما يرضي الله تعالى.

وإذا لم يكن الجميع مرتبطين بفكرة الانتظار، فمؤيدوها يملكون وعياً وتجربة وجدانية تجذبهم نحو ممارسة النشاط العبادي في إطار الفكرة، ومتطلعين إلى حركة الإمام التاريخية وكأنها على الأبواب.. بل هي قاب قوسين أو أدنى من ذلك.

وليس بمقدور الفرد المنتظر أن يبقى مترقباً إذا كان حماسه لهذه القضية الحيوية فاتراً ومعدوماً، ويكون الأمر بخلاف ذلك باختفاء التوقيت، فيؤدي الفرد المنتظر دوره العبادي وتشرئب نفسه بحماس نحو ذلك اليوم، وسبق أن ذكرنا عقيدة التسليم والوعد بالنصر المأمول وما لهما من دور في إثارة الحماس وتأجيجه وتفعيله بإيجابيَّة في سيكولوجيَّة المنتظرين.

**١٠. الترقب والانتباه:**

تؤثر دوافع الفرد وقيمه في إدراكه للأمور، وقد أثبتت الوقائع التاريخية النفسيّة أثر الدافع في الانتباه أو الغفلة بسبب الشرك والكراهية وعدم الايمان، ومن مظاهر تأثير الدافع مثلاً في الغفلة وعدم الانتباه إلى أمر يكرهه ما حدث لمشركي قريش وأتباعهم من اليهود والنصارى الذين كرهوا الدين الجديد (الإسلام) باعتباره مصدر قلق يهدد أمنهم وسلطتهم، لذا أصبحوا غير متهيئين نفسياً للاستماع إلى النبي والقرآن استماع تدبر وتبصر وتفهم.

وللانتظار أثر ملموس في تحديد انتباه العقل المسلم الذي ينتظر الإمام المهدي عليه السلام، فهذا الإنسان الذي يتوقع حدوث أمر كبير كانتظار الإمام، يركز كامل ذهنه تجاه هذا الهدف، ويظل الانتباه بحجم قوة التوقع وبإيمانه الشخصي.

فمثلاً الإنسان الذي يتوقع أن يقوم بأداء عمل هام في صبيحة غده المبكر، يظل يركز انتباهه بقوة حتى ذلك الموعد، ويسهل عليه بالتالي سماع الساعة الرنانة التي وضعها بجنب رأسه، وما أن يبدأ هذا المثير الصوتي في الانطلاق بموعده حتى يستجيب له عصب السمع بسرعة وانتباه يقظ فيترجم الاستثارة الصوتية إلى استجابة وانتباه كامل، ويتم التفاعل بدرجة مناسبة للإثارة، فيتذكر العمل وينهض بأدائه.

وحدث ذلك لأن تهيأه الذهني، واستعداده العقلي النفسي يساعد بسرعة على انتقاء المثير الصوتي المتوقع حدوثه، وتركيز الانتباه عليه، وإدراكه، وهو هنا صوت الساعة الذي ينتظر سماعه.. وهذه تجربة يوميّة يعيشها الإنسان العادي.

وإذا كان ذهن الإنسان العادي يظل مترقباً، متهيئاً بقوة إزاء مثير صوتي مادي كهذا، فإن الانتباه يكون أكثر تهيؤاً، واستعداداً، وتفاعلاً مع إثارة كبيرة بحجم انتظار الإمام، لأنَّ شدة انتباه الإدراك وقوة التركيز تتوقف على قوة الإثارة المرتقبة.. والفارق بين المثير الصوتي الآنف الذكر، وانتظار الإمام فارق شاسع لا مجال للمشابهة بينهما، والفرد المنتظر وحده يدرك هذه المفارقة جيّداً.. ويعيها بعمق.

وطالما أن مفهوم الانتظار يتضمن دائماً تهيؤاً ذهنياً ونفسياً للقضية الأساسية " قضية انتظار الإمام المهدي عليه السلام " ، فإن هذا المفهوم يجعل هذه القضية وهجاً حياً، يتحرك في كيان الإنسان النفسي والعقلي، في جسده وروحه وعقله، فالمؤمن المنتظر يعيش هذه القضية بكل خلجاته، ويتذكر أهميتها باستمرار، ويبقى انتظار الإمام مثيراً قوياً - لنا - يشدنا دائماً لديننا، وللقيادة الإسلامية لدينا ستكون يوماً قلب التاريخ، وقلب المستقبل.

إن قضية الإمام المهدي عليه السلام وانتظار شخصه الشريف تظل همنا الأول الذي نركز عليه حتى يأذن الله عز وجل في أمره، فالتهيؤ النفسي، والاستعداد

العقلي اليقظ، والتوقع، وهي عناصر أساسية تضمنها مفهوم الانتظار، تشحن الذهنية المسلمة، ويمد الذاكرة دائماً بالحيوية، والمثابرة على أداء المسؤولية الإسلامية عند الأفراد الذين ينتظرون الإمام.

وبهذا يكون الانتظار تجربة شعورية ضخمة تتضمن عنصرين كبيرين في وقت واحد:

أ ـ الحالة الشعورية الخاصة، وهي الوعي بالذات، وبالمنهج الإسلامي، وشعور المسلم المنتظر بالخطر المحدق بالإسلام خلال فترة الغيبة الكبرى، وشعوره بأهمية الإسلام في إعادة البناء للمجتمع الإنساني كله، وبخاصة في عالمنا المسلم.

ب ـ الاستعداد لأداء المسؤوليات، وأداء التكاليف، فالانتظار يهيئ النفس المسلمة للعمل الدؤوب المستمر، ويروضها، ويشجعها على أداء الحقوق والواجبات، وشحنها بدماء جديدة لعمل إيجابي يحقق الأهداف الإسلامية، فالعلم بالأحكام الشرعية لا يكفي ولابد من العمل.

فالانتظار إذن هو التوقع، وهو الترقب الحي والاستعداد الدائم الذي لا يفتر عن التفاعل مع القيادة المتمثلة في الإمام المهدي عليه السلام، لأن هذا الإيمان بالمهدي جعل فكرة المهدي قائمة بالفعل، ننتظر فاعلية إنسان حي يضطلع بمسؤوليته الشرعية ويعيش بيننا بلحمه ودمه، يرانا ولا نراه كما ذكرت النصوص، ويعيش آمالنا، ويخفف عنا آلامنا، ويشاركنا أفراحنا، وأحزاننا، ويؤدي عليه السلام إزاء أمته المكدودة واجباته الشرعية، وهكذا يصنع الانتظار عند الفرد المسلم إحساساً دائماً باليقظة، وإحساساً يجعله حفيظاً "لذاته" في وسط عالم يؤذيه ويناصبه العداء والنصوص في هذا الصدد كثيرة نكتفي بثلاثة فقط.

عندما سئل الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن غياب الإمام المهدي عليه السلام، وحضور ذكره في قلوب شيعته، قال: " نعم يغيب عن أبصار

الناس بشخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره»[1].

ففي هذا النص يذكر الإمام الكاظمعليه السلام بالتحديد لفظ المؤمنين فقط ولم يذكر عامة الناس، لأن المؤمنين فقط، هم وحدهم الذين يهتمون بالقضية التي تأسر قلوبهم، وهم وحدهم المنتظرون المعنيون الذين جعلوا من قضية انتظار الإمام قضيتهم الأولى التي تشغل انتباههم، والتي يتوجه إليها وعي المؤمن وإدراكه، ويترقبه بتهيؤ شديد، ويتحمل من أجلها المظالم والآلام، وعندما يغيب شخص المهدي عن الأبصار، يحضر ذكره في قلوب جماهيره المؤمنة، بالرغم من هذه الغيبة الطويلة. . وهذا الذكر القلبي يتجلى في ممارسات سلوكية ووجدانية دائمة تعكس قمة التفاعل بين الإمام وقواعده الشعبية المحرومة، وليس الذكر لقلقة لسان، بل هو التحام كامل بالإسلام وعمل به وهذه الجماهير تردد يومياً من دعاء العهد هذا النص:

« اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً، وعقداً، وبيعة له في عنقي لا أحول عنها، ولا أزول أبداً »[2] و« اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة»[3].

فالبيعة المتجددة كما ذكرها النص السابق تعني دائماً حضور الشعور بالقضية عند المسلم المرتقب، المنتظر، ويعني حضورها المستمر في الذاكرة. . ذاكرة المؤمنين المنتظرين، ويصل التهيؤ منتهاه بأمنية المؤمن للجهاد بين يديه كما يوضحه النص التالي: « اللهم كما جعلت قلبي بذكره معموراً، فاجعل سلاحي بنصرته مشهوراً »[4].

---

(١) يوم الخلاص، باب غيبته الصغرى ص ١٧٨.

(٢) كلمة المهدي ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٢.

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٢.

### ١١. الحب والولاء:

تنطوي التركيبة النفسية للإنسان على ميل فطري نحو الحب، فالإنسان يستجيب له تلقائياً رغم كل المعوقات، ويسعى دائماً إلى إشباع هذه الحاجة في حب الذات.. أو حب الآخرين سواء كانوا أفراداً أو ممتلكات أو أشياء أو مبادئ: وحين يتأخر هذا الإشباع يؤدي بدوره إلى الإخلال بالتوازن الداخلي لشخصية المحب.. فتعيش توتراً وصراعاً نفسياً قد يكون مدمراً.

وبالرغم من أهمية كل المثيرات الخارجية التي يخلع فيها الفرد حبّه، إلا أن حبّه للقيم وللمثل العليا والمبادئ المنبثقة من حب الله عز وجل، هو أسمى تعبير عن هذه الحاجة الفطرية الأصلية، فمثل هذا الحب الذي يجمع بين الإيمان والقيم ينظم طريقة إشباعنا لهذه الحاجة، ويؤدي كذلك إلى معادلة بين حب الذات، وحب الناس، فيلتقيان معاً في مصب واحد يحقق للإنسان حباً متبادلاً مع المحبوب.

والحب بمعناه البسيط أن ينزع " المحب " نحو " محبوب معين " هو موضوع الحب، فيخلو قلب الإنسان ـ مثلاً ـ من الحقد على أخيه الإنسان، ويفرغ عليه دفئاً، وعطفاً، وحنواً، فيحقق "المحب" إشباعاً معقولاً من حاجته للحب بوجود "موضوع الحب"، وبالتالي يتيح لمشاعر الحب أن تنمو وعندما يحبط الإشباع مرة أخرى تبدأ مشاعر النفور والكراهية في التكون، فالفرد يحب إنساناً "آخر" يتيح له إشباع رغبته في تأكيد ذاته، وإبراز جوانب التفوق له، ويكون العكس تماماً بإعاقة إشباعه هذه الحاجة.. وتتكون الكراهية.

وتنطوي عقيدة الإيمان بالمهدي عليه السلام على إشباع سليم، ومنظم لبعض الحاجات النفسيه كالحاجة إلى الحب والأمن، ولولا أن هذه العقيدة الإسلامية تحقق لجماهيرها المنتظرة إشباعاً مناسباً لحاجاتها لما أصرّت على أن يعيش حبّها الدافئ لهذه العقيدة بالرغم مما تعانيه هذه الجماهير من ضغط

جاهلي يعادي فكرة المهدي، فهذا الحب الذي تكنه الجماهير للإمام، حب قاوم الإحباط كما تثبت لنا الأيام ذلك، وتغلب على شدائد الزمان ومصاعبه، فما الذي يجعل هذه الجماهير تتعلق بهذه العقيدة تعلقاً شديداً، فتقاتل من أجلها، وتموت دونها؟

أليست هذه العقيدة تحقق لهذه الجماهير المقهورة إشباعاً لحاجاتها الروحية وتخفف عنها آلامها، وتفرغ من محتواها النفسي شحناتها الانفعالية المجهدة، فهي مثلاً تثير في النفس إحساسها بالمظلومية وهو إحساس يعبر عن القهر المفروض على المؤمن المنتظر وتحول هذا الإحساس إلى جهاد في سبيل الله يحقق للمسلم إشباعاً نفسياً في تأكيد وجوده ممثلاً في مبدأ الاستخلاف، وهي أيضاً تحقق له أمنا نفسياً وللمظلومين، وتحدث له توازناً بين المحن والبشائر، وهذه العقيدة تثري النفس المسلمة بحماس كبير يجعلها اكثر مقاومة وصموداً لكل الإحباطات، ويتحقق هذا الإشباع لحاجات الجماهير النفسية تطوي حباً عميقاً لهذا العقيدة، فتربي أفراد وجماعة الانتظار على ممارسة مبدأ المشاركة الوجدانية.

وقد حرصت توصيات الإمام المهدي عليه السلام نفسه على تجسيد الحب في ممارسات واقعية بين أفراد الجماعة المنتظرة، كالسلام وإلقاء التحية في صيغتها الإسلامية، وتبادل الرأي والمشورة، وزيارة المرضى، والتواصي بالخير فيما بينها، وحرصت كذلك أن يتجنب هؤلاء الأفراد كل ما من شأنه أن يثير مشاعر الكراهية، وهذا التجسيد للحب الإلهي هو تجسيد للإسلام في حركة الجماعة المنتظرة.

فالحب إذن يربط أفراد الجماعة المنتظرة في حركة تفاعل متآزرة، وتعبر دائماً على تآلفهم، بحيث يكون الفرد أِلفاً ومألوفاً كما دعا إلى ذلك المشرع الإسلامي، فالمودة والرحمة والإنصاف، والعفو، وتبادل الزيارات، والمشاركة الوجدانية بين أفراد والجماهير نماذج عمليّة لتجسيد الحب، بل إن

المعنى الصحيح للانتظار هو تجسيد هذه الحاجة الفطرية في سلوك الأفراد، لكن النصوص كالأدعية والزيارات والأحاديث والرسائل وسائر التوقيعات الصادرة عن الإمام تؤكد أن الحب ليس هدفاً محضاً، بل هو وسيلة تعبير نفسية لتحقيق هدف أكبر يدركه المؤمن تماماً - هو رضا الله تعالى، فهو عز وجل مصدر هذا الحب، ومصدر لإشباع الحاجات عند الأفراد، يقول الإمام المهدي عليه السلام مخاطباً الله سبحانه وتعالى:

" إنك مجيب الدعوات، ومنزل البركات، وقاضي الحاجات، ومعطي الخيرات "[١] ويقول في دعاء آخر: " فالمحمدة لك إن أطعتك، والحجة لك إن عصيتك "[٢].

وتتدفق من الحب الأساسي (حب الله) نماذج أخرى مرتبطة به مثل حب القيادة العادلة، حب القيم الإسلامية، حب الناس لبعضهم، حب المقدسات والرموز الإسلامية، فتمتزج هذه النماذج مع بعضها لتصب في مصب واحد هو نزوع المحب المنتظر إلى حب الله، وحب أوليائه، وحب القيم التي يدعون إليها، فمثل هذه النماذج من الحب، تحقيق لذات المحب، وإشباع حاجة المؤمن المنتظر إلى حب مكنون بين قلبه نحو المثل الأعلى.

ونلحظ في النصوص حبّاً متبادلاً بين القيادة وجماهيرها. فالجماهير المظلومة تتوجه بحبها للقائد الرافض التي تؤكد أن لا بيعة في عنقه لظالم ومن أجل أن يتحقق إشباع هذه الجماهير لحب القيادة، تتحمل ألم الشدائد، ومما لاشك فيه أن هذا الحب ناشئ عن تقدير واقعي للقائد الرافض، ومن قناعة الجماهير بكفاءة القيادة وكمالها، ورشدها، وطهرها، وقدرتها على أداء أمانة

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام، للسيد الشيرازي ص ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥.

السماء، فمسؤولية الاستخلاف في الأرض، وإعادة تعمير الحياة وبناء الحضارة على أسس إسلامية.

وعلى الرغم من أن إشباع حاجة المرء إلى الحب يصل إلى قمته من خلال توجيهه نحو المثل الأعلى، إلا أن دلالة الحب الكامنة في النفوس المنتظرة تكون طبيعية بتوجيه الحب " للمهدي " وحب الدعوة التي يبشر بها، وحب الأفراد المنطوين تحت رايته، وتؤكد تجربة الانتظار أن الأفراد المنتظرين يخلعون نوازع الحب عندهم على هذا القائد المظفر، وعلى أصحابه، وأنصاره، وسوف يترتب عن ذلك أن يكون الفرد المسلم المنتظر محباً ومحبوباً، فهو محب "للمثل الأعلى" ممثلاً في القائد المهدي، ومحبوباً لأن القائد يوجه إليه حبّه، وعطفه، ورأفته، فيتحسس الإمام المهدي عليه السلام آلام المنتظرين، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ويراقب أحوالهم.

ونجد نسمات الحب التي يخلعها الإمام عليه السلام على جماهيره المضطهدة تفوح بها رسائله، وأدعيته، وسائر توقيعاته المقدسة إلى خاصة مواليه، كما نلحظه في رسالتيه للشيخ المفيد، ودعاء الاهتمامات العامة[1]، وبهذا يكون الفرد المسلم المنتظر متمثلاً سلوك قائده، محباً ومحبوباً، في إطار علاقة روحيّة بين الجماهير والقائد. ويشعر فيها المنتظرون أن الإمام يتحرك بلحمه ودمه وكيانه العقلي معهم في السراء والضراء.

وثمة تعبيرات مختلفة يطويها المحب.. المنتظر بين جنبيه نحو المثل الأعلى، نحو القيادة التاريخيّة المأمولة، نحو المهدي المنتظر، ونلحظ ذلك في التفاعل اليومي المستمر معه، فمرّة بالسلام على ذلك وبطريقة خاصة،

(١) لنا دراسة مستقلة لهذا الدعاء الذي انطوى على خطاب إرشادي وتربوي موجه للمؤمنين بخاصة جماعات الانتظار قدم فيه الإمام المهدي عليه السلام نموذجاً لمعنى الانتظار الصحيح، وقد أسمينا هذه الدراسة: " بناء الشخصيّة في خطاب الإمام المهدي عليه السلام ".

ومرة أخرى بزيارته وبخاصة في أعقاب الأعمال العادية، ومرة ثالثة، ورابعة، بالأدعية والاستغاثات الفردية والجمعية، وسائر الأنشطة العبادية الأخرى تلح عليه في تعجيل ظهوره لتغيير الواقع المنحرف الذي يقوده المستكبرون، وهذا كلّه قمة الولاء النفسي والذهني للقائد.. وهو يعبر عن قمة التوافق السوي بين المنتظرين والقائد.

وعلى كل حال يمكن القول بأن مستويات الحب عند الجماهير للقيادة تتناسب مع حجم الوعي بهذه المسؤولية، وعلى ضوء ذلك فإن هذا الحب الذي تكنه الجماهير للقيادة هو الأساس النفسي السائد أنماط السلوك الصادرة عنه.

* * *

إن المحبة التي يطويها " المنتَظِر " تجاه " المنتَظَر " تبلغ به قمة النضج والتوافق، فالحب ينطوي على حالة اطمئنان نفسي، وبخاصة عند تحقق كل أو بعض الأهداف، وهذا دونما شك ينال رضا الإمام المهدي عليه السلام ويأنس به، فينعكس على الحالة النفسية للمؤمن المنتظر، حيث يشعر في قرارة نفسه برجاحة ضمير، فهو أنجز ما عليه، وقدم خدماته " للآخرين " في سبيل الله، وانصياعاً لأوامر قائده، واطمأن إلى التقدير الإلهي.. وهو الغاية الأساسية للمؤمن، وبالرغم من أن هدف المؤمن ليس الحصول على " حب الآخرين " له وهو يؤدي خدماته تجاههم، فإن ثمرة ذلك حب آخر يخلعه عليه الآخرون، وبخاصة من الإمام المنتظر عليه السلام، غير أن الحب الذي يخلعه عليه الإمام المنتظر ليس كأي حب آخر، لأنه حب يجسد تقديراً إلهياً لا حدود له. وكل أدعية الإمام تعبر عن سعة هذا الحب وشموله لكافة المؤمنين.

* * *

ويكون لهذا الحب المتبادل بين القيادة والجماهير أثر نفسي آخر هو

وحدة الولاء في شخصية الفرد المسلم المنتظر، فإذا انضبطت ذاته على هدى الإسلام المؤمن بفكرة الانتظار وتوثقت عرى أواصر المحبة بين الإمام والجماهير، امتنعت المواقف الازدواجية، أو التعددية في المشاعر والأفكار، والسلوكيات لأن وحدة هذه الجوانب تنطلق من ينبوع واحد هو الإيمان بالله عز وجل، وعقيدة الانتظار بأسرها رافد كبير تفرع عن هذا الينبوع، ولا يمكن بالتالي أن تحدث ازدواجية في مشاعر المنتظرين واستجاباتهم السلوكيّة، طالما أنَّ عقيدة الانتظار توحد الشخصية المنتظرة في اتجاه واحد. . هو الإيمان بالله تعالى، وتوحيد هذه الشخصية يقوم على الإيمان بوحدانية الله عز وجل.

والولاء الذي يوحد الشخصية المنتظرة، يحميها كذلك من أية صراعات نفسية عنيفة تنجم عن تعدد المناهج التي تتعامل معها، والفرد المسلم المنتظر لا تصدر عنه حركة تناقض تناقضاً حاداً منهج الله، ولا يحاول متعمداً أن يحمل في كيانه فكرة معادّية لهذا المنهج ولا مخالف بنية سيئة فكرة إسلامية، وإذا حدث ذلك، فالتوبة والإنابة مدخل سيكولوجي لتعديل سلوكه.

وعندما تختفي الازدواجية أو تضعف وتتوحد عناصر الشخصية تتوازن النفس، فلا يتسرب إليها مثلا إحساس بالذنب لمخالفتها عملاً عبادياً، ولايداهمها نزعة مجنونة للسيطرة على الآخرين دون مسوّغ موضوعي يحقق معنى عبادياً، ولا تأخذ من الإسلام جانباً وتدع آخراً فيمتزج الحق والباطل، وينتابه الإثم وحقارة النفس، ويقلق على مصيره، ويفقد تقدير الله له ويعيش توتراً، وإحباطاً مستمراً ناجماً عن تعدد الولاءات وتناقضها.

إن قمة الولاء في عقيدة الانتظار تعني أن يأخذ المحب ممن "يحب" وممن "ينتمي" اليه، وهكذا نجد الولاء والانتماء وجهان لعملة واحدة هي حب الله، وحب وليّه المذخور لتحقيق العدالة، وحب المبادئ التي يدعو لها وينشر ظلالها على رؤوس المظلومين في بقاع الأرض وشعابها.

ودافعية الانتماء ترتبط بسيكولوجية الحب، والتفاعل بين القائد المظفر، وبجماهيره التي شربت المذلة والهوان من الظالمين.

والانتماء في هذه العقيدة ليس تحيزاً لمذهب سياسي أو حزبي، وليس ولاءً لقبيلة أو طائفة أو تعصباً لطبقة معينة من الطبقات الاجتماعية[1] التي تمنح نفسها بعض الامتيازات عنوة تستعلي بها على الطبقات الأخرى فهذه جميعاً أصنام وهميّة صنعها الإنسان بنفسه ليسوغ انحرافاته ويتخذ منها مواقع قوة يميّز بها نفسه، ويشبع بطريقة مرضية نزعة السيطرة لديه، والتسلط على أخيه الإنسان، يظلمه ويتلذذ بظلمه عامداً.

إن الفرد المسلم المنتظر كأي إنسان، يبحث عن انتماء يرتبط به، ويوجه أنشطته نحوه، مثله مثل الآخرين في سعيهم المستمر في البحث عن الانتماء والمقبولية لذاته وتقدير أعمالها الصادرة عنه، وإذا قدر للإنسان أن يجد رغبته في الانتماء لأحد الأصنام المبتدعة فإنه في نظر الإسلام قد أشبع هذه الحاجة إشباعاً عصابياً.

وعندما تحدثنا من قبل عن ضرورة وجود رابطة روحية بين القائد والجماهير، كنا نعني تنظيم الانتماء وترشيده بمفهوم عبادي نقي، بحيث يتم إشباع هذه الحاجة في نطاق مثل أعلى مستقيم سوي يجعل الفرد المؤمن منتمياً كغيره من الناس، لكن انتماءه ليس مماثلاً لكل الانتماءات، ويفترق ولاؤه عن الولاءات السطحية الأخرى فانتماؤه إلى مثله الأعلى (الله) الذي ترتبط به كل أنواع الانتماء في حياة المؤمنين المتدينين.

وما دامت عقيدة الانتظار جزءاً من الإسلام، وتقوم على دعائم الإيمان

---

(١) ويجب على المؤمن أن يعطي ولاءه للسلطة السياسيّة التي يقودها حاكم مسلم عادل، ومرتبط بالله عزوجل وذلك في عصر ما قبل الظهور، فالإسلام ليس معادياً لأيّة جماعة مسلمة إلاّ إذا ازْوَرّت عن جادة الحق وعن منهج الله تعالى.

بالله وتنتهي إليه فإن أي انتماء لهذه العقيدة المباركة تعد في حد ذاته تجسيداً للانتماء إلى الله عزوجل، وتعبيراً واقعياً صادقاً له سبحانه، وهذا هو السبب الذي يحسُّ فيه المنتظرون بالأمن والحماية النفسيّة رغم مآسيهم الكثيرة، وقد لهج بهذه الروح الإمام المهدي عليه السلام بقوله: " إن" الله معنا، فلا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا "[1] وفي نص آخر يحتمي فيه الإمام بخالقه عز وجل: " أنت كهفي حين تعييني المذاهب، وتضيق عليّ الأرض بما رحبت"[2] وقول آخر: " واستغثت فأغثني، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً"[3].



وأخيراً ليس حب المؤمنين المنتظرين " للمهدي "، وتعلقهم بهذه العقيدة تنفيساً عن ضغوط مريضة يعوض فيه هؤلاء المحرومون عن ألم الضغوط والمعاناة، وأساليب القهر والاضطهاد التي تعرضوا لها، ويتعرضون لها كل لحظة من أعمارهم، وليس هذا الحب تسلية تخفف مشاعر القلق، والإحباطات التي تواجه المؤمنين، فالإيمان بعقيدة المهدي حب عميق للمبادئ، ولا يراد منه الدفاع عن الذات من القلق الذي تفرزه المعاناة الصعبة، إنه الحب العقائدي في أسمى معانيه.. حب الأحرار وليس حب التجار أو العبيد.. حب [ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك].

وحتى إذا نظرنا لهذا الحب الجماهيري لعقيدة المهدي من هذه الزاوية، فإن إرشادات علم النفس تؤكد على أهمية البوح بالآلام وتفريغها من داخل النفس، فهذه الخطوة ضرورية لتحقيق قدر معقول من التوافق النفسي

(١) كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ٢٣٤.
(٢) المصدر السابق ص ٣١٤.
(٣) المصدر السابق ص ٣٢٥.

للمقهورين، سبق أن ألمحنا إليها في موضع آخر من بحثنا، وعلى كل حال، يمثل هذه الحب صورة واقعية حية لذوبان المؤمن في عقيدة يدين بها، وأخلص لها، وقد تجسدت تلك الصورة في قالب ولاء روحي لا مثيل له للقيادة، ولاء يمنحه القدرة على التكيف مع أحكام الإسلام وتعاليمه في ظروف فترة الغيبة الصعبة، وقد عبر عنها نص كريم يقول: " القابض على دينه كالقابض على الجمر. "

ولخطورة فاعلية الحب بين القيادة وجماهيرها، يحاول المستكبرون إعاقة إشباع حاجة المنتظرين لحب القيادة الشرعية والتفاعل بإيجابية واعية مع أوامرها ونواهيها، إلاّ أنَّ قوة المستكبرين وإن تمكنت في بعض الفترات من مراقبة بعض نشاطات الجماهير التي تعمّق التفاعل وتجسده، غير أنها لا تستطيع أبداً انتزاع الحب الكامن في النفوس إزاء القائد، ولا يمكن للمستكبرين انتزاع وعي الجماهير بمهمتها في استخلاف الأرض في آخر ذروة تاريخية للإنسان المضطهد.

ولعل قلق المستكبرين المستمر على امتداد فترة الغيبة ناجم من عجزهم عن فهم قدرة هذه العقيدة الإسلامية النقية في صوغ النفوس وتعميق حبها للقيادة الشرعية، فما دام هذا الحب يعيش في القلوب قيادياً وجماهيرياً، فسوف يظل مصدراً حقيقياً يتهدد الوجود الاستكباري يوماً ما في عمود الزمن.

**١٢. الإحساس بالتميز واستقلال الذات:**

ويترتب عن وحدة الولاء، والانتماء إحساس آخر يسيطر على نفسيّة الفرد المسلم المنتظر. . هذا الإحساس تجسيد لعمق الولاء، وقوة الانتماء لله عز وجل، فقد سبق لنا أن تكلمنا عن تمجيد الذات المنتظرة وتميّزها في النصوص الإسلامية، ولعل استقلالها عن الآخرين، وتحررها من تبعية كل الفئات غير الإسلامية، هو أبرز سمات هذا التميز التي حرص النص على إبرازه.

وعقيدة الانتظار تقدم طرحاً مستقلاً للشخصية المؤمنة خلال فترة الغيبة الكبرى، وترى أنَّ قبض المؤمن على دينه كالقابض على الجمر تعبر عن قسوة القهر المفروض على المنتظرين، لكنه في الوقت ذاته يدل على تميز المنتظر وحرصه على هويته الإيمانية، واستقلال ذاته، وهذا لا يرضي المستكبرين ويثير حفيظتهم ويجرح كبرياءهم.

فالمؤمن المنتظر، وبتأثير الإحساس بالتميز والرغبة في تأكيد استقلال الشخصية، يحاول دائماً أن ينسج عن نفسه نظرة إيجابية عن ذاته، ويحوط هذه النظرة بتأكيد الإسلام على تميزه من خلال فكرة استخلافه في الأرض، لكن يتطلب تبوأ هذا المركز الكبير طرد الاحساسات السلبية عن الشخصية، كالشك في قدراتها، والشعور بالقصور أمام الأمم الأخرى، والتبعية للمستكبرين، والتشاؤم من مستقبل الإسلام، كما أن منصب الخلافة في الأرض يتطلب كذلك نظرة إيجابية مسلمة يحملها المؤمن المنتظر عن نفسه كالكفاءة، والثقة بقدراتها، والإحساس بالتميّز والاستقلاليّة، والإيمان بقصور العلم الذي يصدر عن المؤمن إزاء ما تطلبه السماء، فلا يعجب بعمله، ولا يوهم نفسه الكمال ولا يتحسس في داخله العظمة والفوقية.

وعقيدة الانتظار التي تزرع فينا الشعور بالتميز والاستقلال الذاتي للمسلم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. إنما تساعد المسلم في فترة الغيبة الكبرى على أنْ ينسج عن نفسه تقديراً صحيحاً، واقعياً، ويبدو هذا التقدير في اتجاهين ينصب كل منهما في ملتقى واحد، أولهما يمون النفس المسلمة بالعزة، والمشاعر النفسيّة الإيجابية المنبثقة عنها، والآخر يرفع عن النفس ذلها، وحزنها وضعفها، وخمولها عن المقاومة، وهكذا يفرغ المنهج النفسي الإسلامي محتوى الذات السلبي، ليبني على أنقاضه محتوى إيجابياً يتيح لها ممارسة العمل العبادي.

ومن بعض النصوص السابقة، والنصوص الأخرى اللاحقة التي

سنذكرها نلحظ تحقيق المسلم المنتظر لاستعمال شخصيته في وسط ركام كبير من الانحرافات يتوقف على اتصال شخصيته بمبادئ السماء، وبخاصة ما يتعلق منها بعقيدة الإيمان بالمهدي، وقد ذكرنا من قبل عدداً من النصوص التي تركز على التميز واستقلال الشخصية المؤمنة.

قال الإمام السجاد عليه السلام : " اللهم صن وجهي باليسار، ولاتبدل وجهي بالإقتار، فاسترزق طالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك"[1]. ويقصد الذين استكبروا وتسلطوا على أدوات الإشباع ومصادره فيعطون أو يمنعون ما يشاءون، وإذا أعطوا عيّروا.. وطالبوا بثمن العطية قهراً وذلاً. وفي نصوص أخرى يقول الإمام المهدي عليه السلام نفسه:

- " وامنن علينا بحسن نظرك.. ولاتكلنا إلى غيرك، ولا تمنعنا من خيرك"[2].

- " اللهم معين كل مؤمن وحيد، ومذل كل جبار عنيد، أنت كهفي حين تعييني المذاهب، وتضيق عليّ الأرض بما رحبت"[3].

- " يا من خص نفسه بشموخ الرفعة، فأولياته بعز يعتزون، يا من وضعت له الملوك نير المذلة على أعناقهم، فهم من سطوته خائفون، وتكفيني وتعافيني، وتقضي حوائجي"[4].

- " فإذا أذنت في ظهوري، فأيدني بجنودك، واجعل من يتبعني لنصرة دينك مؤيدين، وفي سبيلك مجاهدين، وعلى من أرادني وأرادهم بسوء منصورين"[5].

---

(١) الصحيفة السجادية / دعاء مكارم الأخلاق.
(٢) كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ٢٦٣.
(٣) المصدر السابق ٣١٤.
(٤) المصدر السابق ٣١٥.
(٥) المصدر السابق ٣٢٢.

ـ " أنت المستعان، وإليك المشتكى، وعليك المعول في الشدة والرخاء"[1].

إن الإمام نفسه في النصوص السابقة يحدد لنا مصدر عزتنا، ويشدد على لجوئه، ولجوء المؤمن إلى الله طلباً للعزة، وللحماية الكاملة بمختلف أشكالها، وحتى النفس أو المجتمع فإنهما عاجزان عن توفير الحماية للمؤمن إلا بإذنه تعالى.

إنه عز وجل مصدر الحماية النفسية لا المجتمع ولا جهة أخرى، لذلك لا يبحث المؤمن عند الآخرين عن تقرير اجتماعي يريق ماء وجهه، ويسلب منه استقلاله الذاتي، وعقيدة الانتظار تؤكد للمؤمن وفق النصوص السابقة أنّ العزة لا تتحقق في التصور الإسلامي إلا من خلال اتصاله بالسماء لكي تحقق له إشباعاً كاملاً لحاجاته، وليس من خلال الاعتماد على الآخرين وبخاصة المستكبرين، فهؤلاء المستكبرون وإن امتلكوا ظاهرياً وسائل الإشباع لكنه لا يتم بالنسبة للمؤمن بطريقة توافقية سوية، بل يتم بعد أن يريق الفرد ـ وبخاصة المؤمن ـ ماء وجهه، وهذا ضد رغبته في تقدير ذاته وضد حاجته إلى الكرامة والعزّة، لأن هؤلاء المستكبرين لا يعطونه لوجه الله، وإنما يشعرونه بين حين وآخر بالتفضل عليه، ويعيّرونه دائماً كلما وجدوا منه تمرداً أو معارضة، وحتى لو تأفف المستضعف، وهي أدنى كلمة يمكن أن تصدر منه ذكّروه بأنهم أصحاب الفضل عليه، وهم يطالبونه بالثمن لما حسبوه تفضلاً، ومن الاستحالة أن يجمع الفرد بين هذا الواقع الانهزامي الذي يعتمد فيه على الآخرين، وبين رغبته الفطرية في استقلال ذاته فالقبول بهذا الواقع تهديد فعلي لحاجة الفرد إلى الاستقلال.

وترفض عقيدة الانتظار كما جاء في أحد النصوص هذا الموقف

---

(١) مقطع من دعاء الفرج المنسوب للإمام المهدي عليه السلام.

الذليل، وتأبى على الفرد المسلم المنتظر أن يتحمل تبعة هذا الظلم، لهذا تمنى الإمام في أحد أدعيته ألاّ يكله إلى غيره، بل حتى إلى نفسه طرفة عين فلا يمنعه من خيره، وأن يعينه، ويبعده عن الحاجة إلى غيره، فيضمن عزته بتأمين إشباعه المباشر من مصدره العزيز الذي لايمن ولا يعيِّر ولا يطالب بثمن أو يفضحه، ولا يدعوه إلى أن يقدم تنازلات على حساب كرامته الشخصية، أو يريق ماء وجهه، أو يحمل نفسه تبعة المذلة، فالسماء في ضوء النص السابق هي الجهة التي توفر الإشباع دون أن يصحبه توتر أو اضطراب يؤثر على استقلال الذات.

وما تمناه الإمام لنفسه بلا شك لكل مؤمن ينصره، فالله هو المعين، والمعول عليه في الشدة والرخاء، والكهف الذي تلجأ إليه النفوس المؤمنة، والذي يقضي حوائجها، ويكفيها من الحاجة إلى غيرها، فأولياء الله عز وجل " بعزه يعتزون " ويكون لهم بفضله كامل الاستقلال والتحرر من هيمنة الآخرين ومعايرتهم، وَمَنِّهم، إذا ما وفر لهم النعم التي تؤمن لهم الإشباع، وتجنبهم العوز والافتقار إلى غيره، وقد قال الإمام عليه السلام قولاً عبّر فيه عن اثر الحماية المادية والنفسية الإلهية للمؤمن. . " إنَّ الله معنا، فلا فاقة بنا إلى غيره"[1] و" أنْ تعطيني أماناً لنفسي وأهلي، وولدي، وسائر ما أنعمت به عليّ، حتى لا أخاف أحداً، ولا أحذر من شيء أبداً"[2].

**١٣. تقدير السلوك وتثمينه:**

إن الإنسان يتوجه إلى المجتمع ومؤسساته بحثاً عن تقدير اجتماعي مناسب لكل عمل ينجزه، فيطلب من الجهة أو الطبقة التي ينتمي إليها، أو الدائرة التي يعمل بها أو أيّة مؤسسة اجتماعية أخرى أن تقدر له ما أنجزه من

---

(١) كلمة المهدي ص ٢٣٤.

(٢) كلمة المهدي/للسيد الشيرازي ص ٢١٨.

عمل، وأن تثمن له ما أنتجه.

وأهمية هذا التقدير أنه يمثل دافعاً لتعلم السلوك، بل هو شرط أساسي لنمو قدرة الفرد على الاكتساب وصقل مواهبه الشخصية، فعندما يحصل الفرد على تقدير معيّن للسلوك الذي أنجزه يشعر باهتمام الآخرين به، فيحفزه تقديرهم على المتابعة، وبذل مزيد من الجهد لكي يصل إلى مستوى أعلى من الإتقان. فالمحاولات في أي موقف تعليمي تكون اكثر اتقاناً، ونجاحاً، طالما أنه يصاحب ذلك أثر طيب صريح كالحصول مثلاً على تقدير مادي أو معنوي للعمل.

ويرى علماء النفس، وعلماء الأخلاق المسلمين أن تكرار السلوك يؤدي إلى تقوية الاستجابة إذا تم تدعيم كل محاولة ناجحة منه، وتحقيق إشباع للهدف المرجو، وتثبت تجربتنا الشخصية أنَّ تكرار السلوك الناجح قد يتراجع أيضا لدى إنسان إذا لم يحصل على تقدير اجتماعي مناسب لما أنجزه، لهذا يقال بأن الفرد يميل دائماً لتكرار سلوك يصحبه ثواب، ويحاول قدر المستطاع تجنب أي سلوك يصاحبه ألم.

والفرد ـ على كل حال ـ بهذا البحث عن الإثابة المادية أو التقدير المعنوي يفتش عن انتماء يجسد فيه ولاءه للمجتمع أو الجهة التي يقصدها، ويمحور سلوكه حولها، لكن المجتمع بمختلف مؤسساته وأفراده، وجماعاته قد يكون عاجزاً عن إعطاء تقدير مناسب ـ بل قد يحرم بعض أفراده تعمداً ـ من الحصول على تقديرات أو تثمينات لأعمالهم.

ومن المؤكد أن إخفاق الفرد في الحصول على تقدير اجتماعي لأعماله يؤدي إلى إحباط رغبة الفرد في إشباع حاجة نفسية طبيعية بالرغم من أن هذا الإشباع قد يتم بطريق غير سوي، وربما يكون إحباط الإشباع لهذه الرغبة مقدمة لتكوين حالة عصابية لهذا الشخص وبخاصة إذا عانت نفسه من توتر وصراع شديدين.

وقد تبدي بعض المؤسسات اهتماماً عاماً بتقدير سلوك الأفراد إلا أن تقديرها يكون ـ أحياناً ـ اقل مما ينبغي، أو يحسبه الفرد أدنى مما أنجز، فاختلاف الفرد والمجتمع في تقدير العمل وتثمينه، وتحديد إثابته قد يؤثر على إنجاز الأعمال الأخرى بطريقة غير سوية، وبمقدار ما يشعر به الفرد من إحباط ولو بدرجة ضئيلة، محدودة، لكن بتكرار هذا الاختلاف تتسع قوة تأثير الإحباط في سيكولوجية الفرد، فيؤثر سلباً على عمله، وبخاصة أن كثيراً من التقديرات الاجتماعية القائمة على أساس المصالح الشخصية قد يشطبها الظالمون[١] بمجرد صدور هفوة صغيرة من هذا الفرد أو ذاك، أو يشعرونه أحياناً بالمن والتفضل عليه.

أما المنتظر ـ وهو المؤمن بالإسلام، وبعقيدة المهدي ـ فلا يبحث كغيره من الناس عن تقدير اجتماعي زائف لكل ما يصدر عنه من أعمال وإنجازات، لأن ذلك في النظرة الإسلامية رياء مقنع يحبط العمل نفسه ويفسد أجره عند الله، ولأن هذا التقدير الذي يمنحه الناس للفرد ليس إلا تقديراً زائفاً يتضاءل مفعوله تدريجياً، وبمرور الزمن، وقد ينساه نهائياً، وغالباً ما ينطوي هذا النوع من التقديرات التي يطلبها الفرد من المجتمع لا من الله، على شعور بالزهو الداخلي للشخصية يأباه المسلم لأن يجعله يتمركز حول ذاته، كما أن مثل هذا التقدير يجعل ولاء المؤمن لغير الله، ويجعل الازدواجية سمة عصابية واضحة في شخصيته، وهذه جميعاً مصدر قلق للذات المؤمنة، ويهدد أمنها في دنياه الفانية.

لهذا كله لا يفتش المؤمن المنتظر عن تقدير مزيف لمختلف أنشطته العبادية، ولا يجد العبد الصالح تقديراً حقيقياً إلا من قبل الله عز وجل، وهو قوة عليا لا حدود لإمكانياتها، ومن هنا يطمئن الفرد المسلم المنتظر إلى أن

---

(١) لا نقصد بالظالمين حكاماً بالضرورة، فقد يكونوا من أفراد الرعية كأرباب العمل أو أصحاب مراكز النفوذ، وربما يصدر الظلم عن عاديين حماية لمصالحهم.

الله سبحانه وحده الذي يملك حق "تقدير الأعمال" تقديراً حسناً، وهو وحده مصدر الإثابة المضمونة الذي تطمئن إليه قلوب المؤمنين، وإذا لم يتحقق الثواب بعالمنا الدنيوي القصير، فإن التقدير والتثمين مضمون في اليوم الآخر، فالإحساس بالأمان لا يفارقه سواء وجد تثميناً في دنياه أولم يجد.

وبالرغم من أنَّ السلوك العبادي عند الشخص المنتظر قد يصحبه دائماً ألم وضغط وشقاء، وتعب، ومعاناة، ومع ذلك فهو لا يتركه، ولا يتخلى عن هدفه نظير إغراءات دنيوية مادية مباشرة أو نتيجة إحباطات الحياة المنحرفة، ولا نقصد هنا ألم الفعل العبادي نفسه، وإنما ألم الضغط الذي يمارسه المنحرفون ضد المؤمنين المنتظرين ظلماً وجوراً. . والسبب في ذلك ثقته بالتقدير الإلهي بالآخرة.

وهذا بخلاف ما يؤكده علماء النفس الذين يغفلون الإثابة البعيدة، ويهملون التقدير الإلهي في اليوم الآخر، بل إنهم لا يتحدثون عن وجود مثل هذا التقدير، ولعل هذا ما يفسر نشأة الحالات النفسية المرضية بسبب الإحباط، فالتقدير الاجتماعي الذي يتحدثون عن أهميته ليس مضموناً في كل الأحوال، وقد يكون منصفاً للجهد المبذول إن وجد، لكن الأمر عند الفرد المنتظر على خلاف ذلك، فهو يتحرك دائماً من خلال قوة تقدير آخر مضمون في كل الحالات. . إنه التقدير الإلهي الذي من أجل الحصول عليه يصر المنتظر على تكرار سلوك يعرف مسبقاً أنه يجلب له في دنياه ألماً وتعباً.

ومما لا ريب فيه أنّ النفس ـ بالتقدير الإلهي المضمون ـ ترسو عند مرفأ الأمن والطمأنينة، ويزول توترها النفسي حتى وإن اقترن السلوك العبادي بألم، وتخلو النفس من أية صراعات عنيفة رغم تعرضها لأساليب القهر المستمر، فهي مطمئنة على مستقبل إنجازاتها العبادية، وواثقة بتفوق التقدير الإلهي وعدالته في تقويم أعمالهم، وبخاصة أن النفس المؤمنة تدرك جيداً

مبدأ الرحمة الإلهية التي كتبها الله تعالى على نفسه تعويضاً لهم عن معاناتهم في الحياة الدنيا.

### ١٤. المعادلة بين الأجر ومشقة العمل:

يمنح الإسلام أجراً يناسب دائما الجهد المبذول في إنجاز العمل، ولا يغفل بالطبع شمول هذه الإثابة لبواعث العمل، فلا يكتفي كما يفعل علماء النفس بتقويم السلوك من خلال الملاحظة الخارجية [١]، وبهذا يمزج في نظرته المتفردة بين نوعية العمل ومدى إتقانه وبين البواعث النفسية التي تختفي وراءه كما نلحظ في تركيزه على النية، والصبر على أداء الفعل، وتحمل مشقته، وإدخالها كعناصر أساسية في تكوين وضبط السلوك وتقويمه.

إن هذه النظرة التي تجمع بين نوع السلوك أو نمطه الخارجي وبين بواعثه الداخلية، ومقدار المشقة التي تحملها الفرد المسلم تنطوي بالتأكيد على معادلة، وبين بواعثه ومقدار المشقة التي تحملها الفرد المسلم تنطوي بالتأكيد على معادلة بين العمل والأجر، حيث تقدر المثوبة على أداء الفعل العبادي بمقدار المشقة، والمعاناة، وقوة الصبر، وليس فقط بمدى إتقانه، فحتى لو بلغ الإتقان منتهاه فإنه لا تتكامل صورة الفعل العبادي إلا باجتماع الإتقان مع العناصر الأخرى له، وبخاصة نوعية الباعث النفسي وراءه.

وإذا نظرنا إلى هذه المعادلة نجد أنها تكتسب قيمتها التربوية من كونها تنظر للعمل الذي يصدر عن الفرد المؤمن من خلال الموقف المبدئي لا من خلال ما يتناسب مع الظروف، فالإنسان المؤمن يسجل مواقفه الإسلامية السليمة في سلوك يتعالى فيه على كافة الظروف الدنيئة ـ المغرية ـ والصعبة

---

(١) يرى المشرع الإسلامي تحقق الإثابة حتى بمجرد توفر النية الطيبة، والإرادة الخيرة، فقد لا يستطيع الفرد إنجاز " الأداء " بإتقان أو لا تسمح له ظروف الحياة بالقيام بالأداء ومع ذلك يؤجر عليه إن كانت نيته خيرة تحث الفرد على السعي، والعمل العبادي، فنية المؤمن خير من عمله كما جاء في الحديث الشريف.

التي تنطوي على أبعاد المعاناة المادية والنفسية، وبالتالي يكون الأجر المحدد للفرد المؤمن معادلاً لمشقة العمل، وقد قررت النصوص الإسلامية الكثيرة هذه المعادلة بين الأجر والعمل قبل وقوع تجربة الانتظار وأثناءها وبعدها.

ومن الحقائق المتصلة بهذه المعادلة الإلهية أثر هذه المعادلة في حقل الصحة النفسية للفرد، حيث أنها تحافظ على معنويات الإنسان بالرغم مما يجهده من متاعب الدنيا، كما تزوده بالقدرة النفسية الهائلة التي تمكنه من الصمود، والمقاومة، فقد لا يكفي في نظر بعض ضعفاء الإيمان أن يوعد الإنسان المسلم بالإثابة فحسب، وإنما تحدد له نوعية الإثابة وتحديد مقدارها، بالرغم من أن مصدر هذا العطاء لا ينضب عطاؤه، وليس لكرمه حدود.

إن تحديد نوع الإثابة ومقدارها يجعلان الفرد يشعر بالأمن النفسي، فيتصرف تحت قوة هذا الشعور النفسي وحيويته، وإيحاءاته، فلا يتردد في اتخاذ المواقف المطلوبة، ويتحمل من أجلها ضغط القوى المضادة، وبخاصة إذا كان الزمان الذي يعيشه زمان جور، وأهله أهل غدر، كزماننا هذا.

وفي نص سبق لنا أن كررناه في مواضع من دراستنا، وضع المشرع الإسلامي مبدأه التربوي الذي يحفز النفوس على العمل الصالح في وسط المحن، وبين أوضار الحياة الفاسدة، وهذا المبدأ ـ وأقصد المعادلة بين الأجر والعمل ـ هو في الأصل مبدأ إسلامي لم يكن يخص فقط فترة الغيبة، لكنه وضع لكي يحقق التوازن النفسي للشخص المؤمن في مختلف دورات التاريخ، وهو في فترة الغيبة بشديد الحاجة إليه.

وبقي الآن أن نذكر القارئ الكريم بالنص، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله الكريم لأصحابه الميامين:

" وسيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد فيهم له أجر خمسين منكم، فقالوا: يا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن؟

فقال ﷺ: إنكم لو تعملون ما عملوا، لم تصبروا صبرهم»[1].

وبالنظر الدقيق في النص السابق تعرف أموراً:

**أولاً**: أن حجم الإثابة بحجم العمل وبمقدار المشقة في أدائه، وهي معادلة سليمة تقدر قيمة الموقف المبدئي السليم الذي يلتزم به الفرد المؤمن المنتظر لا من خلال ما تتيحه ظروفه، والتي قد تخنع فيها نفسه أحياناً، وتذعن للضغوط.

**ثانياً**: أن الأجر على العمل في زمان -كزماننا الذي نعيشه - انحرف فيه أهله عن جادة الحق انحرافاً كثيراً يختلف عن الأجر على العمل في زمان ليس بين أهله انحراف كبير، بل إن الأجر على العمل في زمن اكثر صعوبة من زماننا سيكون وفق رؤية النص السابق أعظم دون شك، ففي المجتمع النبوي على سبيل المثال كانت روافد الحق، والخير، والاستقامة، والانضباط تتدفق طبيعياً، وكان صدور السلوك الخير سهلاً تلقائياً يجمع بين العادة والإرادة.

أما في أزمنة الانحراف فالأمر يختلف، فعناصر الشر منتشرة إلى حد كبير، بحيث تتدخل هذه العناصر كأثر بيئي ـ دائم التأثير ـ في بناء الشخصية ومكوناتها، فإذا استطاع المؤمن المقهور وسط هذه البيئات، أن ينتصر على الشهوة الحرام ومثيراتها ويكيف نفسه ولو بمقدار معقول على قواعد الحلال والحرام، فإن أجر هذه المعاناة، وهذه المشقة لا ينبغي كما يرى النص المذكور أن يتعادل مع أجر عمل أقل مشقة وجهداً، وفي زمن أقل ضغطاً وصعوبة.

ويذكر نص آخر أن نجاة المؤمن في بعض الأزمنة يكون بعمل عشر ما كلّف به، وان هلاكه بترك عشر ما أمر به، وهذا يدل على أن الفساد يؤثر على درجة إتقان العمل، ويؤثر على مدى إتيان العبد بها، فقد قال الرسول ﷺ:

(١) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨.

" إنكم في زمان من ترك عشر ما أمر به هلك.. وسيأتي زمان على الناس، من عمل بعشر ما أمر به نجا"[1].

ثالثاً: أن الزمن المخصوص في النص السابق الذكر ليس عصر النبي أو عصر صحابته الكرام ولا زمان أئمتنا الطاهرين من بعده، فما يزال الوجدان الديني للناس آنذاك قريباً من الإسلام، ومتأثراً إلى حد كبير بوهج حرارة قيمه الإيمانية، وعلى هذا فإن الزمن الصعب الذي تفسد فيه النفوس هو فترة الانتظار، والغيبة التي ذكرت النصوص الكثيرة أنماطاً لا حصر لها من أنماط الانحراف الشامل الواسع، الذي يصل كما يؤكد النص والواقع إلى أستر جزء خفي من حياتنا، وقد حثت النصوص على أهميّة الثبات في هذه الفترة، ولو لم يكن ثمة صعوبة نفسية لما كان مسوغ للتأكيد على أهمية هذا الثبات. فقد جاء في نص آخر: " من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا – أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر واحد"[2].

رابعاً: أنَّ النص كشف بوضوح أنه بالرغم من قوة الانحراف وسعة انتشاره في بيئاتنا، وحياتنا العامة، إلا أن روافد الخير ستظل تتدفق في دماء الصفوة من أبناء المجتمع الإسلامي، حتى يوم الخلاص.. يوم انتصار المظلومين في ظل القائم عليه السلام.

ولكن المحافظة على حيوية هذه الروافد واستمرار قوة تدفقها في بعض النفوس يتطلب صياغة عامل نفسي مؤثر، ولعل ـ والله اعلم ـ ما نص عليه الحديث السابق من مبدأ المعادلة بين العمل والأجر هو العامل النفسي التربوي المؤثر في حفز النفس المسلمة على الثبات، وتقوية استجابتها الإيمانية بالإثابة المضاعفة.

---

(١) يوم الخلاص ص ٣٠٠.

(٢) ميزان الحكمة ج١ ص ٢٨٢.

كما نجد كذلك عاملاً آخر يسند العامل المذكور مسبقاً، وهو تمجيد الذات المؤمنة المجاهدة، المستعلية على الفساد، حيث ذكرت النصوص فضل المنتظرين وحرصت على وعدهم بمضاعفة أجورهم، وبمقدار مشقة الأعمال العبادية خلال فترة الغيبة التي تشهد انحرافاً عقائدياً وسلوكياً واسعاً. فإذا تساند هذا التمجيد مع الإثابة المضاعفة، تمكنت النصوص من صياغة وضع نفسي جديد للفرد المنتظر يعينه على الصمود في بيئات مظلمة يسود فيها العصاب النفسي والفكري معاً.

**١٥. الإرشاد المستمر وتحسن السلوك:**

وهذا المبدأ من أهم مبادئ تعلم السلوك، وقد لوحظ في النص الشريف عنايته بهذا المبدأ، كي تحتفظ الشخصية المسلمة المنتظرة بقدرتها على التوازن الداخلي، فما يسعى إليه النص من عملية إرشاد الأفراد هو إحداث تحسن مستمر في سلوكهم، وتحسن مستمر في تعلمهم لقواعد السلوك الإسلامي.

وقد سبق لنا أن تكلمنا عن دور وأهمية الإتقان في تحسين سلوك الأفراد حينما تحدثنا عن عناصر فكرة الانتظار، ومما لاشك فيه أن هذه العقيدة كجزء من الإسلام تؤكد حرصها الكبير على متابعة واستمرار عملية الإرشاد النفسي العقائدي للفرد المسلم المنتظر لما يترتب عنها من فائدة في تعديل السلوك، وما الإرشادات والتعليمات الموجهة لعمليات التوبة التي تضمنتها هذه النصوص الصادرة عن الإمام المهدي عليه السلام ليست إلا وسيلة لتحقيق الهدف الإسلامي الكبير، بل إنَّ مبادئ الإثابة والتكرار، والتدرج، وتوزيع الجهد، والمشاركة الوجدانية إنما هي عناصر مساعدة على إحداث تحسن في أداء الفرد، وزيادة الإتقان في تعلم السلوك الإسلامي.

ولقد باشر الإمام المهدي عليه السلام نفسه عملية التوجيه والإرشاد المستمر من خلال توقيعاته ومراسلاته، ومكاتباته لكافة سفرائه ووكلائهم، وكانت هذه

العملية تحقق دائما أهدافها في تقوية روح المشاركة، والتكيف، وزيادة إتقان العمل الإسلامي المطلوب، فالإرشاد في مجموعه توجيه إسلامي عام للأمة، ولقواعده الشعبية بوجه خاص، وأن هذه الإرشادات كما نعلم تشتمل على الأحكام الشرعية، وبخاصة ما يخص المواقف، والوقائع اليومية التي يعايشها الفرد المسلم المنتظر.

وبمجرد أن يدرك الفرد المنتظر هذه الأحكام ويبدأ في تطبيقها بانفعال الواعي، يبدأ السلوك في التحسن، والتكيف مع المواقف والخبرات والناس من حوله، وهكذا فإنَّ الإرشاد المستمر الذي أبداه الإمام عليه السلام لمؤيديه كان وعاء العمل والفعل التكليفي العبادي وهو صياغة إسلامية صحيحة لكافة الاستجابات والمواقف التي تثير أمام المنتظرين تحديات تهدد أمنهم.

ومع أن تجربة الغيبة الكبرى قد حجبت التفاعل المباشر بين الإمام والجماهير المظلومة التي تنتابها الحيرة أحياناً إلا أن النصوص والأحكام، والتوصيات، والتوجيهات الفكرية التي ذكرها الإمام بين جموع مؤيديه وأعوانه جعلت عملية الإرشاد الفكري والنفسي والأخلاقي مستمرة بينهم حتى الآن، وما زالت عناصر هذه العملية وروحها قائمة ليومنا هذا باستثناء عنصر واحد هو. . وجود الإمام نفسه، فقد اختفى هذا العنصر بغيابه[١]، ويرى بعض العلماء استمرار تدخل الإمام في توجيه الأفراد بدون معرفتهم.

ولا يستطيع أحد من المؤمنين بعقيدة المهدي أن يقلل من أهمية وجود الإمام في نجاح عملية الإرشاد وبلوغها إلى مستواها الأقصى لكن خيوط التفاعل والإرشاد والتأثير المتبادل مازالت قائمة، فعّالة في النفوس حتى وإن تفاوتت درجة التفاعل وقوة تأثيرها من وقت لآخر، ويعود ذلك بالتأكيد إلى

---

(١) لقد عالجنا في فصل سابق التأثير النفسي والفكري والديني لوجود الإمام المهدي عليه السلام حاضراً أمام أعيننا أو غائباً عنّا.

واقعية التوجيهات والإرشادات المهدية التي نسجت هذه الخيوط بعناية، وحافظت على مدى تاريخ طويل على استمرار هذه العلاقة الإيمانية المعبرة عن مشاركة وجدانية حارة بين القيادة والجماهير المنتمية.

وما نستطيع الجزم به أن اطلاع جماهير الإمام المهدي عليه السلام على تعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته يؤدي دونما شك إلى تحسن واضح في سلوكهم على مدار هذا التاريخ، ويؤدي إلى زيادة قوة الارتباط به والاستغاثة به كمنقذ للبشرية، والإكثار من الدعاء بتعجيل ظهوره ليحقق للمظلومين أمنهم، كما يزيد هذا الإرشاد في قدرات الأفراد المنتظرين على تقوية عناصر السلوك الإسلامي في أنفسهم، وتحقيق درجة أكبر من التكيف بين أنفسهم وذواتهم، وبين الأحكام الشرعية والملاءمة بين متطلبات الذات وأحكام المنهج العبادي للمشرع الإسلامي.

فعندما كان الإمام عليه السلام يندد مثلاً بحالة الحيرة التي يتوقع أن تنتاب النفوس في أمره، كان يدعو الجماعة المؤمنة به إلى الثبات القلبي والعقلي بشأنه، ويساعد جماهير الأمة على تجنب الحيرة والبعد عن التذبذب في شأن وجوده، وغيابه، وظهوره، وهذا بلا شك توجيه متكرر يستهدف تعميق السلوك الإسلامي وانفعال المنتظرين به، وتحسين معنوياتهم وقدراتهم في مواجهة الحالات النفسية والمشكلات العقائدية التي يمكن أن تواجههم خلال فترة الانتظار فإذا ما تفاعل هؤلاء المنتظرون مع كافة إرشاداته حافظوا على حيوية رغبتهم في تحسين أدائهم، وانضباطهم، وباختصار فإن هدف عملية الإرشاد التي اتبعها الإمام هو تحقيق تحسن مستمر في سلوك المنتظرين، وفي زمن يصعب فيه التكيف مع مفاهيم الانتظار ودلالاته النفسية وبخاصة الجهادية التي قد تحارب تحت مسميات مختلفة.

إنَّ الإرشاد في معناه العام تقديم المشورة في النصيحة والمساعدة والتوجيه للآخرين، وتغيير أنماط سلوكهم وتعديلها دائماً، وتعليم الفرد

المسلم المنتظر أنماطاً أخرى من الأفكار والعادات والمواقف الشعورية التي تلائم التوجه الإسلامي، وتخلصه من أسر الأفكار والعادات الخاطئة وهو باختصار هدايته إلى طريق الحق. . والرشاد.

وتتطلب مهمة التوجيه والإرشاد وتأسيس علاقة طيبة وحميمة بين المرشد والمسترشد ومما لاريب فيه أن الإمام كان يباشر هذه المسؤولية الشرعية بنفسه أحياناً، وبسفرائه وخاصة أوليائه، أو من خلال قنوات الوكلاء أحياناً أخرى، وهو في كل مرة يؤكد على أهمية هذه العلاقة، ويسعى إلى تكوين صلة قوية قوامها الثقة المتبادلة بينه وبين جموع مؤيديه فهو يحب قواعده الشعبية المؤمنة، ويتحسس آلامها وجراحاتها، وقد أحسّت عنده الجموع المظلومة المضطهدة بهذه العناية، وبعاطفة حب الإمام لها، فبادلته الشعور ومن الطبيعي أن يكون ثمار هذه المعرفة الطيبة تعديل إيجابي مستمر ـ بالمنظور الإسلامي ـ يطرأ على ذهنية وشعور وسلوك الشخصية المسلمة المنتظرة للإمام انتظاراً واعياً جاداً يستعلي على القلق والتوتر.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن التوجيه والإرشاد الذي باشره الإمام عليه السلام هو في حقيقته تواصل واقعي مستمر مع مختلف المشكلات العقائدية والنفسية والسياسية التي يستحيل أن تواجه المسلم المنتظر. وفي ضوء ذلك تتطلب هذه المهمة عناية كبيرة بالكفاءات وإعداد الكوادر المؤهلة حتى تستطيع علاج هذه المشكلات.

وقد أولى الإمام المهدي عليه السلام عنايته الخاصة بالكفاءات التي أناط بها مسؤولية التوجيه والإرشاد وخلال فترة غيبته الصغرى كما نجد ذلك في اهتمامه بسفرائه، ووكلائهم، حيث كانوا أمناء القيادة وأدواتها في تبليغ الأحكام، وتقديم حلول المشكلات التي تواجه المنتظرين، والتي تصل إليه عن طريق هؤلاء السفراء.

وعند حدوث الغيبة الكبرى استمرت عملية الإرشاد، ولكن عن طريق

العلماء، والفقهاء مع فارق هو أن السفير كان يتصل بالإمام مباشرة، بينما لا يتحقق ذلك للفقيه.

وقد مارس الفقهاء والعلماء مسؤولية الإرشاد والتوجيه بأمر واضح من الإمام المهدي عليه السلام نفسه لأنهم أكفأ الطاقات العلمية في المجتمع المسلم على فهم الإسلام، وتحليل النص الشرعي وبيانه للناس، وهذا يعني أن التعامل مع المشكلات وعلاجها ظل مستمراً على امتداد فترة الانتظار، ولم تتوقف أبداً عملية التوجيه والإرشاد للمسلم المنتظر خلال هذه الفترة باعتبارها عملاً ثقافياً وعبادياً يحرص الإمام عليه السلام على ديمومته، كما يترتب عنه من آثار طيبة في سيكولوجية المنتظرين لتحقيق توازن داخلي في شخصياتهم، وصمودهم على مواجهة الشدائد والمحن، جاء في توجيه الإمام: "من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه"[(١)].

* * *

تم الانتهاء من هذا البحث - ولله المنة والفضل - في الساعة الخامسة والربع مساء يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤١٠هجرية الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٨٩ميلادية، وقد تم إعادة ترميمه مرة أخرى في نهاية ١٩٩٧م، واستمرت هذه المعاناة الفكرية مع البحث خلال ١٩٩٨، ليكون جهداً علمياً أكثر نضجاً واكتمالاً.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٨ ص ٩٥.

# مصادر البحث

**المصادر الإسلاميَّة:**

**أولاً: القرآن الكريم:**

**ثانياً: كتب الحديث عند أهل السنة:**


ـ ابن حجر الهيثمي المكي، أحمد / القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

ـ آل محمود، الشيخ عبدالله بن زيد / لا مهدي منتظر بعد الرسول خير البشر، مطبوعات المحاكم الشرعيَّة للشؤون الدينيَّة، قطر.

ـ ابن الصباغ المالكي المكِّي، علي بن أحمد / الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، تحقيق الأستاذ توفيق الفكيكي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٨م.

ـ ابن حجر الهيثمي المكي، أحمد / الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٦٥م.

ـ ابن خلدون، عبدالرحمن / المقدمة، تحقيق الأستاذ حجر عاصي،

منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، طبعة ١٩٨٦م.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي / المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م.

ـ ابن كثير الحافظ الدمشقي، إسماعيل عماد الدين بن عمر / علامات يوم القيامة، تحقيق وتعليق عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.

ـ الحسيني الجلالي، محمد جواد / أحاديث المهدي من مسند أحمد ابن حنبل، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، قم، سنة ١٤٠٩هـ.

ـ القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم / ينابيع المودة لذوي القربى، الجزء الثالث، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦هـ.

ـ الكنجي الشافعي، محمد بن يوسف / البيان في أخبار صاحب الزمان، تحقيق د. محمد هادي الأميني، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٣م.

ـ المتقي الهندي، علي بن حسام الدين / البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، منشورات شركة الرضوان، قم المقدسة مطبعة خيام، سنة ١٣٩٩هـ.

ـ المقدسي الشافعي السلمي، يوسف بن يحيى / عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر / تحقيق د. عبدالفتاح محمد الحلو، تعليق الشيخ علي نظري منفرد، انتشارات نصايح، قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦هـ.

ـ ابن الجوزي، سبط / تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت طبعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ ابن عاشور، عبداللطيف / ثلاثة ينتظرهم العالم / مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

ـ محمد بن طولون، شمس الدين / الأئمة الاثنا عشر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٥٨م.

**ثالثاً: كتب الحديث عند الشيعة الإماميَّة:**

ـ الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب / الاحتجاج، ج١، ٢، تحقيق الأستاذ السيد محمد باقر الموسوي الخرساني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ستة ٩٨١م.

ـ أبو جعفر الطوسي (شيخ الطائفة)، محمد بن الحسن / كتاب الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلاميَّة، قم المقدسة، سنة ١٤١١هـ.

ـ الحسيني، صادق / المهدي في القرآن، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

ـ الشيخ الصدوق، محمد بن علي / إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة الطبع ١٩٧٠م / ١٣٨٩هـ.

ـ الشيخ الكوراني، علي / الممهدون للمهدي، الدار الإسلاميَّة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ الشيرازي، حسن / كلمة الإمام المهدي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ الصدر، محمد باقر / بحث حول المهدي، تحقيق وتعليق د. عبدالجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، قم، الطبعة الأولى المحققة، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ الصدر، محمد صادق / تاريخ الغيبة الكبرى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

ـ العلامة البحراني، السيد هاشم التوبلاني / المحجة فيما نزل في القائم الحجة عليه السلام، تحقيق وتعليق محمد منير الميلاني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ القزويني، سيد محمد كاظم / الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

ـ الكاشاني، إبراهيم بن المحسن / الصحيفة المهدية، دار الحوراء، بيروت، لبنان.

ـ الكوراني وآخرون / معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج١، ٢، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلاميَّة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ المجلسي، محمد باقر / بحار الأنوار، مجلد ٥٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، سنة ١٩٨٣م.

ـ النعماني، محمد بن إبراهيم / كتاب الغيبة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣م.

ـ الهاشمي، باسم / المخلِّص في الإسلام والمسيحيَّة، دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ الهاشمي، باسم / المهدي والمسيح ( قراءة في الإنجيل )، دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ اليزدي الحائري، الشيخ علي / إلزام الناصب في إثبات الحجة

الغائب، ج١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

ـ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر / الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، دار الصادق، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة الطبع ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٨م.

ـ سليمان، كامل / يوم الخلاص في ظل القائم المهدي عليه السلام، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ مجموعة مؤلفين ( جماعة من العلماء )، كتاب " بقية الله "، ترجمة حسين الهاشمي، دار النبلاء، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

**رابعاً: مصادر إسلاميّة أخرى:**

ـ ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي / تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٤م.

ـ فلوتن، فان / السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أميَّة، ترجمة د. حسن إبراهيم، ومحمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٥م.

ـ الأديب، عادل / الأئمة الاثنا عشر ( دراسة تحليلية )، الدار الإسلاميّة بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ـ الجزائري، عز الدين / شرح الصحيفة السجّاديّة ( دروس عاليَّة في التربية الذاتيَّة )، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ـ الشيخ الركابي / السنن التاريخية في القرآن الكريم، مكتب الإعلام

السياسي، إيران، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ الشيخ النراقي، محمد مهدي / جامع السعادات ج١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة.

ـ جودت، سعيد / حتى يغيروا ما بأنفسهم، دار الفكر، دمشق،

ـ ري شهري، محمدي / ميزان الحكمة ج١،٣، منشورات الدار الإسلاميَّة، بيروت، طبعة سنة ١٩٨٥م.

ـ شمس الدين، محمد مهدي / حركة التاريخ عند الإمام علي، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ طه، عبد الحسيب / أدب الشيعة.

ـ عزت راجح، أحمد / أصول علم النفس، دار المعارف، مصر، الطبعة الحاديَّة عشرة، سنة ١٩٧٧م.

ـ فروم، إريك / الإنسان بين الجوهر والمظهر، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، رقم العدد (١٤٠) الكويت، ذو الحجة سنة ١٤٠٩هـ ـ أغسطس ١٩٨٩م.

ـ فلسفي، محمد تقي / الطفل بين الوراثة والتربية، ج٢، دار التربية، بغداد، الطبعة الثانيَّة، سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

**خامساً: المجلات العربية والإسلاميَّة:**

ـ مجلة العربي الكويتية، عدد ( ٢٨٧ ) شهر أكتوبر ١٩٨٢م.

ـ مجلة الأمان اللبنانية، أعداد ( ٤١ ، ٤٢ ، ٥١ ).

ـ مجلة البحوث الإسلاميَّة، مجلة دورية تصدرها رئاسة البحوث العلميَّة والإفتاء (الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء) مدينة الرياض، عدد ( ٤٩ ) شهر رجب، شعبان، رمضان، شوال، سنة ١٤١٧هـ.

ـ مجلة الثقافة الإسلاميَّة، المستشاريَّة الثقافيَّة لسفارة الجمهورية الإسلاميَّة الإيرانيَّة في دمشق، عدد ( ١٢ )، شهر رمضان، سنة ١٤٠٧هـ.
ـ مجلة الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنورة، أعداد (٣، ٤٥، ٤٦ ).

# الفهرس

# سيكولوجية الإنتظار

## هذا الكتاب

استخدم الباحثون المسلمون في دراستهم لقضية إنتظار المهدي منهجين أساسيين هما المنهج النقلي الذي يهتم بجمع الروايات وتنظيمها وتصنيفها، والمنهج الآخر هو منهج السرد التاريخي الذي يبحث هذه القضية كحادثة تاريخية ورصد تفاعلاتها وإرهاصاتها وإشكالياتها في الواقع الإنساني.

واليوم يضيف باحثون معاصرون منهجاً جديداً هو منهج التحليل النفسي - الاجتماعي الذي يتناول عقيدة الانتظار كظاهرة سيكولوجية واجتماعية ودينية مؤثرة في التكوين العقلي والنفسي للمؤمنين بالمهدي، وفي وعيهم وإتجاهاتهم وسلوكهم.

لقد تناول المؤلف في كتابه هذا أصالة الإحساس الفطري في التركيبة الآدمية بوجود مصلح ينقذ البشرية المكدودة من عذاباتها التاريخية، ويرد كذلك على سلسلة الإنتقادات السيكولوجية لعقيدة المهدي بإستخدام منهج التحليل النفسي - الاجتماعي لفهم العوامل والأبعاد النفسية الإيجابية والمؤثرة التي إنطوت عليها هذه العقيدة، وإخضاعها للمجهر النفسي وإستثمار مخزونها المعرفي والتربوي والسيكولوجي في بناء نمط سوي للشخصية الإنسانية وتشكيل مقوماتها في ضوء ثقافة الإنتظار، وهي ثقافة أصيلة مستمدة من نصوص الإسلام نفسه.

لهذا كله يدعو المؤلف إلى تأسيس علم جديد هو «علم النفس الإنتظار» والاهتمام به لدراسة سيكولوجية الانتظار، والعوامل المؤثرة في حياة المنتظرين، والأبعاد النفسية الإيجابية التي إنطوت عليها عقيدة المهدي المنتظر.



**صدر للمؤلف:**

- التربية الجنسية للأطفال والبالغين.
- بناء الشخصية في خطاب الإمام المهدي.
- نشر دراسات تربوية في مجال التعليم المدرسي.
- لديه كتابان مخطوطان في أقراص ألكترونية هما:

١ - التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية.

٢ - العلاج النفسي بطريقة الأضداد (وهو كتاب يهتم بطريقة الإسلام في تعديل السلوك المرضي).




دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٢١٦٩٣٩ - فاكس : ٠١/٤٥١١٩٩

ص.ب : ٢٥/٢٨٦ - غبيري - بيروت - لبنان

URL :htty://ww.daralhadi.com

E-MAIL : daralhadi@daralhadi.com